الثقافة الإسلامية

تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها

الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بجامعة الشارقة

الأستاذ الدكتور فتحي محمد الزغبي

رئيس قسم أصول الدين
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعتي الأزهر والشارقة

إثراء للنشر والتوزيع

مكتبة الجامعة
UNIVERSITY BOOKSHOP
الشارقة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جميع حقوق الطبع محفوظة

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر : 2007/8/2442

الطبعة الأولى

2007

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال ، دون إذن خطــي مسبق من المؤلفين
عمان - الأردن

All rights reserved . No part of this book may be reproduced , stored in a retri-eval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher .

إثراء للنشر والتوزيع
ethraa2007@yahoo.com

Tel. : 00962 6 5164069
: 00962 6 5164068
Fax : 00962 6 5164059
دوار المدينة الرياضية - عمارة العمري - ط4
ص.ب : 870 الرمز البريدي 11910 عمان - الأردن

الجديد
NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الثقافة الإسلامية

تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها

الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بجامعة الشارقة

الأستاذ الدكتور فتحي محمد الزغبي
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعتي الأزهر والشارقة

مكتبة الجامعة
UNIVERSITY BOOKSHOP

إثراء للنشر والتوزيع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الموضوعات

	الموضوع	الصفحة
الفهـــــرس :	....	٣
المقـــــدمة :	....	١٣
أولاً :	أهمية الثقافة الإسلامية وضرورة تدريسها في الجامعات...	١٥
ثانياً :	تعريف الثقافة الإسلامية والفرق بينها وبين العلم والمدنية والحضارة....................................	١٧
ثالثاً :	أهداف الثقافة الإسلامية..............................	٢٠
رابعاً :	خصائص الثقافة الإسلامية............................	٢١
	الوحدة الأولى: مصادر الثقافة الإسلامية	٢٥
تمهيـــــد :	خريطة العالم الثقافية قبل الإسلام........................	٢٧
الفصـل الأول :	المصدر الأول: القرآن الكريم...........................	٢٩
• المبحث الأول :	**تعريف القرآن، أسماؤه، بعض خصائصه نزوله منجماً**..	٣١
المطلب الأول :	تعريف القرآن الكريم...................................	٣١
المطلب الثاني :	أسماء القرآن الكريم....................................	٣٢
المطلب الثالث :	بعض خصائص القرآن الكريم...........................	٣٢
المطلب الرابع :	نزول القرآن منجماً.....................................	٣٣
• المبحث الثاني :	**إعجاز القرآن الكريم**.................................	٣٧
المطلب الأول :	تعريف المعجزة..	٣٨
المطلب الثاني :	وجوه إعجاز القرآن الكريم............................	٣٩
• المبحث الثالث :	**ترجمة القرآن الكريم**..................................	٤٣
المطلب الأول :	تعريف الترجمة..	٤٣
المطلب الثاني :	الترجمة الحرفية..	٤٣
المطلب الثالث :	الترجمة التفسيرية.......................................	٤٤
• المبحث الرابع :	جمع القرآن...	٤٥
المطلب الأول :	الجمع الأول في عهد رسول الله ﷺ......................	٤٥
المطلب الثاني :	الجمع الثاني في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه..............	٤٦
المطلب الثالث :	الجمع الثالث في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه...............	٤٨
المطلب الرابع :	الفرق بين جمع أبي بكر وبين جمع عثمان رضي الله عنهما....	٤٩

شبكة الألوكة www.alukah.net
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الخامس :	مصير المصاحف بعد ذلك........................	٤٩
الفصل الثاني :	المصدر الثاني: السنة النبوية.......................	٥١
تمهيـــــــد :	أهمية السنة النبوية في حياة المسلمين.....................	٥٣
• المبحث الأول :	**تعريف السنة النبوية.................................**	٥٤
المطلب الأول :	تعريف السنة في اللغة والاصطلاح......................	٥٤
المطلب الثاني :	أضواء على التعريف....................................	٥٤
• المبحث الثاني :	**حجية السنة النبوية.................................**	٥٨
المطلب الأول :	حجيتها من القرآن الكريم................................	٥٩
المطلب الثاني :	حجيتها من أقوال الرسول ﷺ..........................	٥٩
المطلب الثالث :	حجيتها من الإجماع..................................	٦٠
المطلب الرابع :	أدلة حجيتها من المعقول................................	٦٠
• المبحث الثالث:	**منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم وعلاقتها به.......**	٦١
المطلب الأول :	السنة مقررة ومؤكدة لما ورد في القرآن.................	٦١
المطلب الثاني :	السنة مفصلة لما أجمل في القرآن........................	٦٢
المطلب الثالث :	السنة مخصصة لعام القرآن أحياناً.........................	٦٣
المطلب الرابع :	السنة مقيدة لمطلق القرآن أحياناً..........................	٦٤
المطلب الخامس :	السنة مشرعة لأحكام لم ترد في القرآن الكريم.........	٦٤
• المبحث الرابع :	**تدوين السنة النبوية.................................**	٦٤
المطلب الأول :	المرحلة الأولى..	٦٤
المطلب الثاني :	المرحلة الثانية..	٦٦
المطلب الثالث :	أنواع كتب السنة النبوية................................	٦٦
• المبحث الخامس:	**أنواع الحديث من حيث الثبوت ومن حيث القبول.....**	٦٨
تمهيـــــــد :	في تعريف المتن، والسند، والحديث القدسي............	٦٨
المطلب الأول :	أنواع الحديث من حيث الثبوت.........................	٧٠
المطلب الثاني :	أنواع الحديث من حيث القبول..........................	٧١
الفصل الثالث :	المصدر الثالث: الإجماع..................................	٧٥
تمهيـــــــد :	عصمة الأمة الإسلامية..................................	٧٧
• المبحث الأول:	**تعريف الإجماع..**	٧٧
المطلب الأول :	تعريف الإجماع لغة واصطلاحاً..........................	٧٧
المطلب الثاني :	أضواء على التعريف....................................	٧٨
• المبحث الثاني :	**حجية الإجماع..**	٧٩

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الأول :	حجيته من القرآن الكريم........................	٧٩
المطلب الثاني :	حجيته من السنة النبوية........................	٧٩
المطلب الثالث :	حجيته من المعقول........................	٧٩
المبحث الثالث :	أنواع الإجماع........................	٨٠
المطلب الأول :	الإجماع الصريح........................	٨٠
المطلب الثاني :	الإجماع السكوتي........................	٨٠
المطلب الثالث :	مستند الإجماع........................	٨١
المطلب الرابع :	أمثلة على الإجماع........................	٨١
المطلب الخامس:	الإجماع في عصرنا........................	٨٢
الفصل الرابع :	المصدر الرابع: القياس........................	٨٣
تمهيـــــــد :	في أهمية الاجتهاد والقياس في حياة الأمة............	٨٥
المبحث الأول :	تعريف القياس........................	٨٥
المطلب الأول :	تعريف القياس لغة واصطلاحاً........................	٨٥
المطلب الثاني :	أضواء على التعريف........................	٨٦
المبحث الثاني :	حجية القياس........................	٨٦
المطلب الأول :	حجيته من القرآن الكريم........................	٨٦
المطلب الثاني :	حجيته من السنة النبوية........................	٨٧
المطلب الثالث :	حجيته من حياة الصحابة........................	٨٧
المطلب الرابع :	حجيته من المعقول........................	٨٨
المطلب الخامس :	أمثلة على القياس........................	٨٨
الفصل الخامس :	المصدر الخامس: التاريخ الإسلامي الحضارة الإسلامية........................	٨٩
	الوحدة الثانية: مجالات الثقافة الإسلامية	٩٥
المجال الأول		
الفصل الأول :	العقـــــائد........................	٩٧
تمهيـــــــد :	نظرة الإسلام إلى الإنسان والكون والحياة............	٩٩
أولاً :	نظرة الإسلام إلى الإنسان........................	٩٩
ثانياً :	نظرة الإسلام إلى الكون........................	١٠١
ثالثاً :	نظرة الإسلام إلى الحياة........................	١٠٣
المبحث الأول :	الإيمان بالله تعالى........................	١٠٥

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تمهيـــــد	:	حول الاستدلال على وجود الله تعالى........................	١٠٥
المطلب الأول	:	منهج القرآن الكريم على وجود الله تعالى ووحدانيته......	١٠٧
المطلب الثاني	:	أنواع الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى ووحدانيته......	١٠٨
أولاً	:	أدلة الخلق والإبداع.................................	١٠٨
ثانياً	:	أدلة العناية..	١٠٩
ثالثاً	:	أدلة الفطرة..	١١٠
رابعاً	:	البراهين العقلية....................................	١١١
خامساً	:	ثبوت صفات الكمال المطلق، والتنزه عن صفات النقص..................................	١١٣
المطلب الثالث	:	**أنواع التوحيد: (توحيد الربوبية – توحيد الألوهية – توحيد الأسماء والصفات)**...............	١١٤
أولاً	:	توحيد الربوبية.....................................	١١٥
ثانياً	:	توحيد الألوهية.....................................	١١٥
ثالثاً	:	توحيد الأسماء والصفات............................	١١٥
• المبحث الثاني	:	**الإيمان بالملائكة**..................................	١١٧
المطلب الأول	:	تعريف الملائكة......................................	١١٧
المطلب الثاني	:	خلق الملائكة..	١١٨
المطلب الثالث	:	طبيعتهم وكثرتهم....................................	١١٨
المطلب الرابع	:	أصناف الملائكة ووظائفهم..........................	١١٩
المطلب الخامس	:	الإيمان بوجود الجن.................................	١٢١
أولاً	:	تعريف الجن في اللغة والاصطلاح..................	١٢١
ثانياً	:	خلق الجن...	١٢١
ثالثاً	:	الجن مكلفون..	١٢٢
رابعاً	:	الجن لا يعلمون الغيب.............................	١٢٢
• المبحث الثالث	:	**الإيمان بالكتب السماوية**..........................	١٢٣
تمهيـــــد	:	الإيمان بالكتب من أركان العقيدة الإسلامية.........	١٢٣
المطلب الأول	:	الإيمان بالكتب إجمالاً..............................	١٢٣
المطلب الثاني	:	الإيمان بالكتب تفصيلاً..............................	١٢٣
المطلب الثالث	:	الوحي وأنواعه......................................	١٢٥
• المبحث الرابع	:	**الإيمان بالرسل**....................................	١٢٧

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تمهيـــــــــد	:	حاجة البشرية إلى الرسالة........................	١٢٧
المطلب الأول	:	مهمات الرسل....................................	١٢٨
المطلب الثاني	:	الإيمان بالرسل جميعاً............................	١٣٠
المطلب الثالث	:	الفرق بين الرسول والنبي........................	١٣٢
المطلب الرابع	:	الصفات التي يجب اعتقادها في الأنبياء.................	١٣٢
المطلب الخامس	:	طرق الاستدلال على نبوة محمد ﷺ	١٣٥
أولاً	:	دراسة أحوال النبي ﷺ وشخصيته......................	١٣٦
ثانياً	:	دراسة الوحي المنزل عليه (مضامينه ودلالاته)..........	١٣٨
ثالثاً	:	المعجزات التي ظهرت على يديه ﷺ	١٤١
رابعاً	:	شهادات الأفراد والكتب السابقة.....................	١٤٣
المطلب السادس	:	خصائص رسالة محمد ﷺ........................	١٤٥
● المبحث الخامس	:	**الإيمان باليوم الآخر**............................	١٤٧
المطلب الأول	:	مدى عناية القرآن الكريم باليوم الآخر واهتمامه به.......	١٤٧
المطلب الثاني	:	سر عناية القرآن الكريم باليوم الآخر....................	١٤٨
المطلب الثالث	:	استدلالات القرآن الكريم على وقوع البعث والرد على منكريه............................	١٥٠
المطلب الرابع	:	حياة البرزخ.....................................	١٥٥
أولاً	:	تعريف البرزخ....................................	١٥٥
ثانياً	:	فتنة القبر وسؤال الملكين..............................	١٥٦
ثالثاً	:	عذاب القبر ونعيمه................................	١٥٧
المطلب الخامس	:	نماذج من مشاهد اليوم الآخر وأحداثه..................	١٥٨
أولاً	:	الحشر...	١٥٧
ثانياً	:	الحساب...	١٦٠
ثالثاً	:	الشفاعة...	١٦١
● المبحث السادس	:	**الإيمان بالقدر**..................................	١٦٤
المطلب الأول	:	تعريف القدر......................................	١٦٤
المطلب الثاني	:	وجوب الإيمان بالقدر...............................	١٦٤
المطلب الثالث	:	ثمرات الإيمان بالقدر...............................	١٦٥
المجال الثاني			
الفصل الثاني	:	العبادات..	١٦٧
تمهيـــــــــد	:	أهمية العبادة	١٦٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

● المبحث الأول :	**تعريف العبادة**........................	١٧٠
المطلب الأول :	تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح........	١٧٠
المطلب الثاني :	أضواء على التعريف........................	١٧٠
● المبحث الثاني :	مكانة العبادة في الإسلام........................	١٧٤
المطلب الأول :	بيان مكانتها من خلال الأسلوب القرآني في الحديث عنها........................	١٧٤
المطلب الثاني :	بيان مكانتها من وصف الله لأنبيائه بالعبودية..........	١٧٥
المطلب الثالث :	بيان مكانتها من حيث وصف نبيه محمد ﷺ بها في مواطن التشريف........................	١٧٥
● المبحث الثالث :	**أنواع العبادة في الإسلام**........................	١٧٦
المطلب الأول :	كلمة التوحيد (الشهادتان)........................	١٧٦
أولاً :	أهميتها........................	١٧٦
ثانياً :	مقتضاها........................	١٧٧
ثالثاً :	آثارها........................	١٧٨
المطلب الثاني :	الصلاة........................	١٧٩
أولاً :	أهميتها........................	١٧٩
ثانياً :	آثارها........................	١٨٠
المطلب الثالث :	الزكاة........................	١٨١
أولاً :	أهميتها........................	١٨١
ثانياً :	آثارها........................	١٨٢
المطلب الرابع :	الصوم........................	١٨٣
أولاً :	أهميته........................	١٨٣
ثانياً :	آثاره........................	١٨٤
المطلب الخامس :	الحج........................	١٨٥
أولاً :	أهميته........................	١٨٥
ثانياً :	آثاره........................	١٨٥
● المبحث الرابع :	**عبادات أخرى**........................	١٨٧
المطلب الأول :	عبادات قلبية........................	١٨٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أولاً	:	الإخلاص..................................	١٨٧
ثانياً	:	التوكل..................................	١٨٩
ثالثاً	:	التوبة..................................	١٩٠
المطلب الثاني	:	عبادات قولية..............................	١٩٢
أولاً	:	الذكر..................................	١٩٢
ثانياً	:	الدعاء	١٩٥
ثالثاً	:	الشكر..................................	١٩٧
المطلب الثالث	:	عبادات فعلية..............................	١٩٩
أولاً	:	قيام الليل..............................	٢٠٠
ثانياً	:	الإنفاق في سبيل الله.........................	٢٠١
ثالثاً	:	الجهاد في سبيل الله.........................	٢٠٥
المطلب الرابع	:	خصائص العبادة في الإسلام....................	٢٠٧
المجال الثالث			
الفصل الثالث	:	الأخلاق..................................	٢١١
• المبحث الأول	:	تعريف الأخلاق..............................	٢١٣
المطلب الأول	:	تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح............	٢١٣
المطلب الثاني	:	تعريف علم الأخلاق..........................	٢١٤
• المبحث الثاني	:	الفائدة من دراسة الأخلاق....................	٢١٥
• المبحث الثالث	:	أهمية الأخلاق وضرورتها للحياة الإنسانية........	٢١٧
المطلب الأول	:	الأخلاق ضرورة فردية........................	٢١٧
المطلب الثاني	:	الأخلاق ضرورة اجتماعية حضارية..............	٢١٧
• المبحث الرابع	:	منزلة الأخلاق في الإسلام....................	٢١٩
• المبحث الخامس	:	مفهوم النظام الأخلاقي في الإسلام..............	٢٢٠
• المبحث السادس	:	ارتباط الأخلاق بالعقيدة الإسلامية...............	٢٢٣
• المبحث السابع	:	مظاهر الارتباط بين العقيدة والأخلاق في الإسلام.....	٢٢٤
• المبحث الثامن	:	من أخلاق النبوة............................	٢٢٥
		الوحدة الثالثة: تحديات الثقافة الإسلامية	٢٣٥
الفصل الأول	:	الغزو الفكري..............................	٢٣٧
تمهيـــــــد	:	تعريف الغزو الفكري..........................	٢٣٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- المبحث الأول : من دوافع الغزو الفكري ٢٤١
- المبحث الثاني : عوامل نجاح الغزو الفكري ٢٤٨
- المبحث الثالث : ميادين الغزو الفكري ٢٥٣
- المبحث الرابع : شبهات المستشرقين ومطاعنهم ٢٦٠

الفصل الثاني : العلمانية ٢٦٣

- المبحث الأول : تعريف العلمانية ٢٦٥

المطلب الأول : تعريف العلمانية بين الترجمة والتعريب ٢٦٥

المطلب الثاني : أسباب نشأة العلمانية في الغرب ٢٦٥

- المبحث الثاني : نتائج العلمانية في الغرب ٢٦٧

المطلب الأول : الجوانب الإيجابية ٢٦٧

المطلب الثاني : الجوانب السلبية ٢٦٧

- المبحث الثالث : أسباب ووسائل انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي ٢٦٨
- المبحث الرابع : آثار العلمانية في العالم الإسلامي ٢٧١
- المبحث الخامس : الموقف من العلمانية ٢٧٧
- المبحث السادس: الردود على شبهات العلمانيين ٢٧٩

الفصل الثالث : العولمة ٢٨٣

تمهيـــــــد : الشعارات والتجديد ٢٨٥

- المبحث الأول : نشأة العولمة، وتعريفها ٢٨٦

المطلب الأول : نشأة العولمة ٢٨٦

المطلب الثاني : تعريف العولمة ٢٨٨

- المبحث الثاني : مجالات العولمة ٢٨٨

المطلب الأول : العولمة الاقتصادية ٢٨٩

المطلب الثاني : العولمة السياسية ٢٩٠

المطلب الثالث : العولمة الاجتماعية ٢٩١

المطلب الرابع : العولمة الثقافية ٢٩٣

- المبحث الثالث : الموقف من العولمة ٢٩٥

المطلب الأول : إيجابيات العولمة ٢٩٥

المطلب الثاني : سلبيات العولمة (سنن الله والعولمة) ٢٩٧

أولاً : سنة التدافع ٢٩٧

ثانياً : سنة الله في الطغيان والمتجبرين ٢٩٨

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثاً : سنة الله في المترفين.. ٢٩٨

رابعاً : سنة الله في الظالمين....................................... ٢٩٩

المطلب الثالث : كيف نجابه أخطار العولمة.............................. ٢٩٩

أولاً : في المجال الاقتصادي....................................... ٢٩٩

ثانياً : في المجال السياسي....................................... ٣٠٠

ثالثاً : في المجال الاجتماعي....................................... ٣٠١

رابعاً : في المجال الثقافي.. ٣٠٢

خامساً : كلمة أخيرة.. ٣٠٣

فهرس المراجع: ٣٠٥

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فقد اتسعت دائرة الاهتمام بالثقافة الإسلامية في الثلث الأخير من القرن الماضي، بعد أن قررت مادة دراسية في أغلب جامعات العالم الإسلامي عامة، والجامعات في العالم العربي خاصة، وكتب أساتذة الثقافة الإسلامية في موضوعاتها، وكان أغلبها جمعاً للمحاضرات التي ألقوها على طلابهم وفق الخطة الدراسية في جامعاتهم.

وبما أن مادة الثقافة الإسلامية قررت على جميع الكليات وعلى مختلف التخصصات متطلباً جامعياً عاماً، اقتضت الحاجة أن يدرسها أكثر من أستاذ، وبالتالي اتفق المدرسون لهذه المادة في كل جامعة أن ينسقوا بين ما كتبه كل واحد منهم، ثم يخرج كتاباً على طلاب تلك الجامعة.

ومن سلبيات التأليف المشترك دائماً تباين الأساليب في الكتابة، وظهور الجانب التخصصي في كتابة كل مؤلف في الموضوع الذي تناوله.

ولهذا السبب كثرت المؤلفات في الثقافة الإسلامية، واختلفت الموضوعات التي اشتملت عليها كتب الثقافة حسب المناهج الدراسية لكل جامعة، وحسب الأفكار المطروحة في كل بيئة تلفت أنظار جيل الشباب وعلى رأسهم شباب الجامعات.

وقد اشتركنا في تدريس مادة الثقافة الإسلامية سنوات عديدة، وفي أكثر من جامعة، واشتركنا في وضع خطة هذه المادة، وقد رأينا بعد مناقشات ضافية حول الخطة المثلى التي توفر للشباب الجامعي أساساً صلباً للانطلاق، كما توفر له مناعة من الانحراف وراء الشعارات البراقة الخادعة – خاصة في عصر الفضائيات والانترنت – بل وتسلحه بأسلحة العصر ليس في الدفاع عن الإسلام، بل في حمله رسالة عالمية يدعو إليها في مختلف الأزمنة والأمكنة.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

تلك الخطة التي تحقق له ذلك في تقديرنا هي:

أولاً: التعرف على مصادر الثقافة الإسلامية الأصيلة من: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، و المصادر التبعية كالتاريخ والحضارة.

ثانياً: الاهتمام بالعقيدة ليدرك الشاب المثقف منطلقاته العقدية، فيتعرف على أركان الإيمان والاستدلال عليها وما يتعلق بها.

ثالثاً: الجانب التطبيقي في الثقافة الإسلامية، وهي أركان الإسلام، فكان التعرض لمجالين: العبادات والأخلاق.

رابعاً: تعريف الطالب بأكبر التحديات الخارجية التي تهدد الثقافة الإسلامية ومعتنقيها؛ فكان التعرض لأهم هذه التحديات المعاصرة: الغزو الفكري، والعلمانية، والعولمة.

ورأينا أن نكتب حسب هذه الخطة؛ لقناعتنا أنها تشمل الأساسيات في الثقافة الإسلامية، ولكي يتوحد أسلوب العرض والبيان.

وقد حاولنا قدر استطاعتنا أن نضع عناوين صغيرة، وتحت كل عنوان فقرات لكي يسهل على الطلاب استيعاب الأفكار، وترتيبها حسب أولوياتها وجزئياتها.

والله نسأل أن ينفع بهذا الجهد المتواضع أبناءنا وبناتنا من طلبة الجامعات، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله لنا من الباقيات الصالحات ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المؤلفان

الشارقة في: ٨/ شعبان/ ٢٠٠٧هـ

٢١/ ٨/ ٢٠٠٧م

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تمهيد

أولاً: أهمية الثقافة الإسلامية

لقد ابتعد العالم الإسلامي عن المناهج الإسلامية التي اتبعها علماء المسلمين خلال العصور الماضية، فقد نص المربون المسلمون الأوائل الذين ملأت شهرتهم العلمية الآفاق، وسار على نهجهم التربوي الأجيال العديدة، على أن بداية التعليم ينبغي أن تكون من سن الرابعة للطفل: بحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ومن أحاديث رسول الله ﷺ ومن الحكم المأثورة والشعر الرقيق اللطيف البليغ، وبعد سن التمييز – السابعة فما فوق – تبدأ بدايات العلوم الأخرى.

ومنذ أن أخذ العالم الإسلامي المناهج الغربية والشرقية ابتعدوا عن المنهج الإسلامي، وربما وصل الطالب والطالبة إلى المرحلة الجامعية وهو لا يدري أساسيات الإسلام، التي لا يصح إسلامه إلا بمعرفتها نظرياً، وتطبيقها عملياً.

لذا كان من الضرورة بمكان أن تقرر مادة الثقافة الإسلامية متطلباً جامعياً في جميع الكليات الإنسانية منها، والتطبيقية العملية، ويدعو إلى ذلك ويحتمه:

١) الانتماء إلى الإسلام:

إن انتماءنا إلى الإسلام يفرض علينا حداً أدنى من الثقافة، لا يصح إيمان المسلم ولا يدخل دائرة الإسلام إلا بمعرفتها معرفة يقينية، وتطبيقها تطبيقاً عملياً.

فأركان الإيمان الستة: "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره" لا يصح إيمان المسلم إلا إذا علمها، واعتقدها اعتقاداً جازماً.

وأركان الإسلام الخمسة: "الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً" لا يتم إسلام المسلم إلا بمعرفتها وتطبيقها تطبيقاً عملياً.

بالإضافة إلى معرفة الأخلاق الحميدة التي دعا الإسلام إلى التحلي بها، والصفات والانحرافات التي نهى الإسلام عنها.

كل ذلك مطلوب من المسلم أن يعرفه؛ حتى يكون مسلماً محققاً الانتماء لدينه، والانتماء للإسلام يفرض هذه الثقافة، لتتحدد معالم الشخصية المسلمة الجديدة بالإسلام.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢) الحصانة الفكرية:

نحن نعيش في عصر أزيلت فيه الحواجز الزمانية والمكانية، ووصلت الأفكار والمعلومات إلى كل مكان شئنا أم أبينا، والانفجار المعرفي يلف العالم بتياراته المختلفة، وكل صاحب دعوة أو مذهب أو فكرة يدعو إليها بأساليب جذابة لافتة للنظر، فإن لم يكن المسلم – وخاصة الشباب الإسلامي – على معرفة بالموازين التي تعرفه بالخطأ والصواب وتميز له بين الحق والباطل، وبين ما يقبله الإسلام وما يرفضه، إن لم يكن على معرفة بهذه الموازين والمقاييس قد ينزلق وراء دعوة أو مذهب يخرجه عن الإسلام وهو لا يدري.

فالثقافة الإسلامية تعطيه هذه المقاييس، وهذه الموازين التي يقبل بها الأفكار أو يرفضها، وتحصنه فكرياً تجاه تلك الدعوات البراقة، والتي تدس له السم في الدسم في كثير من الأحوال.

٣) المسلم إيجابي فاعل في مجتمعه:

إن المسلم خلق لمهمة عظيمة، وهي أن يكون خليفة لله – سبحانه وتعالى – على هذه الأرض؛ ليعمرها وفق منهج الله تعالى، وإعمار الأرض يحتاج إلى تضافر جهود الأفراد، والجماعات من قبائل وشعوب هذه الأمة، وتعاون أمم العالم.

هذا الاستخلاف والعمران، يحتاج إلى معرفة المنهج، ومقومات تحقيقه.

إن إدراك هذه المهمة، يتطلب من المسلم معرفة: سنن الله في الكون، وفي المجتمعات، وفي الناس؛ لكي يكون ذا دور إيجابي فاعل في مجتمعه ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ... ﴾ [التوبة: ٧١].

ويقتضي معرفة التاريخ الإنساني والحضارة البشرية، وسنن الله في نشوئها وارتقائها أو انحدارها وزوالها، والقيم التي تساعد في كل ذلك، كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] ولثقافة الفرد والجماعة الأثر الكبير في أداء هذا الدور البناء في المجتمع الإسلامي وفي المجتمع الإنساني.

٤) معالجة المعضلات العالمية بالإسلام:

لقد قدم المسلمون أنموذجاً فريداً للعالم، عندما أقاموا حضارة إسلامية توافرت فيها كل مقومات الحضارة الإنسانية المثالية، وكان سبب نجاح هذا الأنموذج، أنها بنيت أساساً على الوحي المتمثل في القرآن العظيم، والسنة النبوية الشريفة، ونتيجة

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التطبيق العملي لهدايات الإسلام، فكانت دولة الإسلام صاحبة الحضارة الربانية، التي تحققت فيها كل معاني العدل، والعز والتقدم والسعادة.

ولكن عندما انصرف حكام المسلمين عن التمسك بهدايات الإسلام وضعفت هممهم عن المعالي، وانشغل علماء المسلمين وأصحاب القيادة الفكرية عن دورهم الترشيدي للحكام، وخرج من أيديهم الدور القيادي في العالم، آل الأمر إلى قيادات أقامت مناهجها على الاجتهادات البشرية القاصرة، واتبعت أهواءها، فساد الظلم والشقاء وعمت التعاسة أنحاء المعمورة، وأصبح العالم غابة تتصارع فيها القوى المادية، وشعر الناس بالخواء الروحي والعيش الضنك؛ فتحققت فيهم سنة الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤].

إن المثقف المسلم يملك الحل السوي لمشكلات البشرية، والعلاج الناجع لأدوائها الروحية والعقلية، والبشرية اليوم بأمس الحاجة إلى هذه الحلول.

ثانياً: تعريف الثقافة الإسلامية
والفرق بينها وبين العلم والمدنية والحضارة

١) تعريف الثقافة:

الثقافة لغة: مادة (ثقف) في اللغة لها دلالات: التقويم، والإدراك، والحذق، يقال: ثقف الشيء: أقام المعوج، ومنه: ثقفت الرمح أقمت المعوج منه، وسويته.

والثقاف والمثقف: أداة من خشب أو حديد تقوَّم بها الرماح لتستوي وتعتدل. والمعنى الثاني لمادة (ثقف): الإدراك والملاقاة وجهاً لوجه[(١)].

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٧].

كما تدل كلمة ثقف على الحذق والمهارة ومنه قولهم: فلان ثقف لقف، أي: حاذق يتلقف المعلومات، ويستوعبها بسرعة.

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني في مادة (ثقف) ص١٠٧. ولسان العرب لابن منظور ٩/ ١٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما تعريف الثقافة اصطلاحاً:

فقد اختلفت أقوال المعرفين لها – مع مراعاة المعاني السابقة –، ومع خاصية ثقافة كل أمة، وبما أننا نعرف الثقافة الإسلامية، فالتعريف المفضل الجامع لها هو:

«مجموعة المعارف والمعلومات النظرية، والخبرات العملية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، التي يكتسبها الإنسان، ويحدد على ضوئها طريقة تفكيره، ومنهج سلوكه في الحياة».

فمن شأن ثقافة المرء أن تؤثر على عقله، فتقوم طريقة تفكيره، فإذا تعلم الإنسان معارف معينة، وأدرك أبعادها وحذق فيها، قومت فكره، وبالتالي استقام سلوكه وفق تلك المعارف، بالمعلومات المستمدة من الوحي الرباني، وما أنتجته العقول المستنيرة بنور الوحي، فتجعل المثقف المسلم أنموذجاً فريداً في تفكيره وسلوكياته ومنهج تعامله مع الآخرين.

٢) الفرق بين الثقافة والعلم والمدنية والحضارة:

(أ) العلم: هو إدراك الشيء على حقيقته[٢].

وحقائق الأشياء التي يصل إليها الإنسان لا تخضع لثقافة الباحث، ولا تتأثر بمعتقده؛ فحقيقة كون الأجسام تتمدد بالحرارة، وتتقلص بالبرودة إلا الماء فإنه بالعكس. هذه الحقيقة لا تتأثر بإلحاد الملحد، ولا إيمان المؤمن، وسواء أجريت هذه التجربة في بلاد المسلمين، أم في بلاد النصارى أم في بلاد الشيوعيين؛ فإن النتيجة هي هي، ولكن صاحب أي معتقد قد يسخر الحقيقة العلمية للاستدلال بها على معتقده، فالمؤمن يستخدم الحقيقة السابقة لبيان حكمة الله في ذلك للحفاظ على الحياة الحيوانية والنباتية في البحار والمحيطات؛ لأن تمدد الماء "الجليد" بالبرودة يخفف من الكثافة النوعية؛ ليطفو الجليد على سطح الماء وتبقى حرارة الماء محفوظة في الأعماق، وتعيش الكائنات البحرية حياتها الطبيعية، كما أن صعود الطبقة الجليدية على سطح المياه يعرضها للهواء ولأشعة الشمس فتذوب ثانية.

إن هذه السنة الكونية خلقها الله سبحانه وتعالى؛ لتبقى الكتلة المائية الهائلة على كوكب الأرض تؤدي وظيفتها التسخيرية للإنسان ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ... ﴾ [لقمان: ٢٠].

---

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ/ ٣٧٧.

الجديد طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(ب) المدنية: مأخوذة في الأصل من سكنى المدن، يقال: تمدن أي عاش عيشة أهل المدن[٣]، وتَنَعَّمَ بأسباب الرفاهية ووسائلها.

(ج) الحضارة: في الأصل تطلق في عرف اللغويين على الإقامة في الحضر وهي تقابل البداوة، قال القطامي:

ومن تكن الحضارة أعجبته　　فأي رجال بادية ترانا[٤]

ولم يفرق كثير من الكتاب المعاصرين بين المدنية والحضارة، وربما لم يفرق بينهما وبين الثقافة، ولكن ينبغي مراعاة الدلالة اللغوية في المعنى الاصطلاحي، لذا فنحن نرجح التفريق بين المصطلحات الثلاثة:

فالثقافة: تطلق على الجانب المعنوي من المعارف، والخبرات والعلوم والآداب.

والمدنية: تطلق على الجانب المادي من الوسائل التي تستخدم في رفاهية الأمة.

والحضارة: تشمل الجانب المعنوي والجانب المادي فهي أعم، وعلى ذلك فإن تعريف الحضارة في الاصطلاح: هي حصيلة ما قدمته أمة، خلال حقبة تاريخية من المعارف والعلوم، وما استخدمته من وسائل الرفاه، والتقدم الاجتماعي.

ولئن كانت الثقافة تميز كل أمة عن غيرها، فالمدنية بإطلاقها على الوسائل المادية وهي التطبيقات العملية للحقائق العلمية، تكون مشاعة بين الشعوب والأمم لأنها لا تتصف بفكر ولا تصبغ بعقيدة.

وبما أن الثقافة تحدد سلوكيات الأمة الحضارية، فلابد أن تكون حضارة كل أمة متميزة عن حضارة الأمم الأخرى.

لذا نجد أن القرآن الكريم قد مدح حضارات؛ لأنها أقامت العدل بين الناس وأشفقت على الضعفاء وأخذت على يد الظالمين، واستخدمت التقنية المادية التي وصلت إليها في إحقاق الحق ودفع الظلم ورفاهية شعوبها، والأنموذج الذي يسوقه

(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٨٥٩.
(٤) لسان العرب ٤/ ١٩٧، والمعجم الوسيط ١/ ١٨١.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القرآن الكريم على الحضارات الربانية حضارة داود وسليمان عليهما السلام[٥] والحضارة التي أقامها ذو القرنين[٦].

أما الحضارة التي سامت الناس الخسف، وقهرتهم وأخضعتهم لسلطانها وجبروتها، واستخدمت قوتها المادية وتقنياتها للعلو في الأرض والإفساد، وإتباع الهوى والشهوات فهي حضارات جاهلية، ذمها القرآن الكريم وبين أن عاقبة أصحابها كان الدمار والخراب في الدنيا، والعذاب المخلد يوم القيامة.

وضرب القرآن الكريم نماذج لهذه الحضارات الجاهلية:

- حضارة قوم عاد بالأحقاف جنوب الجزيرة العربية.
- وحضارة قوم ثمود بمدائن صالح شمال الجزيرة العربية.
- وحضارة الفراعنة في مصر[٧].

وجاءت قصصهم وتفصيلاتها في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

ثالثاً: أهداف الثقافة الإسلامية

١- تكوين الشخصية الإسلامية: المتميزة في معارفها، المطبقة لثوابت معتقداتها وشرائع ربها، المعتزة بإسلامها، المطلعة على ثقافة عصرها، المتبنية لقضايا أمتها.

٢- عرض الإسلام عرضاً مبسطاً يتلاءم مع روح العصر، وأساليب منابره الدعائية والإعلامية.

---

(٥) قال تعالى: ﴿ وداود وسليمن إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شهدين (٧٨) ففهمنها سليمن وكلا ءاتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فعلين (٧٩) وعلمنه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شكرون (٨٠) ولسليمن الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي بركنا فيها وكنا بكل شيء علمين (٨١) ومن الشيطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حفظين (٨٢) ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٨٢].

(٦) قال تعالى: ﴿ ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا (٨٣) إنا مكنا له في الأرض وءاتينه من كل شيء سببا (٨٤) فأتبع سببا (٨٥) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا (٨٦) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا (٨٧) وأما من ءامن وعمل صلحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا (٨٨) ثم أتبع سببا (٨٩) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا (٩٠) كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (٩١) ثم أتبع سببا (٩٢) حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (٩٣) قالوا يذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥) ﴾ [الكهف: ٨٣-٩٥].

(٧) قال تعالى: ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد (٦) إرم ذات العماد (٧) التي لم يخلق مثلها في البلد (٨) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (٩) وفرعون ذي الأوتاد (١٠) الذين طغوا في البلد (١١) فأكثروا فيها الفساد (١٢) فصب عليهم ربك سوط عذاب (١٣) إن ربك لبالمرصاد (١٤) ﴾ [الفجر: ٦-١٤].

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- إلقاء الضوء على التحديات التي تواجه المسلمين، وترسم لهم طريق الخلاص وسبيل النجاة.

رابعاً: خصائص الثقافة الإسلامية

تتسم الثقافة الإسلامية بخصائص تميزها عن غيرها من الثقافات السائدة في الأرض ومن أبرز هذه الخصائص:

١) الربانية: لأن الثقافة الإسلامية تستمد معارفها من الوحي الإلهي (الكتاب والسنة) وما استنبطه العلماء المسلمون من هداياتها، وهي تدعو إلى توحيد الله تعالى وإلى مكارم الأخلاق، وإحقاق الحق ورفع الظلم، وصلة الأرحام، وإلى نشر الخير، وتصبيغ الأمة بالصبغة الربانية ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

لقد كان التزام المسلمين بهذه الصبغة خير دعاية لمبادئهم مما جعل الشعوب يدخلون في دين الله أفواجاً، وفتحت لثقافتهم وأخلاقهم القلوب قبل البلدان.

٢) ملاءمتها للفطرة الإنسانية: فالذي خلق الإنسان هو الذي أوحى إلى رسوله محمد بهذه الهدايات؛ لإصلاح شأن الإنسان، وتنظيم علاقاته مع غيره، وبيان واجباته تجاه خالقه، لذا كانت منطلقات هذه الثقافة لإصلاح الإنسان من داخله، بتلبية حاجاته الفطرية التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيه، وتهذيب غرائزه وتنظيمها، والإجابة على تساؤلاته العقلية، وتحريره من الخرافات والأوهام، وإشباع أشواقه الروحية، فأدخلت الطمأنينة إلى نفسه وحققت له السعادة والرضا.

٣) الإيجابية: تتسم الثقافة الإسلامية بالإيجابية، فهي تطلق الطاقات الكامنة في الإنسان، وتوجهها إلى البحث العلمي، والاستكشافات في الكون المحيط به والتعرف على سنن الله فيه، وتسخيرها لمصلحة البشرية، فمن مهمات الإنسان في هذه الحياة: الاستخلاف في الأرض وإعمارها، يقول عز من قائل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. فالكون كله ميدان لعمل الإنسان وتجاربه.

٤) الشمول والكمال: الثقافة الإسلامية تأخذ شمولها وكمالها من الرسالة الإسلامية الخالدة التي يقول عنها منزلها: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ... ﴾ [المائدة: ٣]. فالهدايات الإسلامية شملت تعامل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإنسان مع نفسه، ومع من حوله، وما حوله - من الجماد والنبات والحيوان والإنسان - فتجد القواعد العامة لذلك كله، وفصلت في كيفية تعامل الإنسان مع الإنسان؛ لأن أصل الهدايات تنصب عليه، فهو أكرم المخلوقات على هذه الأرض عند الله، فلم يتركه ليكون حقل تجارب للاجتهادات البشرية؛ فيشقى بالأنظمة والتشريعات الوضعية.

٥) التوازن والاعتدال: تتصف الثقافة الإسلامية بالاعتدال والتوازن في بناء الشخصية الإسلامية، فتراعي متطلبات الروح والمادة في الإنسان، والاعتدال والتوازن في إقامة المجتمع الإسلامي، فتحافظ على مصلحة الفرد والجماعة ولا تفرط في جانب لحساب الجانب الآخر، كما تتصف الثقافة الإسلامية على صعيد الحياة كلها بالتوازن بين متطلبات الحياة الدنيا ومقومات السعادة في الدار الآخرة. يقول الله عز وجل: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص:٧٧].

٦) المثالية الواقعية: ليس في الإسلام قضايا مثالية غير قابلة للتطبيق، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، إلا أن الثقافة الإسلامية ترفع من شأن الإنسان، وتسمو بفكره وروحه، وتكسبه الشفافية في المشاعر، بحيث يكون الإنسان متميزاً بعقيدته وأخلاقه وسلوكه في تعامله مع الناس، ولا يعرف المسلم شعارات للتصدير وأخرى للتطبيق، بل حياته وسلوكه تطبيق عملي لحقائق الإسلام. يقول عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢-٣]. إن تطبيق سلف هذه الأمة ما دعوا الناس إليه على أنفسهم أولاً، جعل الناس ينبهرون بأخلاقهم وأفعالهم؛ فدخلوا في دين الله طواعية رغبة لا رهبة، فامتدت دولتهم من طنجة إلى جاكرتا.

٧) عالمية الآفاق: لما كان مصدر الثقافة الإسلامية مصدراً ربانياً؛ كانت الثقافة الإسلامية موضوعية الحلول لمشاكل العالم، لم تتسم بسمات شعب معين ولم تتأثر بعادات قوم وتقاليدهم، فهي تتناول قضايا الإنسان ومشكلاته باعتباره إنساناً مخلوقاً لمهام معينة وذا غرائز وطباع محددة.. بقطع النظر عن كونه يعيش في منطقة معينة من العالم أو في عصر معين.. فهي ثقافة مجردة عن الزمان والمكان وتأثير البيئات، لذا كان شعاراتها ومقاييسها وحلولها عالمية موضوعية.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٨) الجمع بين التطور والثبات: لقد تمثلت عظمة الإسلام ومبادئه الخالدة في عنصر الثبات والخلود، وعنصر المرونة والتطور معاً، مما جعله صالحاً لكل زمان ومكان.

فالثبات على الأهداف والغايات أضفى القدسية والاحترام على مبادئه، وأدخل الطمأنينة على نفس معتنقيه، والمرونة في الوسائل والأساليب أضفت الحيوية واستيعاب المستجدات في الشؤون الدنيوية، والعلوم التجريبية. فمثلاً الشورى والحكم بالعدل من الثوابت، أما الوسيلة فمتروكة للاجتهاد.

وهذان التطور والثبات ملائمان لسنن الله في الكون وفي الفطرة الإنسانية، فإن فيهما الثبات الدائم والمتغير المتحول. وبهذه الخصيصة تستطيع الأمة الإسلامية أن تستمر وترتقي في مدارج التقدم الحضاري مع المحافظة على قيمها وعقائدها وأخلاقها(٨).

---

(٨) انظر هذه الخصائص وغيرها في: معالم الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان، ص(٨٧) وما بعدها. ولمحات في الثقافة الإسلامية لعمر عودة الخطيب ص٦٣ وما بعدها، والخصائص العامة للإسلام للدكتور/ يوسف القرضاوي.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الوحدة الأولى

مصادر الثقافة الإسلامية

الفصل الأول: القرآن الكريم
الفصل الثاني: السنة النبوية المشرفة
الفصل الثالث: الإجماع
الفصل الرابع: القياس
الفصل الخامس: التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تمهيد

خريطة العالم الثقافية قبل الإسلام:

كان العالم المتحضر آنذاك يحكم من قبل سلطات منظمة، وقوى غير منظمة، وكل تلك السلطات والقوى كان الانحراف والجاهلية يتحكمان فيها.

وتتمثل تلك الخريطة في:

دولة الروم النصرانية، ويمتد سلطانها على أوروبا، وشبه جزيرة الأناضول، وبلاد الشام وشمال أفريقيا، وطبيعة الحكم فيها (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله). فالقياصرة يشرعون للناس القوانين حسب أهوائهم، وكانت النصرانية محصورة في الكنائس لا شأن لها بحياة الناس ولا تشريعاتهم، وقد أدخل فيها الرهبان من التحريفات ما أذهب عنها الربانية.

دولة الفرس وكانت تدين بالمجوسية وتعبد النار، وبسطت نفوذها على العراق والسواحل الشرقية لجزيرة العرب، واليمن وبلاد فارس وما وراءها، وكان الأكاسرة يضعون للشعوب الخاضعة لهم ما ينظمون به حياتهم وفق أهواء الأسياد، ولم يعترف ملوك فارس بالنبوات ولا الرسالات السماوية، فهم وثنيون[1].

ولم يكن لليهودية سلطة وكيان، وإنما كانت أسباطهم – قبائلهم – موزعة في الأقطار، فمنهم من استوطن العراق – وهم بقايا أسرى بابل –، ومنهم من بقي في بلاد الشام، ومنهم من سكن جنوب وشرق أوروبا، ومنهم من سكن اليمن، ومنهم من سكن بعض الواحات في جزيرة العرب في (يثرب، وخيبر، وتيماء، وفدك) لأنهم قرؤوا في كتبهم أن النبي الخاتم المنقذ للبشر يكون مهاجره إلى بلد فيه حرات ونخيل (الحرة هي الحجارة البركانية السوداء)[2].

أما جزيرة العرب فلم تكن خاضعة لسلطة منظمة، أو كيان دولة، بل تحكمها القبلية، وكل زعيم قبيلة هو المرجع السياسي والاجتماعي لقبيلته، وكان الكهان والعرافون يقومون بالفصل في الخصومات الفردية فهم المرجع الديني للقبيلة، وكانت القبائل العربية المتاخمة لدولة الروم تواليهم، ودخل بعضها النصرانية نتيجة احتكاكهم بالروم كالغساسنة، وأما القبائل العربية المتاخمة لدولة الفرس كالمناذرة فكانت توالي الأكاسرة، أما قريش وما جاورها من القبائل فكانوا على الوثنية يعبدون الأصنام، إلا أن بقايا من دين إبراهيم – عليه السلام – كان موجوداً لديهم، مثل: شعائر الحج

---

(١) انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ٢/ ١٠٧ وما بعدها.
(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام مع حاشية الروض الأنف ١/ ٢٤٦-٢٤٩.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والأشهر الحرم وتعظيم الكعبة، إلا أن هذه البقايا خلطوها بالوثنية وقد ملؤوا جوف الكعبة، وساحات المسجد الحرام بالأصنام(٣).

وكان هنالك أفراد يعرفون بالحنفاء، ويزعمون أنهم على الحنيفية ملة إبراهيم - عليه السلام - وكانوا يوحدون الله تعالى ويجتنبون الأصنام وعبادتها، ويبشرون بقرب قدوم النبي الخاتم ﷺ.

وكانت قريش تمثل قمة القبائل العربية وذؤابتها: لمكانتها الدينية، فهي خادمة الكعبة ومنهم سدنتها، وهي خادمة الحجيج في الموسم فمنها سقاتهم(٤).

كما أنها كانت تشكل قوة قتالية؛ لوجود الرجال الأفذاذ، والأبطال فيها، وتشكل قوة اقتصادية؛ لما يرافق موسم الحج من إقامة أسواق تجارية قبل الموسم وأثناءه وبعده. كما أن لهجتها كانت تمثل لغة الثقافة بين القبائل الأخرى، ولهجات القبائل الأخرى تبقى محلية في الغالب، ولمكانة قريش هذه كانت تدعو أحياناً إلى بعض الأحلاف، مثل حلف الفضول (ويسمى حلف المطيبين) لنصرة المظلوم، والأخذ على يد الظالم وإيصال الحقوق إلى أهلها. وكانت بعض الأخلاق الفطرية تسود القبائل العربية عامة وقبيلة قريش خاصة، مثل الكرم والشجاعة والحفاظ على الأعراض. كما كانت الانحرافات الخلقية تجد مكانها أيضاً مثل وأد البنات والزنا والربا.

وفي هذه البيئة القبلية وفي تلك الأجواء الخلقية والفكرية ولد محمد ﷺ وترعرع وشب كسائر شباب قريش، إلا أنه كره إليه الأصنام منذ نعومة أظفاره، وعصمه الله تعالى من أخلاق الجاهلية وانحرافات الشباب، وكان يعمل في الرعي أحياناً لكسب قوته، ويعمل بأجر أحياناً ويذهب في تجارة أحياناً، وعند بلوغه سن الخامسة والعشرين تزوج خديجة بنت خويلد، فكفته مؤنة العمل لكسب الرزق. وفي أواخر العقد الثالث من عمره حبب إليه الخلاء، فكان يخلو مدة شهر من كل عام في غار حراء، ولما بلغ الأربعين من عمره وأثناء خلوته في الغار في شهر رمضان فاجأه من يضمه إلى صدره، ثم يرسله ويقول له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فأخذه فضمه الثانية ثم أرسله وقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فأخذه فضمه الثالثة ثم أرسله وقال له: اقرأ، قال ما أنا بقارئ، قال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١-٥].

فكانت بداية نزول القرآن الكريم على قلب محمد ﷺ(٥)، وبداية بعثته، وبالتالي ولادة الأمة الإسلامية.

---

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام مع حاشية الروض الأنف ١/ ١٠١.
(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام مع حاشية الروض الأنف ١/ ٢٥٣ وما بعدها.
(٥) انظر تفصيل ذلك في صحيح البخاري كتاب بدء الوحي.

الجديد و طري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول

المصدر الأول: القرآن الكريم

المبحث الأول : تعريف القرآن الكريم، أسماؤه، بعض خصائص نزوله منجماً
المبحث الثاني : إعجاز القرآن الكريم
المبحث الثالث: ترجمة القرآن الكريم
المبحث الرابع : جمع القرآن

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مصوب

الفصل الأول

المصدر الأول: القرآن الكريم

كان القرآن الكريم ولا يزال محوراً للثقافة الإسلامية، والحركات الفكرية وسائر النشاطات العقلية. حرضت آياته على النظر فيه والتأمل فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

ولئن كانت الأمم توجد ثقافتها، وتحدد معالم شخصيتها، فإن القرآن الكريم أوجد أمة الإسلام، وأنار لها معالم حضارتها بين الأمم، وفيما يلي إلقاء الضوء على جوانب خاصة بالقرآن:

المبحث الأول

مصوب

تعريف القرآن، أسماؤه، بعض خصائصه، نزوله منجماً

المطلب الأول: تعريف القرآن:

(القرآن) لغة مصدر (قرأ) على وزن فُعلان مثل غُفران وشُكران قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة:١٦-١٨].

فالله سبحانه تكفل لرسوله ﷺ بجمع القرآن في – صدره وقراءته – أي تيسير النطق به وتلاوته على لسانه – فإذا أنطق الله به لسانه وتلاه فليتبع تلاوته. فكلمات (وقرآنه، قرأناه، قرآنه) كلها بمعنى القراءة والتلاوة[٦].

أما تعريف القرآن اصطلاحاً – في اصطلاح علماء الشريعة – فهو: **كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته**[٧].

---

(٦) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ٧.
(٧) مناهل العرفان ١/ ١٣.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: أسماء القرآن الكريم:

للقرآن الكريم أسماء كثيرة، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وكثير منها أوصاف للقرآن عدها بعضهم أسماء القرآن. ومن أشهر الأسماء:

١) القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

٢) الكتاب: كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠].

٣) الفرقان: كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

٤) الذكر: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

المطلب الثالث: بعض خصائص القرآن الكريم:

نقله متواتراً: فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن كما أنزل على قلب محمد ﷺ من غير نقص أو زيادة، ومن غير تحريف أو تبديل، فهيأ لهذا الحفظ أسبابه بتيسير حفظه عن ظهر قلب ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]، فهو ينقل من جيل إلى جيل، من الصدور إلى الصدور متواتراً – أي: ينقله جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب – وأما كتابته في المصاحف فهو من باب زيادة التوثيق، أما العمدة في نقله المتواتر فهو المشافهة.

جمعه بين دفتي المصحف: كان رسول الله ﷺ عندما تتنزل عليه الآيات، يأمر بعض كتاب الوحي بكتابته، فلما توفي رسول الله ﷺ كان كل القرآن مكتوباً، إلا أنه لم يكن مجموعاً في مكان واحد، فلما كانت حروب الردة، وقتل كثير من حفظة القرآن خشي المسلمون من ضياع شيء من القرآن، فقام أبو بكر بجمع القرآن بإشارة من عمر بن الخطاب – رضي الله عنهم جميعاً – فجمعوه في مصحف، وفي عهد عثمان – رضي الله عنه – استنسخ من مصحف أبي بكر عدة نسخ لحاجة الأمصار إليها. فكانت هذه النسخ مرجع المسلمين في أقطارهم(٨).

(٨) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة، ص٢٨٠.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إعجازه: كل الأنبياء يؤيدون بمعجزات تؤيد صدقهم، وأوتي رسول الله ﷺ معجزات كثيرة، إلا أن معجزته الخالدة الباقية إلى يوم القيامة المتجددة في إقامة الحجة على الأجيال هي القرآن العظيم.

اشتماله على الرسالة: إن القرآن الكريم اشتمل على الإسلام كله، فالمعجزة هي الرسالة، والرسالة هي المعجزة، ولم يتوفر لأي معجزة للأنبياء مثل هذه المزية.

محذوف

المطلب الرابع: نزول القرآن منجماً:

بدأ نزول القرآن الكريم بالآيات الخمس الأولى من سورة العلق ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١-٥]، واستمر نزوله حسب الوقائع والأحداث، وحسب متطلبات تصحيح العقائد ثلاثة عشر عاماً في مكة، ويسمى القرآن المكي – وهو الذي نزل قبل الهجرة –[9]، كما استمر نزوله حسب متطلبات التشريع، وبناء المجتمع في المدينة عشرة أعوام ويسمى القرآن المدني[10] – وهو الذي نزل بعد الهجرة – وختم نزوله بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

فقال رسول الله ﷺ، ضعوها على رأس المئتين والثمانين من سورة البقرة، وتوفي بعدها رسول الله ﷺ بأيام معدودة عن عمر بلغ الثالثة والستين[11].

وقد اعترض المشركون على نزول القرآن مفرقاً منجماً، فأورد الله جل جلاله اعتراضهم ورد عليهم ببيان الحكمة من نزول القرآن منجماً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣]. فمن هذه الحكم:

١. تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ ولهذا التثبيت صور وطرائق منها:

أ. مواساة رسول الله ﷺ وتسليته عما يلقاه من المشركين من عناد وقسوة وتطاول عليه وإيذاء له، وكان رسول الله ﷺ يتألم لهذا العناد، وربما خطر له أن التقصير منه، فكانت الآيات تنزل المرة تلو المرة لتخفف عنه، وتبين له أنه قام بالتبليغ

---

(٩) انظر تهذيب وترتيب الاتقان في علوم القرآن، محمد عمر بازمول، ص١٠١.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢٠٩.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والبيان، ولكن هداية التوفيق بيد الله تعالى وليس بيد غيره. فنقرأ مثل هذه التسلية في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ [الكهف:٦] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ... ۝٥٦ ﴾ [القصص:٥٦].

ب. بيان سنة الله تعالى في الأنبياء والمرسلين من قبله، وأن الأقوام ديدنهم تكذيب أنبيائهم، وما على الأنبياء إلا الصبر على ما هم عليه من الدعوة، وأن العاقبة لهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣٤ ﴾ [الأنعام: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٢٠ ﴾ [هود: ١٢٠]... فالتذكير بذلك المرة تلو الأخرى من دواعي التثبيت والاستمرار.

ج. نزول القرآن الحين بعد الحين على قلب رسول الله ﷺ يدخل الطمأنينة إليه بأن ربه لم يتركه، وأنه مؤيده وناصره كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [الضحى:١-٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩ ﴾ [الطور: ٤٨-٤٩].

وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩ ﴾ [النمل: ٧٩].

٢. تيسير حفظه وفهمه:

نزل القرآن الكريم والأمية فاشية في العرب ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢ ﴾ [الجمعة:٢]، ولم يكن عند القوم من أدوات الكتابة إلا القليل، فكانوا يعتمدون على ذاكرتهم في حفظ ما يريدون، فلو نزل القرآن جملة واحدة لما استطاعوا حفظه وتطبيقه.

فكان القرآن ينزل مفرقاً خمس آيات على الأغلب أو أقل أو أكثر فيسهل عليهم حفظه، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهم أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن

الجديد و طصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والعلم والعمل جميعاً(١٢)، وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يعلم أصحابه القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات(١٣).

٣. التحدي به المرة تلو المرة لإبراز إعجازه:

عندما وقف المشركون في وجه الإسلام، وزعموا أن محمداً ﷺ اختلق القرآن وجاء به من نفسه، تحداهم القرآن بأن يأتوا بمثل القرآن، فإن محمداً ﷺ من البشر وهم أقدر على التأليف منه؛ لأنه أمي وهم قارئون كاتبون، فإن عجزوا فليوقنوا أن القرآن منزل من عند الله ودور محمد ﷺ هو التبليغ والبيان، فلما أصروا على عنادهم جاء القرآن يتحداهم أن يأتوا بمثله ويستثير حفيظتهم في ذلك: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

فلما عجزوا أرخى لهم العنان ونزل معهم إلى التحدي بأن يأتوا بعشر سور مثله، وما داموا يزعمون أن محمداً يفتريها ويختلقها، فليأتوا بها مفتريات من عند أنفسهم: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود: ١٣].

فلما لم يردوا جواباً وهم مقرون بعجزهم في قرارة أنفسهم، تنازل معهم إلى التحدي بسورة واحدة كل ذلك في المرحلة المكية، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس: ٣٧-٣٨].

ولقطع دابر المزاعم والتقولات أن القرآن تحدى أناساً أميين في مكة فعجزوا ولو تحدى أهل الكتاب لأتوا بمثله، تكرر التحدي بسورة واحدة في المرحلة المدنية قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

---

(١٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة، ص(٨٣).
(١٣) المرجع السابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن تكرار التحدي المرة تلو المرة وعدم قيامهم بالإتيان بمثله أبرز لإعجاز القرآن، وأبلغ في إقامة الحجة عليهم وأظهر لعجزهم. ولا يتحقق ذلك إلا إذا نزل القرآن منجماً مفرقاً(١٤).

٤ .التدرج في التربية والتشريع:

إن قوماً استشرى فيهم الجهل والفساد، وسيطر على عقولهم تقليد الآباء ومسايرة العادات والأعراف، ما كانوا لينتقلوا من هذه الحالة بين عشية وضحاها، لذا نزل القرآن مفرقاً؛ ليرتقي بهم خطوة خطوة وليخرجهم من مستنقع الجاهلية الآسن، إلى درجات الكمالات الإنسانية، فنزل أول ما نزل يدعوهم إلى توحيد الله ونبذ ما سواه من العقائد الفاسدة من الوثنيات والشرك، ويدعوهم إلى الإيمان باليوم الآخر ويفصل لهم ما ينتظرهم من النعيم المقيم في جنات الخلد إن آمنوا بالله وحده لا شريك له، ويوضح لهم المهالك وسوء المصير إن بقوا على شركهم وانحرافاتهم العقدية والسلوكية، ويدعوهم إلى تدبر أحوال الأمم السابقة التي كانت في أطراف جزيرتهم، ماذا أصابهم عندما كذبوا المرسلين؟!

ودعاهم القرآن الكريم إلى استعمال عقولهم للنظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض، كما دعاهم القرآن إلى التمسك بمحاسن الأخلاق وأصول العبادات، وجعل الحلال والحرام ميزاناً في مطاعمهم ومشاربهم وأموالهم وأعراضهم ودمائهم. نقرأ ذلك في ثنايا القرآن الكريم النازل في المرحلة المكية في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣].

وبعد أن رسخت دعائم الإيمان في قلوبهم، واتقدت جذوته في نفوسهم، وصاروا على استعداد لبذل كل ما يملكون في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، نزلت التشريعات التفصيلية في الصوم والزكاة والحج والجهاد والتعامل المالي المباح كالبيوع والإجارة، وبيان التعامل المالي المحرم كالربا والرشوة والميسر، ومعظم التشريعات التفصيلية

(١٤) انظر كتاب مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم، ص٣٨.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نزلت في المرحلة المدنية، وبهذا التدرج نجح الإسلام نجاحاً باهراً في هذه النقلة الضخمة للقوم لإخراجهم من حضيض الجاهلية، ليكونوا خير أمة أخرجت للناس، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (إنما نزل أول ما نزل منه سور من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنى أبداً)(١٥)، ونزول القرآن جملة واحدة لا يحقق هذا التدرج، كما أنه يوقعهم في الطفرة من لا شيء إلى كل شيء، وهو المنهج الخاطئ في التربية.

٥. مراعاة الوقائع والحوادث والإجابة على الاستفسارات:

لقد رافق نزول القرآن الكريم مسيرة الدعوة الإسلامية، فكلما أثار القوم شبهة أو تهمة رد القرآن الكريم عليها وبين لهم الحق: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]، كما أن المسلمين كانوا يوجهون إلى رسول الله ﷺ بعض الاستفسارات بغية معرفة حكم الله في قضاياهم، وما يعتريهم من مشكلات، فينزل القرآن للإجابة على هذه الاستفسارات وحل تلك المشكلات، وربما بدر من بعض المسلمين مواقف فيها قصور أو خطأ، فكان القرآن ينزل للتسديد وتصحيح المواقف، ولا مجال لمثل كل ذلك لو نزل القرآن جملة واحدة، ونزول القرآن بعد الحادثة أو بعد السؤال يترك أثراً فعالاً في نفوس السائلين أو أصحاب الحادثة، فكانت الحكمة تقتضي أن ينزل القرآن مفرقاً.

هذه جملة من الحكم في نزول القرآن منجماً(١٦)، وكل ذلك يصب في بوتقة واحدة أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولو تدبر المنصف آياته لأدرك ذلك ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

المبحث الثاني
إعجاز القرآن

مهم

جرت سنة الله جل جلاله في النبوات أن يزود النبي بآية – معجزة – تكون دليل صدقه، وذلك لأن النبي لا يتميز عن البشر بشيء مادي في خلقته ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ... ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١٥) أخرجه البخاري رقم ٤٧٠٧ باب تأليف القرآن ٤/ ١٩١٠.
(١٦) انظر هذه الحكم وغيرها في كتاب المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة، ص٦٩ وما بعدها.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لذا قال العلماء المعجزة قرينة الرسالة[17]. فكل نبي له معجزاته أو معجزته يقول الرسول ﷺ ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة[18].

معلوب

المطلب الأول: تعريف المعجزة:

الإعجاز والمعجزة في اللغة من عجز، والعجز ضد القدرة، وعجز عن الأمر إذا قصر عنه.

والمعجزة في اصطلاح علماء الشريعة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة يظهره الله على يد رسله[19].

وسنة الله تعالى في معجزات أنبيائه أن يكون من جنس المشهور عند قومهم. فكانت معجزات موسى عليه السلام في ظاهرها مثل السحر، ومعجزات عيسى عليه السلام في ظاهرها مثل الطب، ومعجزة نبي الله صالح عليه السلام من بيئة القوم الصحراوية، ومعجزة رسول الله ﷺ العظمى (القرآن الكريم) من جنس ما اشتهر به العرب يومئذٍ، حيث بلغت الفصاحة والبلاغة شأواً بعيداً عند القوم، فربما ارتفعت مكانة القبيلة ببيت من الشعر، وربما نزلت إلى الحضيض بسبب قصيدة هجاهم فيها شاعر من الشعراء.

فتحداهم القرآن المرة تلو المرة أن يأتوا بمثله، أو بمثل عشر سور مثله، أو بمثل سورة فعجزوا، ولجؤوا إلى إغراء رسول الله ﷺ لترك دعوته بالمال والجاه والنساء، كما لجؤوا أحياناً إلى التهديد والوعيد، وإلى المساومة، كل ذلك والقرآن يتحداهم فرادى ومجتمعين أن يأتوا بمثله إن كانوا يزعمون أن محمداً يؤلفه وهم حريصون على إبطال دعوته وكشف حقيقته. فإن عجزوا فعليهم أن يستسلموا ويقروا بأن القرآن منزل من عند الله[20].

ولما طالبوا رسول الله ﷺ بالمعجزات المادية، أشار القرآن الكريم إلى أن المعجزة التي بين أيديهم كافية إن أرادوا الوصول إلى الحقيقة: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٌ

(١٧) انظر مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم، ص٢٣.
(١٨) أخرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري رقم ٤٦٩٦، باب كيف نزل الوحي ٤/ ١٩٠٥.
(١٩) انظر مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم، ص١٤، وانظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤/ ٣ ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٦٦.
(٢٠) انظر مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم، ص٣٨.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مِّن رَّبِّهِۦ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١].

مطلوب

المطلب الثاني: وجوه إعجاز القرآن:

يمكن إجمال وجوه إعجاز القرآن في أربعة أوجه:

الوجه الأول/ الإعجاز البياني:

ويقصد به نظم القرآن المحكم: فلو رفعت كلمة من القرآن وأدير لسان العرب لكي توضع كلمة أخرى مكانها لم يستطع أحد إلى ذلك سبيلاً، فالكلمات القرآنية فيها من دقة المعاني وجمال اللفظ والترابط مع مثيلاتها في الآية كنظم الدرر الذي لا يدرك أوله من آخره في التناسق والتناسب، وكذلك الأسلوب القرآني المعجز الذي يجمع بين الفخامة والعذوبة[٢١] والسلاسة والدقة في التعبير عن المعاني، وقد بلغ الأسلوب القرآني القمة في الفصحاحة والبلاغة في شتى المجالات والميادين التي تعرض لها القرآن الكريم، وهذه الظاهرة عامة في كل سور القرآن الكريم، سواء ما نزل فيها في المرحلة المكية أم المرحلة المدنية، ولا اختلاف أو تباين في الأسلوب القرآني ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢][٢٢].

الوجه الثاني/ الإعجاز العلمي:

والمراد به اللفتات والإشارات التي جاءت في القرآن الكريم إلى المخلوقات لإبراز عظمة الله تعالى وقدرته ووحدانيته من خلال دقة صنعها، فقد جاءت آيات كثيرة تشير إلى حقائق في الكون (الفلك) وفي الطبيعة (الجبال، والأنهار، والنبات)، (والحيوان والإنسان) وغير ذلك، وكلما تقدم العلم واكتشفت البشرية حقائق وسنناً في الكون نجد إشارات في القرآن إلى هذه الجوانب سبقت العلم إلى ذلك، ولم يستطع

---

(٢١) انظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، رسالة الخطابي (بيان إعجاز القرآن)، ص٢٦.

(٢٢) من أمثلة الإعجاز البياني في الإيجاز قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧]. حيث اشتملت الآية الكريمة على أمرين ونهيين، وخبرين، وبشارتين. وللمزيد من الأمثلة انظر كتاب مباحث في إعجاز القرآن، ص١١٧ وما بعدها.

الجديد طهري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحد إلى يومنا هذا أن يبطل حقيقة من الحقائق التي ذكرها القرآن، ويدعي أنها مصادمة للحقائق العلمية المسلم بها عند أهل الاختصاص.

وقد تعهد القرآن الكريم أن يبرز جوانب من إعجازه في كل عصر؛ ليقيم بذلك الحجة على كل جيل، ويبين لهم أن القرآن منزل من عند الله ﷻ ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣].

وهذا الوعد منسجم تماماً مع الرسالة الخاتمة المستمرة إلى يوم القيامة؛ فلابد أن تكون معجزتها أيضاً مستمرة دائمة متجددة.

إن الحقائق الكونية التي جاءت في القرآن الكريم، لا يستطيع أحد من البشر أن يحيط بها مهما اتسعت مداركه العلمية، فكيف يكون الحال إذا جاءت هذه الحقائق على لسان رجل أمي عاش في بيئة أمية، لاشك أن هذا يدل دلالة قاطعة أن القرآن منزل من الله تعالى ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦][٢٣].

الوجه الثالث/ الإعجاز التشريعي: محذوف

لقد جاء القرآن الكريم بهدايات تنظم علاقة الإنسان بنفسه وبغيره وبالله سبحانه وتعالى، ففيه الهدايات المتعلقة بالعقائد، وفيه الهدايات المتعلقة بالتشريعات لتنظيم أمور المجتمع، وفيه الأخلاق التي تعتبر ثمرات للعقيدة، لقد شبه القرآن الكريم العقيدة الإسلامية بجذور الدوحة الضاربة في الأرض، والتشريعات التفصيلية بجذع الشجرة وأغصانها المتفرعة، والأعمال الصالحة والأخلاق الإسلامية بالثمار اليانعة التي تحملها: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

لم يذكر لنا التاريخ أن أحد المفكرين أو المصلحين أتى بتشريعات كاملة، ينظم فيها شؤون دولة من الدول أو مجتمع من المجتمعات مهما أوتي من العلم والحكمة،

---

(٢٣) من أمثلة الإعجاز العلمي قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾ [القيامة: ٤] في إشارة إلى البصمات وتحقيق الشخصية، وقوله تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ... ﴾ [الزمر: ٩]. إشارة إلى السوائل الثلاثة المحيطة بالجنين. للمزيد من الأمثلة على الإعجاز العلمي انظر كتاب مباحث في إعجاز القرآن، ص١٥٧ وما بعدها.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد سجل التاريخ بعض الشخصيات ولكن تشريعاتهم كانت متأثرة ببيئتهم المحدودة وثقافتهم، مما أثار عليهم الاعتراضات الكثيرة وأثبتت الحوادث فشلها، كالمشرعين اليونايين والرومان وحكام بابل كحمورابي وغيرهم(٢٤).

لقد جاءت التشريعات الربانية في القرآن الكريم لمجالات الحياة كلها، وأنشأ مجتمعاً ربانياً تحققت فيه السعادة والعزة والطمأنينة في أجلى مظاهرها، وكلما طبق المسلمون هذا المنهج الرباني ازدادوا عزاً وسعادة، وكلما ابتعدوا عنه أصابهم الذل والهوان والشقاء، فلا يمكن لإنسان أمي أن يأتي بمثل هذه الهدايات الشاملة الموضوعية في شؤون الحياة كلها، بل هو الدليل على أن محمداً ﷺ تلقاه من خالق السماوات والأرض وما بينهما ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾ [النمل:٦](٢٥).

الوجه الرابع/ الإعجاز الغيبي:

ويقصد بهذا الوجه ما ورد في القرآن الكريم من الأخبار الغيبية سواء ما كان متعلقاً منها:

أ. بالماضي السحيق: كبدء خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وأخبار الأمم السابقة مع الأنبياء، وغيرها من الأحداث التي لا يستطيع أحد الإطلاع عليها إلا عن طريق النقل، ولم يكن أحد من بيئة قريش يعلمها يقول جل ثناؤه: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٩ ﴾ [هود: ٤٩].

ب. أم كانت هذه الغيوب في عصر الرسول ﷺ ولكنه لم يحضر حوادثها فأخبر القرآن الكريم عنها لإطلاع الرسول ﷺ على ما يجري في غيبته، وخاصة ما كان يحيكه اليهود والمنافقون في الخفاء لحرب الله ورسوله، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ

---

(٢٤) المعجزة الكبرى لمحمد أبي زهرة، ص٤٥٥.

(٢٥) انظر الآيات المتعلقة بالعلاقات الدولية في سورة الأنفال والتوبة، والآيات المتعلقة بالاقتصاد في آيات سورة البقرة والحشر، والآيات المتعلقة بالمواريث في سورة النساء .. وغيرها.

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة: ٤١].

وكما جاءت الآيات تعري حقيقة المنافقين وما كانوا يقولونه في غيبة رسول الله ﷺ: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٢].

ج. أم كانت الأخبار الغيبية تتعلق بأحداث ووقائع في المستقبل.

وغيب المستقبل له أقسام:

١. قسم أخبر به القرآن الكريم ووقع في حياة رسول الله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القمر: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الروم: ١-٥] وما أخبر عنه بموت بعض الكفار من قريش على كفرهم...

٢. وقسم أخبر عنه القرآن الكريم ووقع بعد وفاة رسول الله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ... ﴿١٦﴾ ﴾ [الفتح: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴾ [النور: ٥٥].

٣. وقسم أخبر عنه القرآن الكريم لم يقع بعد، وسيقع حتماً لأن الله لا يخلف الميعاد، كالأحداث التي تكون قبل قيام الساعة من اختلال النظام الكوني ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ ﴾ [القيامة: ٩] ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١-٢] وخروج يأجوج ومأجوج قبل ذلك...

إن أخبار الغيوب التي أخبر عنها القرآن الكريم سواء ما كان منها في الماضي السحيق، أو الحاضر الذي جرى في عهد رسول الله ﷺ، أم ما أخبر عن وقوعه في مستقبل الأيام، ما كان لبشر عاقل أن يربط مصير دعوته بهذه الأمور الغائبة لو لم يكن على ثقة مطلقة من الركن القوي الذي يستند إليه في إطلاق هذه الأخبار، إن أنباء الغيب التي طابقت ما كان عند أهل الكتاب من الأخبار الماضية، وما اعترف بها أصحابها في عهد رسول الله ﷺ وما كان في مستقبل الأيام لدليل ظاهر على أن الرسول ﷺ يتلقى القرآن من لدن حكيم خبير(٢٦).

---

(٢٦) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/ ٢٦٩.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث
ترجمة القرآن الكريم

محذوف

المطلب الأول: تعريف الترجمة:

في اللغة: يقال ترجم الكلام: بينه ووضحه، وترجم: بلغ ونقل، وترجم لفلان: ذكر سيرته وتاريخه[٢٧].

وترجمة القرآن الكريم في الاصطلاح: بيانه وتوضيحه بلغة أخرى[٢٨].

وتطلق الترجمة في العرف على معنيين:

١. الترجمة الحرفية: وهي نقل ألفاظ من لغة إلى لغة أخرى بحيث تقابل اللفظة بمثلها من غير إخلال بترتيب الكلام المترجم.

٢. الترجمة التفسيرية أو المعنوية: وهي أن ينقل مضمون الكلام إلى لغة أخرى من غير التزام بنظم الألفاظ وترتيبها أو عدد الكلمات المترجم إليها.

المطلب الثاني: الترجمة الحرفية مستحيلة عادة وممنوعة شرعاً.

أما الاستحالة؛ فلأن ترتيب الجملة في اللغة العربية يختلف عن ترتيبها في اللغات الأخرى، فالجملة الفعلية تبدأ بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول، ولا يختلف هذا الترتيب إلا لأمر بلاغي، أما في اللغات الأخرى فيختلف الترتيب حيث تبدأ الجملة في كثير منها بالفاعل، ولكل لغة خصائصها في التعبير وفي استخدام الكلمة في الحقيقة أو في المجاز، وهنالك الأساليب المختلفة في الأداء من حيث التشبيه والاستعارة والكنايات، واللغة العربية من أوسع اللغات استعمالاً للأساليب البيانية وعلم البديع، ولا يقابلها شيء في اللغات الأخرى.

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

يؤخذ من ظاهر الآية صورة غير مرادة على الإطلاق، فإن النهي عن ضم اليد إلى العنق، أو مدها على طولها ليس مراداً من الآية الكريمة، بينما المراد هو النهي عن

---

(٢٧) المعجم الوسيط ١/ ٨٣.

(٢٨) المرجع السابق.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التقتير في الإنفاق، وكذلك النهي عن الإسراف والتبذير في الإنفاق، والالتزام بالاعتدال والوسطية، وهذا المعنى المراد لا تدل عليه لفظة في ظاهرها إذا استعملنا الكلمات في حقيقتها ولم نراع استعمالها في المجاز.

والترجمة الحرفية ممنوعة شرعاً؛ لأن الزعم بأن المترجم نقل معنى الآية حسب مراد الله غير صحيح؛ فإن المعنى الكامل للآية حسب مراد الله خارج طوق البشر، وإنما يفهم المفسر أو المترجم من الآية حسب طاقته البشرية، ولا يستطيع أحد أن يدعي أن مراد الله في الآية محصور في هذا الفهم، كما أن الترجمة الحرفية قد توهم أن هذا الكلام شبيه أو مثيل للقرآن، وهذا مصادم لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فلا يقال للترجمة مهما كانت دقيقة: قرآناً، ولا يقال لها: إنها كلام الله؛ لأن كلام الله هو المنزل بلفظه على محمد ﷺ، وهذه الترجمة كلام المخلوق ومن صنع البشر وضمن طاقته، وكلام الله المعجز لا يحيط بأسراره أحد، ولا ترتقي الأساليب البشرية إلى آفاق فصاحته وبلاغته.

المطلب الثالث: الترجمة التفسيرية

أما الترجمة التفسيرية أو المعنوية: فهي ممكنة في العادة، ومطلوبة شرعاً.

أما إمكانها: فإنها لون من تفسير القرآن الكريم، فكما يفسر القرآن باللغة العربية لبيان معانيه، وشرح الغامض، وتفصيل المجمل، واستنباط الهدايات منه، فكذلك تفسيره بأي لغة أخرى ممكن؛ لنقل المعاني وتوضيحها بلغة أخرى، فإن المترجَم عندئذ هو فهم المترجم للمراد بالآية حسب طاقته البشرية. ولا يدعي أن مراد الله من الآية هو ما ترجمه، كما لا يلتبس الأمر على أحد أن هذه المعاني المترجمة ليس كلام الله، وإنما هي كلام المترجم[٢٩].

وهذه الترجمة التفسيرية مطلوبة شرعاً لأسباب، منها:

١. تيسير فهم القرآن الكريم على المسلمين من غير العرب؛ لإدراك معاني القرآن واتباع هداياته.

٢. ولإدراك محاولات أعداء الإسلام تشويه حقائق الإسلام من خلال ترجمات لمعاني القرآن حرفوها عن جهل أو عن قصد، فقد وقع كثير منهم في أخطاء بسبب

---

(٢٩) مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٧ وما بعدها.

الجديد و طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جهلهم بأسرار اللغة العربية وأساليبها، ووقع كثير منهم في انحرافات عن قصد؛ لتشويه حقائق الإسلام، فالترجمة الدقيقة الصحيحة لمعاني القرآن تكشف هذه المحاولات.

٣. والترجمة الدقيقة لمعاني القرآن الكريم تقيم الحجة على غير المسلمين الذين يريدون معرفة الإسلام بعيداً عن المؤثرات والشبهات التي يثيرها أعداؤه، فقد وصل الإسلام مشوهاً إلى كثير من الناس، فلم يعرفوا الإسلام إلا عن طريق المستشرقين وأعداء الإسلام، فبقوا رهن تصورات خاطئة عن الإسلام، ومنعتهم هذه التصورات من الاطلاع على عظمة الإسلام ومحاسنه.

٤. ومن خلال الترجمة الدقيقة لمعاني القرآن يستطيع الداعية إلى الله تعالى أن يقوم بواجب الدعوة والتبليغ بنقل الهدايات القرآنية إلى الأقوام والشعوب بلغاتهم التي نشأوا عليها، فإن مخاطبة الأقوام بلغاتهم تفتح القلوب والبصائر أمام دعوة الله تعالى[٣٠].

تعقيب: الترجمة التفسيرية لا تسمى قرآناً، وبالتالي لا تصح بها الصلاة سواء كان المصلي قادراً على العربية أم عاجزاً عنها، ولا يتعبد بتلاوتها، وعلى المسلم المبتدئ أن يتعلم من القرآن ما تصح به صلاته.

مطلوب محذوف ٢٠٠٩/ ٢٠١٠

المبحث الرابع
جمع القرآن

المطلب الأول: الجمع الأول في عهد رسول الله ﷺ:

نزل القرآن الكريم مفرقاً منجماً، وكان رسول الله ﷺ حريصاً على عدم تفلت شيء منه، فكان يردد ما يلقيه عليه جبريل – عليه السلام – قبل أن ينتهي من تلقينه، حتى نزل قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة: ١٦-١٩] فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يبقى صامتاً مطرقاً حتى ينتهي الوحي، ثم يدعو بعض كتبة الوحي ليكتبوا ما نزل من القرآن على ما تيسر من: الرقاع (وهي من الجلد)، واللخاف (وهي صفائح الحجارة)،

(٣٠) المرجع السابق ٢/ ٣٠ وما بعدها.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والعسب: (جريد النخل)، والكرانيف: (أصول السعف الغليظ) والأقتاب: (الخشب يوضع على ظهر البعير)، والأكتاف: (العظم للبعير أو الشاة)[٣١].

وكان الصحابة – رضوان الله عليهم – حريصين على حفظ ما نزل أولاً بأول، فتوفي رسول الله ﷺ والقرآن مجموع في الصدور، وكان جبريل يعارض الرسول ﷺ بالقرآن كل سنة في ليالي رمضان، وعارضه في السنة التي توفي فيها مرتين.

ومن أشهر من حفظ القرآن كله وكانوا مرجع الصحابة في الإقراء والتعليم: الخلفاء الراشدون، وعبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل (مولى أبي حذيفة)، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء، وسعيد بن عبيد، وممن حفظه، وربما استكمل حفظه بعد وفاة رسول الله ﷺ عائشة، وحفصة، وأم سلمة وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير ... وغيرهم.

وكان القرآن مكتوباً كله عند وفاة رسول الله ﷺ، إلا أنه لم يكن مجموعاً في مكان واحد، ولم يكتب على قطع متناسقة، فكل سورة أو مجموعة سور قصار كان يكتب في أحجام متناسقة، ويربط عليها الخيط، ويوضع في بيوت أمهات المؤمنين أو في بيوت بعض كتاب الوحي.

ومن أشهر كتاب الوحي: علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ... وغيرهم، وكثير من الصحابة كان يكتب لنفسه خاصة. هذا اللون من الجمع تم في عهد رسول الله ﷺ.

وعدم جمعه في مكان واحد مكتوباً على قطع متناسقة يعود لسببين:

الأول: ترقبهم نزول الوحي في كل لحظة..

الثاني: ندرة وسائل الكتابة[٣٢].

المطلب الثاني: الجمع الثاني في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتدت كثير من قبائل العرب، فكانت حروب الردة وكان وقود هذه المعارك كبار صحابة رسول الله ﷺ من العلماء القراء – وكان قد استشهد في حياة رسول الله في بئر معونة سبعون من القراء – فهال عمر بن

---

(٣١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص١٢٣.
(٣٢) تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن، ص١٥٣.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخطاب ما فجع به المسلمون من ذهاب القراء في حروب الردة؛ فدخل على أبي بكر وطلب منه أن يأمر بجمع القرآن، وقال: إن القتل قد استحر - اشتد - يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، نفر أبو بكر من اقتراح عمر في البداية، وقال: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ فما زال عمر بأبي بكر يبين له أهمية الأمر ووجه المصلحة فيه، حتى شرح الله صدر أبي بكر لذلك، فأرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت وعنده عمر، فأشار عليه بالقيام بهذه المهمة، وقال: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه[٣٣].

ما كان زيد أقل تحرجاً من أبي بكر، فما زال أبو بكر وعمر به حتى شرح الله صدره للمهمة، يقول زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبلٍ من الجبال ما كان بأثقل علي مما كلفني من جمع القرآن، فقام زيد بن ثابت وعمر - رضي الله عنهما - ووضعا خطة لجمع القرآن كالتالي: أعلنا للصحابة أن من كان عنده شيء من القرآن مكتوباً فليأت به، وعينوا بعض الصحابة للاستقبال والمقارنة وللنسخ والكتابة، فكانت مصادر التوثيق كما يلي:

١. حفظ اللجنة المكلفة بالجمع وعلى رأسها زيد بن ثابت وعمر بن الخطاب.
٢. ما كتبه كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وكان موزعاً في بيوت أمهات المؤمنين وبعض كتاب الوحي فجمع عند اللجنة.
٣. حفظ الصحابي الذي يأتي بها معه من القرآن.
٤. المكتوب الذي كتبه الصحابي لنفسه.
٥. شاهدان يشهدان أن هذا المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ[٣٤].

فإذا اجتمعت هذه المصادر الخمسة على السورة أو الآية دونتها اللجنة في المصحف.

وهكذا جمع القرآن في عهد أبي بكر الجمع الثاني على قطع متناسقة متساوية في الحجوم، مرتب الآيات والسور، بطريقة توثيقية لم يعرف التاريخ البشري لها مثيلاً من حيث الضبط والإتقان، يقول علي بن أبي طالب: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله[٣٥]. ووضع المصحف في بيت أبي

---

(٣٣) انظر الرواية مطولة في البخاري رقم (٤٧٠١) باب جمع القرآن ٤/ ١٩٠٧.
(٣٤) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص١٣٢.
(٣٥) المرجع السابق، ص١٣٢.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بكر، فلما توفي السنة الثالثة عشرة للهجرة، نقل إلى بيت عمر بن الخطاب، فلما مات صار إلى بيت حفصة أم المؤمنين، فلما كانت خلافة عثمان بن عفان طلب المصحف ليستنسخ منه.

المطلب الثالث: الجمع الثالث في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية إلى بلاد الهند شرقاً وإلى أرمينية وأذربيجان شمالاً وإلى مصر وأفريقيا غرباً، وضمت جزيرة العرب كلها، ودخل في الإسلام أمم وشعوب احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فرحل صحابة رسول الله ﷺ إلى الأقطار ومعهم كبار التابعين؛ لتعليم القرآن ونشره، وكان القرآن قد نزل على سبعة أحرف تيسيراً على الأمة، فإذا قرأ المسلم بأي حرف منها أجزأه، وكانت هنالك بعض الفروق في الأحرف، وتلقى أهل الأقطار هذه القراءات من صحابة رسول الله ﷺ، وكثير منهم لا يعلمون نزول القرآن على سبعة أحرف كلها كافية شافية، فتمسكوا بالوجه الذي تلقوه من الصحابي المعلم فلما اجتمع الناس في بعض المغازي، وسمع بعضهم من بعض ما يحفظون من القرآن، ووقفوا على أوجه الخلاف في القراءات، أنكر بعضهم على بعض، وكل يقول إن قراءته هي الصحيحة، سمع حذيفة بن اليمان طرفاً من الاختلاف بين أهل الشام – الذين تلقوا القراءة من أبي بن كعب – وبين أهل العراق – الذين كانوا يقرؤون بقراءة عبدالله بن مسعود – وكانوا قد اجتمعوا في غزو أرمينية وأذربيجان، ففزع حذيفة مما سمع، وقدم على عثمان بن عفان – أمير المؤمنين في المدينة – وقال له: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فاستشار عثمان بن عفان كبار صحابة رسول الله ﷺ في المدينة فأجمعوا على أن يكتب القرآن على حرف واحد، وتنسخ منه نسخ ترسل إلى الأقطار.

بعد الإجماع على هذا الرأي طلب عثمان بن عفان المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر – وكان عند حفصة – فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٣٦]، (.. فنسخوا منه سبع نسخ أرسلها إلى حواضر المسلمين: مكة المكرمة، والشام، والبصرة، والكوفة، واليمن، والبحرين، وأبقى عنده نسخة في المدينة المنورة..)[٣٧] وأرسل مع كل نسخة قارئاً؛ يعلم الناس

(٣٦) انظر صحيح البخاري رقم (٤٧٠٢) باب جمع القرآن، ٤/١٩٠٨.
(٣٧) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص١٣٤.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القرآن على الحرف الذي جمعوا القرآن عليه (وهو حرف قريش)، وأمر بحرق ما سواه من المصاحف الخاصة التي تخالفه.

كان هذا الجمع والإرسال عام خمسة وعشرين للهجرة، ويسمى المصحف الذي جمعه عثمان بالمصحف الإمام؛ لأن الناس رجعوا إليه، وأخذوا بما فيه عند الاختلاف في وجوه القراءات.

ويسمى الخط الذي كتب به المصحف بالرسم العثماني نسبة إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضي الله عنه –.

وقد أجمع الصحابة على صنع عثمان بن عفان – رضي الله عنه – في هذا الجمع وأثنوا عليه في ذلك؛ لأنه قطع دابر الفتنة والخلاف في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الفرق بين جمع أبي بكر وبين جمع عثمان

هنالك فرق في الباعث للجمع، وفرق في كيفية الجمع:

أ) فالباعث على الجمع في عهد أبي بكر كان خشية ذهاب شيء من القرآن بذهاب حملته، وضياع شيء من القطع المكتوب عليها القرآن، أما الباعث على الجمع في عهد عثمان فهو كثرة الاختلاف في وجوه القراءة وخوف الفتنة بين المسلمين.

ب) والكيفية في جمع أبي بكر كان نقلاً لما كان مفرقاً في الرقاع والعسب والأكتاف، فجمعه في مصحف واحد مرتب الآيات والسور.

أما الكيفية في عهد عثمان فكان نسخاً للقرآن على حرف واحد من الحروف السبعة على نسخ متعددة لتكون مرجع الناس في الأقطار.

المطلب الخامس: مصير المصاحف بعد ذلك:

المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر أعاده عثمان بن عفان إلى حفصة بعد الاستنساخ منه، فلما توفيت في عهد معاوية بن أبي سفيان، وكان مروان بن الحكم أمير المدينة طلبه من أخيها عبدالله بن عمر، فأحرقه ودفنه قطعاً لأطماع الذين تراودهم نفوسهم في إثارة الخلاف مرة أخرى حول الأحرف السبعة، أما المصاحف التي كتبت في عهد عثمان فقد استنسخ منها ملايين النسخ، ولم يدر مصير كل نسخة منها بعد ذلك.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونؤكد هنا أن الأصل في نقل القرآن هو النقل الشفوي متواتراً، أما النقل الخطي فهو لزيادة التوثيق، وكل ذلك تحقيق لوعد الله جل جلاله في حفظ كتابه من الزيادة أو النقصان، والتحريف أو التبديل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر:٩].

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

المصدر الثاني: السنة النبوية

المبحث الأول : تعريف السنة النبوية

المبحث الثاني : حجية السنة النبوية

المبحث الثالث : منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم وعلاقتها به

المبحث الرابع : تدوين السنة النبوية

المبحث الخامس : أنواع الحديث من حيث الثبوت ومن حيث القبول

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني
المصدر الثاني: السنة النبوية

مطلوب

تمهيد: أهمية السنة النبوية في حياة المسلمين:

لئن كان القرآن الكريم المصدر الأول – لتكوين الشخصية الإسلامية فكراً وثقافة ومعتقدات – فإن سنة رسول الله ﷺ تمثل التطبيق العملي لما أنزله الله سبحانه وتعالى في القرآن؛ وذلك لأن مهمة رسول الله ﷺ الأساسية هي: التبليغ، والبيان.

وتبليغ القرآن يكون بتلاوته على الناس، ويكون البيان بالقول إن لزم الأمر، ويكون بالتطبيق العملي للأوامر التي تحتاج إلى التطبيق العملي، كأركان الإسلام الخمسة، وغيرها من شرائع الإسلام.

ومن هنا تأتي أهمية السنة النبوية، فإن المسلم لا يستغني بالقرآن عن السنة النبوية؛ لأن القرآن اشتمل على مبهمات لابد من بيانها، واشتمل على مجملات لابد من تفصيلها، وتضمن عمومات جاء تخصيصها في السنة النبوية، وجاءت قضايا على إطلاقها، وجاءت السنة النبوية بتقييدها.

لقد ظهرت في العصور المتأخرة ناشئة تدعو إلى الاكتفاء بالقرآن، وترك ما سواه، وسموا أنفسهم القرآنيين، وقالوا: إن الله تكفل بحفظ القرآن، ولم يتكفل بحفظ السنة، فنحن نكتفي بالقرآن عما سواه، وهؤلاء قالوا كلاماً ظاهره الحق ولكن أرادوا به الباطل، وصارت دعوتهم معول هدم للقضاء على شريعة الإسلام، وقد حذر من هؤلاء وأمثالهم رسولنا ﷺ وهو يقول: يوشك الرجل متكئاً على أريكته، يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله[1].

ونقول لهؤلاء: من أين تأتون لنا بعدد ركعات الصلوات وكيفية أدائها، وأنصبة الزكاة، ومناسك الحج، وسائر شرائع الإسلام التي جاءت مجملة في القرآن.

إن كون السنة النبوية حجة، ومصدراً من مصادر تشريعنا الإسلامي، جاء به القرآن الكريم، وسنة نبينا ﷺ وأجمع على ذلك علماء المسلمين في جميع عصورهم، والعقل يقضي بذلك.

---

(١) رواه ابن ماجة رقم (١٢) باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ وصححه الألباني ١/ ٦.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطلوب

المبحث الأول
تعريف السنة النبوية

المطلب الأول: السنة في اللغة:

الطريقة والسيرة[٢]، ومنه قول رسول الله ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء .. الحديث"[٣] وقوله عليه الصلاة والسلام عن المجوس: "سنوا بهم سنة أهل الكتاب"[٤].

والسنة في الاصطلاح: ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية أو خُلقية، أو سيرة سواء كان قبل البعثة أم بعدها[٥].

المطلب الثاني: أضواء على التعريف:

ما أثر عن النبي ﷺ من قول: هي السنة القولية، كل ما قاله رسول الله ﷺ مما يتعلق بتفسير القرآن، أو بيان حكم شرعي إجابة على سؤال، أو ما تعلق بتذكير وموعظة، أو كان إرشاداً للخلق دلالة على عمل، فكل ما نطق به رسول الله ﷺ من السنة القولية داخل في قوله تعالى عنه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣-٤].

مثال السنة القولية: قوله عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..)[٦] الحديث. وقوله ﷺ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[٧]، وقوله: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه...)[٨].

---

(٢) النهاية لابن الأثير/ ٨١٣. ط دار المعرفة، تحقيق خليل شيخا.
(٣) رواه مسلم الحديث رقم ١٠١٧.
(٤) رواه مالك الحديث رقم ٦٢٨.
(٥) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٨/ ٦-١٠، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١٣/ ٢٥٢-٢٥٣. نقلاً عن: السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي للشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ص(٨). وأصول الحديث لمحمد عجاج الخطيب، ص(٢٣).
(٦) رواه الشيخان، صحيح البخاري الحديث رقم (١) بدء الوحي وصحيح مسلم الحديث رقم (١٥٥) الإمارة.
(٧) رواه الترمذي (٢١٣٧) وقال حديث غريب، وفي مجمع الزوائد ٨/ ١٨ وقال رواه أحمد والطبراني في الثلاثة، ورجال أحمد والمعجم الكبير ثقات، ورواه مالك في الموطأ رقم (١٦٠٤) ٢/ ٩٠٣.
(٨) رواه البخاري الحديث رقم (١٣) الإيمان ٧.

الجديد و طهري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو فعل (هي السنة الفعلية):

إن شرائع الإسلام العملية التطبيقية نقلت إلينا من خلال تطبيق رسول الله ﷺ فما كان يأمر بشيء إلا ويكون أول العاملين به، وما ينهى عن شيء إلا ويكون أول التاركين له، فعندما أمر بالصلاة ﴿ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٨] صلى رسول الله ﷺ وقال للصحابة - رضوان الله عليهم -: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[٩]، ولما فرض الحج في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] حج رسول الله ﷺ وقال: (لتأخذوا عني مناسككم)[١٠].

وحياة رسول الله ﷺ الخاصة والعامة صفحة مفتوحة منقولة إلى الأمة بدقائقها، حيث إنها مصدر تشريع لهذه الأمة، ولم تنقل حياة أحد من البشر في التاريخ كما نقلت سيرة رسول الله ﷺ، لأن رسول الله ﷺ قدوة المسلمين، ونبراس الهداية في حياتهم إلى يوم القيامة، يقول عز من قائل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

والأمثلة على السنة الفعلية كثيرة جداً مثل، قول الصحابي عن رسول الله ﷺ: (فطاف بالبيت وصلى ركعتين خلف المقام)[١١]، (وكان رسول الله ﷺ يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة)[١٢] (وكان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان[١٣]).

أو تقرير (هي السنة التقريرية): والمقصود بالتقرير أن يقال قول في مجلس رسول الله ﷺ، أو يفعل أحد الصحابة فعلاً، فيقره رسول الله ﷺ صراحة أو يسكت عنه فيعتبر ذلك إقراراً من رسول الله ﷺ لذاك القول أو الفعل.

فمثلاً: روى أبو جحيفة عن أبيه ﷺ قال: ثم آخى النبي ﷺ بين أبي الدرداء وسلمان - رضي الله عنهما - فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كُل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل ذهب

(٩) رواه البخاري رقم (٦٠٥) باب الأذان للمسافر ١/ ٢٢٦.

(١٠) المسند المستخرج من صحيح مسلم لأبي نعيم الأصفهاني ٣/ ٣٧٨ وأصله في صحيح مسلم رقم (١٢٩٧) بلفظ (لتأخذوا مناسككم).

(١١) رواه مسلم (٢٤٧٣) باب في فضائل أبي ذر - رضي الله عنه - ٣/ ١٩٢٣.

(١٢) رواه مسلم (٧٣٦) باب صلاة الليل ١/ ٥٠٨.

(١٣) رواه البخاري (١٩٢٢) باب الاعتكاف ٢/ ٧١٣.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، قال: فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ صدق سلمان(١٤)، فهذا إقرار قولي صريح لقول سلمان.

وقال رسول الله ﷺ عند الخروج إلى غزوة بني قريظة، لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة(١٥)، يستحثهم على الإسراع في الخروج؛ فخرج الصحابة رضي الله عنهم، فمنهم من صلى العصر في الطريق وقال: إنما أراد رسول الله ﷺ بذلك السرعة في الخروج، فأخذوا بمضمون الحديث وروحه، ومنهم من أخذ بالنص الحرفي للحديث وظاهره، فلم يصلوا إلا بعد المغرب في بني قريظة. وكلا الطائفتين أخبروا رسول الله ﷺ فسكت عنهم، ولم يأمر أحداً بإعادة الصلاة فكان إقراراً لفعلهم، وهو إقرار ضمني سكوتي لما فعلوه.

وكان اثنان من الصحابة في سفر وعدما الماء فتيمما وصليا، ثم وجدا الماء فأعاد أحدهما الصلاة التي صلاها متيمماً ولم يُعِد الآخر. فأخبرا رسول الله ﷺ بما فعلا فقال للذي لم يُعِد الصلاة أصبت السنة، وقال للذي أعاد الصلاة كتب لك الأجر مرتين(١٦)، فكان إقراراً صريحاً لفعلهما.

ومن الأمثلة الشهيرة على الإقرار قولهم: أكل الضب على مائدة رسول الله ﷺ ولو كان حراماً ما أكل على مائدة رسول الله ﷺ(١٧).

أو صفة خِلْقية: حيث نقلت إلينا أوصاف رسول الله ﷺ ما يتعلق بجسمه وشعره وهيئته، ولعل أدق وصف لرسول الله ﷺ ما وصفته به أم معبد وهي لا تعرفه - ومن الملاحظ أن أوصاف رسول الله ﷺ الخِلْقية لم ينقلها كبار الصحابة، لأنهم ما كانوا يملؤون عيونهم من النظر إلى رسول الله ﷺ هيبة له، وإنما نقل هذه الأوصاف إما من لا يعرف أنه رسول الله ﷺ، أو نقلها صغار السن من الصحابة؛ فقد روى الترمذي في الشمائل وفي سننه بسنده إلى علي بن أبي طالب وهو ينعت رسول الله ﷺ: لم يكن بالطويل الممغط(١٨)، ولا القصير المتردد، وكان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد(١٩)

---

(١٤) صحيح البخاري الحديث رقم (٥٧٨٨) باب صنع الطعام والتكلف للضيف ٥/ ٢٢٧٣، وأبو جحيفة هو وهب السوائي، ويلقب: وهب الخير.
(١٥) رواه البخاري رقم (٣٨٩٣) باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ٤/ ١٥١٠.
(١٦) رواه الحاكم في المستدرك رقم (٦٣٢) وقال صحيح على شرط الشيخين ١/ ٢٨٦.
(١٧) رواه الشيخان عن ابن عباس - رضي الله عنهما - واللفظ لمسلم رقم (١٩٤٧) باب إباحة الضب.
(١٨) الممغط: المتناهي في الطول.
(١٩) الجعد: ملتوي الشعر منقبض.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

القطط[٢٠]، ولا بالسبط[٢١]، كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهم[٢٢]، ولا بالمكلثم[٢٣]، وكان في الوجه تدوير، أبيض مشرب بحمرة، أدعج العينين، أهدب[٢٤] الأشفار جليل المشاش[٢٥] والكتد[٢٦] أجرد، ذو مسربة[٢٧] شثن الكفين[٢٨] والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب[٢٩]، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفاً، وأشرحهم صدراً، وأصدق الناس لهجة، (وأوفى الناس بذمة) وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[٣٠]. وكذلك وصف أم معبد الخزاعية لرسول الله ﷺ وهي لا تعرفه، حين مر بخيمتها مهاجراً.

أو صفة خُلُقية: وكذلك من أقسام السنة النبوية ما نقل إلينا من أخلاق رسول الله ﷺ، فقد قالت السيدة عائشة: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[٣١].

وكان عليه الصلاة والسلام أجود الناس وأكرمهم، كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، قال ابن عباس: كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فَلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[٣٢]. وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل. قال علي رضي الله عنه: كنا إذا حمي البأس ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحد منا أدنى إلى القوم منه[٣٣].

---

(٢٠) القطط: شديد الجعودة.
(٢١) السبط: المسترسل.
(٢٢) المطهم: منتفخ الوجه، وقيل الفاحش السمن.
(٢٣) المكلثم: اجتماع لحم الوجه بلا جهومة.
(٢٤) أهدب الأشفار: طويل شعر الجفون.
(٢٥) جليل المشاش: عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين.
(٢٦) الكتد: مجتمع الكتفين وهو الكاهل.
(٢٧) والمسربة: رفيع الشعر الذي يصل بين الصدر والسرة.
(٢٨) شثن الكفين: غليظ الأصابع.
(٢٩) كأنما يمشي في صبب: كأنما ينحدر من مرتفع.
(٣٠) جامع الترمذي رقم (٣٦٣٨) وقال حسن غريب باب ما جاء في صفة النبي ﷺ ٥/ ٥٩٩.
(٣١) صحيح البخاري الحديث رقم (٣٣٦٧) ١/ ٥٠٣.
(٣٢) صحيح البخاري الحديث رقم (٣٣٦١) ١/ ٥٠٢.
(٣٣) رواه الحاكم في المستدرك رقم (٢٦٣٣) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٢/ ١٥٥.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أو سيرة: سواء كان قبل البعثة أم بعدها، أما سيرة رسول الله ﷺ فكما قلنا هي التطبيق العملي للإسلام كله، وسيرته بعد البعثة لا خلاف في كونها مصدر تشريع للإسلام، أما سيرته قبل البعثة، فما أيدها أو أقرها أصبحت من السنة التقريرية وهي مصدر تشريع، فمثلاً قوله عليه الصلاة والسلام: حضرت حلفاً في دار ابن جدعان.. لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت(٣٤). فلا شك أن هذا إقرار لحضور الأحلاف مع غير المسلمين إذا كان لدفع الظلم وإحقاق الحق.

أما سيرته قبل البعثة التي لم يرد تقرير لها فهي مصدر من مصادر الثقافة للمسلم لأنها تلقي أضواء على سنن الله سبحانه وتعالى في اصطفاء أنبيائه ورعايتهم وعصمتهم من الزلل ومن عادات الجاهلية وانحرافاتها. فمثلاً: عندما نقرأ في سيرة رسول الله ﷺ: توفي والده وهو في بطن أمه، ثم شعرت أمه بضياء خرج منها عند ولادته، ثم كفالة جده عبد المطلب له، ثم كفالة عمه أبي طالب له. ورضاعته في بني سعد وما جرى له في طفولته.. كل ذلك يدلنا على أن عناية الله كانت ترعاه وهي من جملة ثقافتنا الإسلامية.

روى مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَه، ثم أعاده إلى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني مرضعته – فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون(٣٥).

مطلب

المبحث الثاني
حجية السنة النبوية

مرتبة السنة النبوية في الأهمية تأتي بعد مرتبة القرآن الكريم، وكما تقدم فالسنة النبوية هي الشارحة المبينة للقرآن الكريم، فمن رجع إلى القرآن الكريم ولم يجد فيه طلبته بحث عنها في السنة النبوية، ولم يرد خلاف حول ذلك عن صحابة رسول الله ﷺ ولا من بعدهم من السلف الصالح.

إلى أن نشأ ناشئة اليوم لا يريدون الاحتجاج بسنة رسول الله ﷺ؛ فضلوا بقولهم هذا، ويحاولون إضلال المسلمين بهذه الدعوى الضالة، لقد جاء النص على حجية سنة

---

(٣٤) معتصر المختصر لأبي المحاسن يوسف بن موسى الحنفي ٢/ ٣٧٦.
(٣٥) صحيح مسلم، رقم (١٦٢) باب الإسراء ١/ ١٤٧.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رسول الله ﷺ في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي وعليه إجماع الأمة، كما أن العقل يوجب ذلك:

المطلب الأول: حجيتها من القرآن الكريم:

كل الآيات التي أمرت بطاعة رسول الله ﷺ فإنما هي إحالة إلى الأخذ بسنة رسول الله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥٢]، وقوله تعالى: ﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤] وعشرات الآيات التي تحذر من مخالفة أمر رسول الله ﷺ وتأمر بطاعته، كلها دليل على حجية السنة النبوية وضرورة الرجوع إليها في جميع شؤون الحياة.

المطلب الثاني: الدليل على حجية السنة النبوية من أقوال الرسول ﷺ عليه أمثلة كثيرة منها:

ما قاله لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن قاضياً: (بم تقضي؟ قال بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسوله إلى ما يرضي الله ورسوله)[٣٦].

وقوله ﷺ: يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله[٣٧]، وفي هذا الحديث معجزة لرسول الله ﷺ حيث أخبر عن قوم لم يظهروا إلا في عصرنا هذا سموا أنفسهم القرآنيين ويدعون إلى ترك السنة النبوية، وهم ضالون مضلون.

---

(٣٦) رواه الترمذي رقم (١٣٢٧) باب ما جاء في القاضي كيف يقضي ٣/ ٦١٦.
(٣٧) رواه ابن ماجة رقم (١٢) باب تعظيم حديث الرسول ﷺ ١/ ٦.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسنة رسول الله ﷺ القولية داخلة تحت قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣-٤]. وقول رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله...)[٣٨] فكل ما جاء به رسول الله ﷺ يجب الالتزام به، وهو جزء من شريعة ربنا ﷻ.

المطلب الثالث: الدليل على حجية السنة النبوية من الإجماع:

قد أجمعت الأمة الإسلامية من لدن صحابة رسول الله ﷺ إلى اليوم على الرجوع إلى سنة رسول الله ﷺ في قضاياها وشؤون حياتها، ونقل عن أئمة الفقه المجتهدين قولهم: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وما من قائل في تفسير القرآن بقول إلا ورجع إلى حديث رسول الله ﷺ.

المطلب الرابع: الدليل على حجية السنة من المعقول:

إن أي عاقل لا يقبل أن يرسل الله رسولاً إلى عباده ثم يقول: لا تأخذوا بقول هذا الرسول، ولا تتبعوا أوامره، بل العقل السليم يقول: إن رسول الله مبلغ عن ربه، فكل ما يقوله ويفعله منسوب إلى ربه، فإذا أقره الله ﷻ على ذلك فمعنى ذلك رضاه عما يقوله رسوله الذي بعثه إلى القوم: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧] بل تأييد الله ﷻ لأنبيائه بالمعجزات والخوارق إبراز لصدقهم وتمكين لهم من إقامة الحجة على العباد ليتبعوهم ويأخذوا منهم دينهم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٤-٦٥].

---

(٣٨) رواه الشيخان، صحيح البخاري رقم (٢٧٩٧) ٣/ ١٠٨٠، صحيح مسلم رقم (١٨٣٥) ٣/ ١٤٦٦.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مطلوب

المبحث الثالث

منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم وعلاقتها به

تقدم أن أشرنا إلى أن مهمة الرسول ﷺ الأساسية التبليغ والبيان، يقول عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة:٦٧].

ويقول جل جلاله عن المهمة الأخرى لرسوله: ﴿...وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

لذا فكل ما قاله رسول الله ﷺ أو فعله يحمل على هاتين المهمتين، وتفصيل ذلك في الحالات التالية:

المطلب الأول: السنة مقرِّرة ومؤكِّدة لما ورد في القرآن الكريم:

القرآن الكريم اشتمل على العقائد (أركان الإيمان) وعلى العبادات (أركان الإسلام) فتأتي سنة رسول الله ﷺ تقرر ذلك وتؤكده فمثلا: في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥].

حيث وردت أركان الإيمان الستة نجد تقرير ذلك في حديث جبريل الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجاء وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخديه ثم قال: يا محمد أخبرني عن الإيمان؛ فقال رسول الله ﷺ، الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فقال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه..)(٣٩). الحديث.

وجاءت الآيات الكريمة تفرض على المسلمين العبادات في آيات متعددة كما في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء:١٠٣]

(٣٩) رواه مسلم كتاب الايمان رقم(١).

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣] ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ... ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:٩٧] ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [التوبة:١٠٣].

وجاء تقرير هذه العبادات وتوكيدها في قول رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»(٤٠) الى أحاديث كثيرة تؤكد كلَّ عبادة منها؛ كقول رسول الله ﷺ : (موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد)(٤١) وقوله عن أهمية الزكاة والتأكيد على إخراجها (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يُطوِّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه – يعني: شدقيه – ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك)(٤٢).

وعن الصوم يقول عليه الصلاة والسلام: «من أفطر يوماً من رمضان بغير عذر ولا مرض لم يَقْضِه صيام الدهر وإن صامه»(٤٣).

وعن الحج يقول ﷺ: «من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً»(٤٤).

المطلب الثاني: السنة النبوية مفصِّلة لما أُجمِل في القرآن:

لقد جاءت آيات القرآن في كثير من القضايا مجملة، ففصلها رسول الله ﷺ بقوله أو بتطبيقه العملي لما ورد في القرآن الكريم. فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور:٥٦].

قال رسول الله ﷺ – يعلم الصحابي المسيء في صلاته –: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى

---

(٤٠) رواه الشيخان واللفظ للبخاري رقم(٨) كتاب الإيمان ١/ ١٢ .

(٤١) رواه الطبراني في الأوسط والصغير. مجمع الزوائد ١/ ٢٩٢.

(٤٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٨١، وأصله في صحيح البخاري رقم(٤٢٨٩) ٤/ ١٦٦٣.

(٤٣) روى البخاري متنه في باب قول النبي إذا توضأ، ورواه البهيقي في السنن الكبرى ٤/ ٢٢٨.

(٤٤) رواه الترمذي وقال حديث غريب، ورواه البزار في مسنده رقم(٦٨١) عن علي رضي الله عنه ٣/ ٨٧، ورواه بن أبي شيبة في مصنفه رقم(١٤٤٥٥) موقوفا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»(٤٥).

كما أن الرسول ﷺ بين إقامة الصلاة بفعله، فصلى وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»(٤٦). ففي هذا كله وغيره تفصيل لمجمل القرآن، وهو لون من ألوان البيان لما نزل عليه.

المطلب الثالث: السنة النبوية تخصص عام القرآن أحياناً:

ففي قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ... ﴿١١﴾ ﴾ [النساء: ١١] جاء الحكم بأن الأولاد جميعاً يرثون من آبائهم وأمهاتهم، ولكن السنة النبوية خصصت هذا العموم (لا يتوارث أهل ملتين ولا يرث مسلم كافراً، ولا كافر مسلماً)(٤٧) فلو كان الأب كافراً والابن مسلماً أو العكس فلا توارث بينهما، وكذلك إذا كان الزوج مسلماً والمرأة كتابية.

وفي قوله تعالى: ﴿ ... وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ ... ﴿٢٤﴾ ﴾ [النساء:٢٤] أحل الله تعالى النكاح بالنساء غير اللاتي ذكرن في آيات المحرمات من النساء، وهذا الحكم العام خصصته السنة النبوية. يقول رسول الله ﷺ: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»(٤٨).

وفي قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ ... ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣] حيث جاء في الآية تحريم جميع الميتات وجميع الدماء. وخصص رسول الله ﷺ هذا العموم بقوله: «أحلت لنا ميتتان، ودمان، فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال»(٤٩)، وقال عن البحر (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)(٥٠) وهذا أيضاً لون من ألوان البيان لما ورد في القرآن الكريم.

---

(٤٥) رواه الشيخان واللفظ لمسلم رقم (٣٩٧) باب وجوب قراءة الفاتحة ١/ ٢٩٨.

(٤٦) رواه البخاري رقم (٦٠٥) باب الأذان للمسافر ١/ ٢٢٦.

(٤٧) رواه الحاكم في المستدرك رقم (٢٩٤٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٢/ ٢٦٢ ورواه الترمذي رقم(٢١٠٨) ٤/ ٤٢٤.

(٤٨) صحيح مسلم رقم (١٤٠٨) باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ٢/ ١٠٢٩.

(٤٩) رواه أحمد، وابن ماجة في سننه رقم(٣٣١٤) باب الكبد والطحال ٢/ ١١٠٢.

(٥٠) رواه الترمذي رقم(٦٩) وقال: حسن صحيح، باب ما جاء في ماء البحر ١/ ١٠٠.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الرابع: السنة النبوية تقيد مطلق القرآن الكريم أحياناً:

ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨].

حيث جاءت اليد مطلقة، واليد في اللغة تطلق على الطرف العلوي من الأصابع إلى الكتف، فجاءت السنة النبوية القولية والفعلية بتقييد هذا الإطلاق فحددت اليد باليمنى والقطع من الرسغ.

المطلب الخامس:

السنة النبوية تشرع أحكاماً وتشريعات لم ترد في القرآن الكريم أحياناً:

فيجب على المسلمين أن يأخذوا بما شرعه لهم رسول الله ﷺ، وتقدم معنا قول رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»(٥١).

وقوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ... ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر:٧] فوجب الأخذ بما شرعه رسول الله ﷺ.

ومن أمثلة ذلك قول رسول الله ﷺ عن الذهب والحرير حيث أخذ الذهب بيمينه والحرير بشماله وقال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثها»(٥٢)، كما ثبت عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية(٥٣).

مطلوب محذوف ٩-٢-٢٠١٠

المبحث الرابع
تدوين السنة النبوية

المطلب الأول: المرحلة الأولى

كان صحابة رسول الله ﷺ يحرصون على استيعاب كل ما يقوله رسول الله ﷺ وتطبيق كل ما يأمر به، ورغبة من رسول الله ﷺ في حصر الجهود والطاقات على حفظ القرآن الكريم واستيعابه وجمعه، وخشية أن يلتبس الأمر على بعض الصحابة – وهم

---

(٥١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٦٠٤) باب لزوم السنة ٤/ ٢٠٠، ورواه أحمد في المسند ٤/ ١٣٠.
(٥٢) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة واللفظ له رقم (٣٥٩٥) باب لبس الحرير والذهب للنساء.
(٥٣) رواه الشيخان واللفظ لمسلم رقم (٥٦١) باب تحريم أكل الحمر الإنسية ٣/ ١٥٣٨.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حديثو عهد بالإسلام – نهى في بداية الأمر عن كتابة السنة النبوية، فقال عليه الصلاة والسلام: (من كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه)[٥٤].

ولكن في حالات أمن الالتباس عند بعض الصحابة سمح لهم بالكتابة: فعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر، يتكلم في الغضب والرضا؛ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق[٥٥] وفي حَجَّة الوداع عندما خطب رسول الله ﷺ خطبته الجامعة قال أبو شاه – رجل من اليمن – (اكتب لي يا رسول الله، فقال: اكتبوا لأبي شاه)[٥٦].

وكان علي رضي الله عنه يحتفظ لنفسه بصحيفة كتب فيها بعض أحكام الإسلام ومنها عقل الديات.

ولكن لم يتخذ الخلفاء الراشدون أي إجراء لكتابة سنة رسول الله ﷺ وتدوينها. ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الأموية، حيث بلغت حدودها الصين شرقاً، والمحيط الأطلسي غرباً، والأناضول وأرمينيا وأذربيجان شمالاً، والمحيط الهندي جنوباً، كانت حاجة الناس للإطلاع على سنة رسول الله ﷺ شديدة، ومن ناحية أخرى وجدت الفرق والمذاهب السياسية، والاجتهادات الفقهية، كل ذلك حمل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز في نهاية القرن الهجري الأول[٥٧] أن يأمر بتدوين السنة النبوية رسمياً بإشراف الدولة وتوجيهها.

فكتب إلى أمراء الأقاليم، أن يكلفوا علماء الشريعة وأئمة الدين في بلدانهم بجمع السنة النبوية من أهل العلم الموثوقين، وتدوينها، فتصدى أئمة العلم لتدوين سنة رسول الله ﷺ في دواوين مخصوصة [ومنهم محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري وهو من علماء التابعين وفقهائهم].

وكانت طريقتهم في التدوين جمع كل ما نقل عن رسول الله ﷺ في تفسير القرآن وبيان شرائع الإسلام من العقائد والعبادات والمعاملات والغزوات والأقضية، ومن شدة حرصهم على تنقية السنة النبوية من أقوال التابعين حرصوا على الإسناد وقال

---

(٥٤) رواه الحاكم في المستدرك رقم(٤٣٧) وقال صحيح على شرط الشيخين ١/ ٢١٦.
(٥٥) أحمد وأبو داود واللفظ له رقم (٣٦٤٦) باب في كتاب العلم ٣/ ٣١٨.
(٥٦) الشيخان واللفظ لمسلم رقم (١٣٥٥) باب تحريم مكة ٢/ ٩٨٨.
(٥٧) توفي عمر بن عبد العزيز ١٠١هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قائلهم: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[٥٨]. وقالوا: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[٥٩].

المطلب الثاني: المرحلة الثانية

بدأت هذه المرحلة في القرن الثاني للهجرة بوضع الكتب الخاصة في كل علم من علوم الدين، ووضعت كتب السنة مستقلة عن كتب الفقه، والغزوات والتفسير، وبدأ التدوين التخصصي للعلوم.

ووضع أئمة الحديث مناهج لكتبهم التي جمعوا فيها حديث رسول الله ﷺ، وأخرجوا للناس ما عرف بالجوامع، والمسانيد، والسنن، والمصنفات.

المطلب الثالث: أنواع كتب السنة النبوية:

كان لكل إمام من أئمة الحديث منهج في كتابة حديث رسول الله ﷺ، فمنهم من اشترط الصحة في الحديث الذي يدوِّنه، ووضع شروطاً للحديث الذي يحكم عليه بالصحة، كالإمام البخاري والإمام مسلم والإمام ابن خزيمة.

ومنهم من جمع الصحيح والقريب منه المنقول عن طريق رجال ثقات، ولكنه لم يتشدد كثيراً في قضية الضبط، فكان في كتابه الصحيح والحسن والضعيف المقبول كأبي داود والترمذي والنسائي.

ومنهم من جمع كل ما وصل إليه من الحديث النبوي، ولم يتحر الصحة أو الحسن وإنما أراد أن يجعل كتابه جامعاً لكل ما وصل إليه بالسند عن رسول الله ﷺ مثل: الإمام عبد الرزاق الصنعاني، وابن ماجه.

وفيما يلي تعريف بأهم أنواع هذه الكتب:

كتب الجوامع: وهي الكتب التي جمعت كل ما وصل إلى المؤلف من حديث رسول الله ﷺ في العقائد والعبادات والمعاملات والغزوات والتفسير والفضائل.. سواء التزم أصحابها بالصحة أم لم يلتزموا ومن أمثلة هذه الكتب:

- الجامع الصحيح للإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) وقد التزم فيه الصحة، وهو أصح كتاب بعد القرآن الكريم.

---

(٥٨) مقدمة صحيح مسلم رواه عن عبدالله بن المبارك ١/ ١٥.
(٥٩) مقدمة صحيح مسلم رواه عن محمد بن سيرين ١/ ١٤.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- الجامع الصحيح للإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) وقد التزم فيه الصحة، ولكن شروط التصحيح عنده أخف من شروط البخاري، فهو الكتاب الثاني بعد كتاب البخاري.
- الجامع الصحيح للإمام الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ولم يلتزم فيه بالصحة.
- الجامع الصحيح للإمام ابن خزيمة (ت ٣١١هـ) التزم فيه الصحة، ولكن شروطه في التصحيح غير شروط الشيخين.

كتب السنن: وهي الكتب التي أوردت الأحاديث النبوية المتعلقة بأبواب الفقه فرتبها أصحابها على أبواب الفقه مثل: كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة وكتاب الصوم، والزكاة والحج، والنكاح. ومن أشهرها:

- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) وقد جمع في كتابه الصحيح والحسن، ولم يورد الضعيف إلا نادراً، وقد نبه عليه، وضعيفه مقبول، وليس فيه الضعيف المردود أو الموضوع.
- سنن النسائي: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) وهو كذلك على أبواب الفقه وفيه الصحيح والحسن والضعيف المقبول.
- سنن الدرامي: عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ).
- سنن ابن ماجة للإمام محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (ت ٢٧٣هـ) وفيه الصحيح، والحسن، والضعيف، وبعض الضعيف المردود.

هذه أشهر كتب السنن، وقد تلقتها الأمة بالقبول، مع كتب الجامع الصحيح للشيخين (البخاري ومسلم)، وللترمذي.

كتب المسانيد: هي الكتب الحديثية التي صنفها مؤلفوها على مسانيد أسماء الصحابة، بمعنى أنهم جمعوا أحاديث كل صحابي على حدة[٦٠].

ومن أشهر كتب المسانيد:

- مسند الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ.
- مسند الحميدي (أبي بكر عبدالله بن الزبير الحميدي) المتوفى سنة ٢١٩هـ.
- مسند الطيالسي (أبي داود بن سليمان بن داود الطيالسي) المتوفى سنة ٢٠٤هـ.
- مسند أبي يعلي الموصلي (أحمد بن علي المثنى الموصلي) المتوفى سنة ٣٠٧هـ.
- مسند عبد بن حميد المتوفى سنة ٢٤٩هـ.

(٦٠) انظر أصول التخريج ودراسة الأسانيد للدكتور محمود الطحان، ص٤٠.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net
الثقافة الإسلامية

المصنفات: هي الكتب التي رتبها أصحابها على أبواب الفقه، واشتملت على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة[٦١]، فهي لم تقتصر على الأحاديث النبوية بل ذكرت أقوال الصحابة، وفتاوى التابعين وفتاوى أتباع التابعين أحياناً.

ومن أشهر المصنفات:

- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى ٢١١هـ.
- المصنف لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي المتوفى ٢٣٥هـ.
- المصنف لبقي بن مخلد القرطبي المتوفى ٢٧٦هـ.
- المصنف لأبي سفيان وكيع بن الجراح الكوفي المتوفى ١٩٦هـ.
- المصنف لأبي سلمة حماد بن سلمة البصري المتوفى ١٦٧هـ.

الفرق بين هذه الأنواع من الكتب إجمالاً:

مما تقدم في تعاريف هذه الأنواع من الكتب الحديثية فإن:

- **الجوامع تشتمل على جميع أبواب الدين**، وهي مقتصرة على الأحاديث النبوية.
- **السنن**: مرتبة على الأبواب الفقهية، فهي مقتصرة على الأحاديث النبوية.
- **المسانيد**: مرتبة على أسماء الصحابة، فجمعوا أحاديث كل صحابي في مكان واحد على حدة.
- **المصنفات**: مرتبة على أبواب الفقه وتشتمل على الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وتابعيهم أحياناً.

مطلوب
مطلوب
مطلوب

المبحث الخامس

أنواع الحديث الشريف من حيث: الثبوت، والقبول والرد

تمهيد في تعريف المتن والسند والحديث القدسي:

من مزايا الأمة الإسلامية نقل دينها نقلاً دقيقاً صحيحاً موصولاً برسول الله ﷺ ولم يثبت لأمة من الأمم مثل هذه المزية قبل الإسلام، فكانت وقائع التاريخ وقصصه ينقل غثها وسمينها وحقها وباطلها، وصحيحها وضعيفها، وخرافاتها، وأساطيرها من جيل إلى جيل من غير تحر لأحوال رواتها ولا لمضمون ما ينقلون.

---

(٦١) المرجع السابق، ص١١٨.

الجديد
NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فلما جاء الإسلام هداهم ربهم ووجههم نبيهم أن لا يأخذوا إلا من الصادق، ومن نقل حديثاً يعلم أنه كذب فهو أحد الكذابين، والتوجيه الرباني يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء: ٩٤].

إن التأكد من الشخص، والتأكد والتثبت من الخبر، وعدم التسرع في قبول ما ينقل في كل شؤون الحياة كان دأب الصحابة ومن بعدهم، فما بالك إذا كان الأمر يتعلق بالدين.

لذا اشتهر بين أهل العلم عند الرعيل الأول من التابعين عبارة (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) وقولهم: (إن الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)[٦٢].

قال محمد بن حاتم بن المظفر: (إن الله أكرم هذه الأمة وشرَّفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم إسناد، وإنما هي صحف بأيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف في زمانه، المشهور بالصدق والأمانة عن مثله، حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهاً وأكثر، حتى يهذبوه من الغلط والزلل. ويضبطوا حروفه، ويعدوه عداً، فهذا من أعظم نعم الله على هذه الأمة، نستوزع الله شكر هذه النعم)[٦٣].

ويكثر دوران بعض المصطلحات على الألسنة وفي الكتابات: كالسند، والمتن والحديث القدسي، وفيما يلي تعريف موجز بكل منها:

السند في اصطلاح المحدثين: سلسلة الرواة الذين نقلوا المتن عن مصدره الأول[٦٤].

المتن في اصطلاح المحدثين: هو ألفاظ الحديث التي تتقوم به معانيه[٦٥]. أو هو ما ينتهي إليه السند من الكلام[٦٦].

---

(٦٢) انظر مقدمة صحيح مسلم، وأصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص٣٨ بتصرف.
(٦٣) أصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص٣٩.
(٦٤) المرجع السابق، ص٣٦.
(٦٥) المرجع السابق، ص٣٦.
(٦٦) المرجع السابق، ص٣٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مثال على السند والمتن:

روى الإمام البخاري قال: حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس عن النبيﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)(٦٧).

فسلسلة الرجال من البخاري إلى رسول الله ﷺ هم سند الحديث، وما قاله الرسول ﷺ هو متن الحديث.

الحديث القدسي: هو الحديث الذي يضيفه الرسول ﷺ إلى الله عز وجل.

ويسمى الحديث الإلهي: ولفظه ومعناه من الله. والفرق بينه وبين القرآن هو أن القرآن الكريم معجز، ومتعبد بتلاوته، وليس كذلك الحديث القدسي.

والفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي: هو أن الحديث النبوي منسوب إلى الرسول ﷺ فألفاظه من النبي ﷺ ومعناه من الله تعالى(٦٨).

مثال على الحديث القدسي:

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره"(٦٩).

مثال آخر: حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا.."(٧٠) الحديث.

المطلب الأول: أنواع الحديث من حيث الثبوت:

ينقسم الحديث باعتبار وصوله إلينا إلى:

الحديث المتواتر: هو ما رواه جمع، تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه(٧١).

---

(٦٧) متفق عليه، صحيح البخاري رقم (١٦) ١/ ٤، صحيح مسلم (٤٣) ١/ ٦٦.
(٦٨) أصول الحديث لمحمد عجاج الخطيب، ص٣٤.
(٦٩) المرجع السابق. وفي صحيح البخاري رقم (٢١٥٠) باب إثم من منع أجر الأجير ٢/ ٧٩٢.
(٧٠) صحيح مسلم ٤/ ١٩٤٤ الحديث رقم (٢٥٧٧) باب تحريم الظلم.
(٧١) أصول الحديث محمد عجاج الخطيب، ص٣١٥.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وينقسم المتواتر إلى: متواتر لفظي، ومتواتر معنوي.

فالمتواتر اللفظي: هو ما تواتر لفظه ومعناه، مثل حديث: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار". فقد رواه بضعة وسبعون صحابياً.

والمتواتر المعنوي: هو ما اتفق نقلته على معناه، من غير مطابقة في اللفظ. مثل: أحاديث الشفاعة، وأحاديث الرؤية، وأحاديث نبع الماء من بين أصابعهﷺ[72].

الحديث المشهور: ما رواه ثلاثة فأكثر – في كل طبقة – ما لم يبلغ حد التواتر. مثاله حديث: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً.."[73] الحديث.

خبر الآحاد: هو ما رواه الواحد، أو الاثنان فأكثر، مما لم تتوافر فيه شروط المشهور، أو المتواتر. وبعض العلماء جعل الأخبار قسمين: متواتر وآحاد، وأدخل المشهور في خبر الآحاد.

المطلب الثاني: أنواع الحديث من حيث القبول والرد:

وقد اصطلح العلماء على تقسيم الحديث إلى مقبول يعمل به، وغير مقبول لا يعمل به.

الحديث الصحيح: ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة. ومن التعريف تعرف شروط الحديث الصحيح وهي:

اتصال السند: ومعناه أن كل راوٍ قد أخذه مباشرة عمن فوقه من أول السند إلى منتهاه.

عدالة الرواة: أن يكون كل راوٍ مستقيم الدين، وحسن الخلق، سالماً من الفسق وخوارم المروءة.

ضبط الرواة: أن يكون حافظاً لما يرويه عالماً بمعناه، وحافظاً لكتابه من دخول التحريف أو النقص.

عدم الشذوذ: هو أن لا يخالف من هو أرجح منه.

عدم العلة: أن لا يكون فيه سبب غامض خفي، يقدح في صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه[74].

---

(٧٢) المرجع السابق، ص٣١٦ بتصرف يسير.

(٧٣) رواه الشيخان واللفظ لمسلم رقم (٢٦٧٣) باب رفع العلم ٤/ ٢٠٥٨.

(٧٤) انظر تيسير مصطلح الحديث للطحان، ص٣٣ وما بعدها باختصار.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مثاله: كل ما ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم يصلح مثالاً لهذا القسم، لأن صاحبيهما التزما بالاقتصار على الحديث الصحيح.

مثل: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..»(٧٥). وحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»(٧٦).

الحديث الحسن: هو ما اتصل سنده، بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا علة.

ويظهر من التعريف أن شروط الحسن هي شروط الصحيح ما عدا خفة الضبط في الحسن.

مثاله: ما رواه الترمذي قال: حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (.. فإذا استيقظ - أي أحدكم - فليقل: الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره.)(٧٧) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الترمذي والنسائي.. وإنه من أفراد محمد ابن عجلان وهو صدوق لكن في حفظه شيء(٧٨).

الحديث الضعيف: وهو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفة الحديث الحسن. ويكون ذلك إما بعدم اتصال السند، أو لعلة أخرى كاضطراب المتن وغيره.

مثال: ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ (من أتى حائضاً.. أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد)(٧٩) رواه الترمذي وحكم بضعفه، لضعف أحد رجال السند.

وأجمع العلماء على العمل بالحديث الصحيح والحديث الحسن.

واختلفوا في رواية الحديث الضعيف والعمل به.

وجوز بعض العلماء رواية الأحاديث الضعيفة والعمل بها بشروط:

الأول: أن لا تتعلق بالعقائد كصفات الله تعالى.

الثاني: أن لا يكون في بيان الأحكام الشرعية مما يتعلق بالحلال والحرام.

الثالث: أن يكون الضعف غير شديد.

---

(٧٥) رواه الشيخان: صحيح البخاري رقم (١) كتاب بدء الوحي وصحيح مسلم رقم (١٥٥) باب الإمارة.
(٧٦) فتح الباري ١٣/ ٢٨٩ قال الحافظ: حديث أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ورجاله ثقات.
(٧٧) رواه الترمذي رقم (٣٤٠١) وقال حديث حسن ٥/ ٤٧٢.
(٧٨) راجع حاشية (توجيه النظر إلى أصول الأثر) للشيخ طاهر الجزائري ١/ ٣٥٥ تعليق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة.
(٧٩) رواه الترمذي (١٣٥) باب في كراهة إتيان الحائض ١/ ٢٤٢.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرابع: أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به.

الخامس: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط(٨٠).

فيعمل بالضعيف في المواعظ، والترغيب والترهيب والقصص وما أشبه ذلك.

(٨٠) انظر تيسير مصطلح الحديث للطحان، ص٦٤ مختصراً.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث

المصدر الثالث: الإجماع

المبحث الأول : تعريف الإجماع

المبحث الثاني : حجية الإجماع

المبحث الثالث: أنواع الإجماع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث

المصدر الثالث: الإجماع

تمهيد: عصمة الأمة الإسلامية:

الأمة الإسلامية آخر الأمم، ونبيها محمد ﷺ خاتم النبيين، وشريعتها أتم الشرائع وأكملها؛ لأن مصدرها الأساسي هو الوحي الإلهي.

وكان الوحي بشقيه: المعجز المتعبد بتلاوته (القرآن الكريم)، وغير المعجز وغير المتعبد بتلاوته (السنة النبوية)، ينقل عن طريق النبي ﷺ وهو المعصوم عن المخالفات، الذي لا يقر على خطأ.

ولكن هذا المصدر (الوحي) انقطع بوفاة رسول الله ﷺ فتحددت نصوص الوحي القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا يستطيع أحد أن يزيد فيها شيئاً، وتكفل الله بحفظ كتابه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩]، وقام علماء الأمة بتدوين سنة رسول الله ﷺ وميزوا بين المقبول المحتج به، وبين غير المقبول الذي لا يؤخذ منه حكم شرعي.

والحوادث والقضايا لا تنتهي ما دامت الحياة مستمرة متجددة على هذا الكوكب، ولابد من معرفة أحكام الحوادث والقضايا الجديدة، فكان أمام علماء الأمة – بتوجيهات من القرآن الكريم وإرشادات من السنة النبوية – أن يبذلوا الجهد (أي يجتهدوا)؛ لمعرفة الحكم الشرعي لما استجد من قضايا وحوادث، فإن اجتهدوا مجتمعين واجتمعت آراؤهم على حكم واحد كان إجماعاً، وهذا ما نفصل القول فيه.

المبحث الأول

تعريف الإجماع

المطلب الأول: تعريف الإجماع في اللغة والاصطلاح:

الإجماع في اللغة: يطلق على معنيين: العزم والتصميم، ويقال: أجمع فلان على الأمر، بمعنى عزم عليه وصمم. ومنه قوله ﷺ: (من لم يجمع الصيام من الليل فلا صيام له)[1]، أي: لم يصمم على الصوم من الليل، أي: لم يبيت نيته من الليل، وفي

(١) رواه الترمذي رقم (٧٣٠) باب ما جاء في: لا صيام لمن لم يعزم من الليل ٣/ ١٠٨.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حديث عبدالرحمن بن كعب بن مالك (.. أجمعت بنو النضير بالغدر..)[٢] والمعنى اللغوي الثاني للإجماع هو: الاتفاق، يقال أجمع القوم على الحرب أو السلم أي اتفقوا عليه، ومن هذا المعنى قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام وهو يخاطب قومه: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ... ﴿٧١﴾﴾ [يونس:٧١].

أي: اتفقوا على أمر واحد مع شركائكم الذين يناصرونكم في الملمات.

الإجماع في الاصطلاح – شرعاً – : هو اتفاق المجتهدين من الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ في عصر من العصور على حكم شرعي.

المطلب الثاني: أضواء على التعريف الاصطلاحي:

اتفاق المجتهدين: والمجتهد من توفرت فيه ملكة استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها، فلابد من اتفاق علماء الشريعة الذين بلغوا درجة الاجتهاد، ولا عبرة بمخالفة غيرهم، ولو كانوا علماء في علوم أخرى كاللغة والطب والفلك... وغيرها، ولو خالف واحد من المجتهدين لم ينعقد الإجماع.

من الأمة الإسلامية: لأن الإجماع يكون على قضايا الحلال والحرام من الأحكام الشرعية، فلا عبرة بأقوال غير المسلمين، ولو كانوا على اطلاع في علوم الإسلام؛ لأن القضية تشريع في الدين.

بعد وفاة النبي ﷺ: فلا ينعقد الإجماع في حياة النبي لأنه عليه الصلاة والسلام مصدر التشريع، فإن خالف اتفاق الصحابة، فلا يعتد باتفاقهم عند مخالفة الرسول ﷺ. وإذا وافقهم الرسول ﷺ على اتفاقهم كان ذلك سنة تقريرية.

في عصر من العصور: سواء كان هذا الاتفاق في عصر الصحابة أم من بعدهم ولو في عصرنا الحاضر.

على حكم شرعي: أي تكون القضية موضع الإجماع مما يتعلق بالحلال والحرام (كالوجوب والندب والحرمة ونحوها..)، أما القضايا الطبية: (كالدورة الدموية، وضغط الدم، وأقوال الأطباء في أنواع الأمراض وغيرها)، والقضايا الفلكية (كأقوالهم في المجموعة الشمسية وكواكبها..)، والقضايا الرياضية.. كل ذلك لا علاقة للإجماع به، وإنما يرجع فيها إلى أهل الاختصاص بهذه العلوم.

---

(٢) رواه أبو داود رقم (٧٣٠) باب خبر النضير ٣/ ١٥٦. وانظر لسان العرب مادة (جمع) ٨/ ٥٧.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني

حجية الإجماع

استدل جمهور العلماء على أن الإجماع حجة، ومصدر من مصادر التشريع، بأدلة من القرآن والسنة والمعقول:

المطلب الأول: أدلة حجيته من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥]. ووجه دلالة الآية على حجية الإجماع: أن الله تعالى توعد على مخالفة سبيل المؤمنين بالمصير إلى جهنم، فكان إتباع سبيلهم هو الحق الواجب الإتباع، ومخالفتهم حرام يجب اجتنابه.

المطلب الثاني: أدلة حجيته من السنة النبوية:

قولهﷺ: (إن أمتي لا تجتمع على ضلالة)(٣) وفي رواية (إن أمتي لا تجتمع على خطأ)(٤).

ومعنى ذلك أن الأمة معصومة عن الوقوع في الضلالة أو الخطأ، وأن العصمة التي كانت لرسول اللهﷺ في حياته انتقلت بعد وفاته إلى الأمة، وهذا تكريم لرسول الله في أمته أن لا تضيع معالم الهدى الذي أتى به رسول اللهﷺ بعد وفاته.

المطلب الثالث: دلالة المعقول على حجية الإجماع:

فإن أمة كريمة على الله تعالى، وقد جاء الثناء عليها في آيات الذكر الحكيم كما في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ... ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(٣) رواه ابن ماجة رقم (٣٩٥٠)، ورواه الترمذي وقال: حديث غريب، ورواه الحاكم وقال: له شواهد.

(٤) تأويل مختلف الحديث ١/ ٢٠، والإحكام للآمدي ١/ ٣٣٥.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العقل يستبعد أن يتفق علماؤها المجتهدون على خطأ من غير أن ينقل ولو عن واحد منهم استنكار أو مخالفة لهذا الخطأ، بل يحتم العقل أن هذه الأمة معصومة من هذا الخطأ أو الضلالة.

المبحث الثالث
أنواع الإجماع

ينقسم الإجماع إلى صريح وسكوتي:

المطلب الأول: الإجماع الصريح:

فهو أن يبدي المجتهدون آراءهم صراحة في المسألة أو القضية المطروحة، سواء أكانوا مجتمعين في مكان واحد، أم تلقيت آراؤهم فرادى، وبعد جمعها والإطلاع عليها من قبل الفئة التي قامت باستطلاع الآراء وجدوها متطابقة، أو أن فقيها أو مجموعة من الفقهاء قالوا رأياً ثم أبلغ به الآخرون، فكلهم وافقوا على هذا الرأي صراحة.. كل ذلك من صور الإجماع الصريح، وهذا النوع من الإجماع حجة قطعية لا يجوز مخالفتها ولا نقضها.

المطلب الثاني: الإجماع السكوتي:

وهو أن يقول أحد المجتهدين أو مجموعة من المجتهدين رأياً، ثم يعمم هذا الرأي على الآخرين، فيسكتوا عنه فلم يوافقوا عليه صراحة، ولم يعارضوه صراحة.. مع عدم وجود مانع من إبداء الرأي حوله، وأن يتركوا مدة كافية لدراسة الرأي المقترح، وتقليب وجهات النظر حوله، وأن لا يكون هنالك ما يجعل المجتهد يمتنع عن التصريح برأيه، من خوف من سلطة جائرة، أو رهبة من أحد المتنفذين أو غير ذلك. واختلف العلماء في حجية هذا النوع من الإجماع، فذهب أكثر العلماء أنه حجة قطعية وهو كالإجماع الصريح، وإن كان أقل قوة من الإجماع الصريح، وذهب آخرون إلى أنه ليس حجة، وذلك لأنه لا ينسب إلى ساكت قول، كما أن السكوت لا يمكن حمله جزماً على الموافقة .. والراجح أن الإجماع السكوتي حجة، لأن الأمة لن تعدم من يجهر بالحق إذا رأوا أن ما اتفق عليه أمر لا يقره الشرع.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثالث: مستند الإجماع:

لابد للإجماع من مستند يستند إليه المجمعون، سواء من: القرآن أو السنة أو قواعد الشريعة العامة أو القياس أو المصلحة العامة.. ولكننا غير مطالبين بالبحث عن مستندهم؛ لأن الإجماع بحد ذاته أصبح حجة شرعية لا يجوز مخالفته.

وفائدة الإجماع على ما ورد في القرآن أنه يجعله قطعي الدلالة.

وما ورد في السنة يرتفع بالإجماع عليه إلى قطعي الثبوت وقطعي الدلالة.

لذا نجد الفقهاء يقولون في الأحكام الفقهية: إنه ثبت بالقرآن والسنة وعليه الإجماع.

المطلب الرابع: أمثلة على الإجماع:

١ – من الإجماع المبني على القرآن:

الإجماع على حرمة نكاح الجدات وإن علون؛ لأنهن تدخلن تحت مسمى الأمهات ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ... ﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء:٢٣].

والإجماع على حرمة نكاح بنات الأولاد مهما نزلن لدخولهن تحت مسمى ﴿ ...وَبَنَاتُكُمْ ... ﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء: ٢٣].

والإجماع على إنزال أولاد الابن منزلة الأولاد الصلبيين عند فقدهم في الميراث، لأنهم يدخلون تحت مسمى الأولاد ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ... ﴿١١﴾ ﴾ [النساء: ١١].

٢ – من الإجماع المبني على السنة:

الإجماع على إعطاء الجدة السدس في الميراث عند فقد الأم؛ لأن الرسول ﷺ أعطى الجدة السدس، ولا يزيد نصيبها عن ذلك بخلاف الأم.

٣– من الإجماع المبني على الاجتهاد أو المصالح:

إجماع الصحابة على جمع القرآن الكريم وكان مستندهم المصلحة.

والإجماع على النداء الأول لصلاة الجمعة لإعلام الناس بالصلاة لا سيما البعيدين منهم عن المسجد.

والإجماع على إيجاد دواوين الدولة وإنشاء المؤسسات الإدارية والاجتماعية؛ لتنظيم شؤون الدولة والمجتمع.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الخامس: الإجماع في عصرنا الحاضر:

إن أموراً كثيرة استجدت في عصرنا الحاضر، وهناك تحديات كبيرة تواجه الأمة الإسلامية، ولابد من رأي جماعي لعلماء الأمة الإسلامية حيالها.

فمثلاً من القضايا التي استجدت: الحكم الشرعي في نقل الأعضاء، والموت الدماغي، والاستنساخ للحيوان والإنسان، والشركات المساهمة، والبورصات المالية، والعولمة، والالتزام بالمؤسسات الدولية وأنظمتها وقوانينها كمنظمة الثقافة ومنظمة التجارة العالمية... وغيرها، ولئن كان الاتصال يشكل عقبة في اجتماع المجتهدين في مكان واحد أو الاطلاع على آرائهم، فإن تطور وسائل الاتصال والانتقال في عصرنا الحاضر يسرت سبل اللقاء والاتصال، وإنما الحاجة الملحة تستدعي وجود جهة، إما دولة أو مؤسسة تتبنى مثل هذه المهمة.

وقد وجدت عدة مجمعات فقهية تنظر في القضايا الجديدة، ولكن دورها لا يزال غير فعال؛ إما لعدم وجود الدعم الكافي، أو لخضوعها لسياسات بعض الدول التي أنشئت فيها.

نسأل الله ﷻ أن يهيئ للمسلمين سبل وحدتهم، وجمع كلمتهم، ويهيئ لهم أمر رشد يعز فيه أهل طاعته، ويذل فيه أهل معصيته، وأن يعيدهم إلى دينهم عوداً حميداً.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع

المصدر الرابع: القياس

المبحث الأول: تعريف القياس

المبحث الثاني: حجية القياس

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الرابع
المصدر الرابع: القياس

تمهيد: أهمية الاجتهاد والقياس في حياة الأمة:

لقد اشتملت نصوص الكتاب والسنة على ثوابت الإسلام، وكلياته، وقواعده الأساسية، مما جعل الإسلام وطيد الأركان، ثابت الأسس، عصياً على أهل الأهواء من التحريف والاستبدال.

وفي الوقت ذاته اشتملت نصوص الكتاب والسنة على أساليب، ومناهج تضمن المرونة في أحكام الشريعة لمسايرة التطور، واستيعاب الأحداث والقضايا المستجدة في كل عصر ومكان، مما يضمن صلاحيته في كل زمان ومكان.

إن مرونة الإسلام وحيويته تكمن في: تلك الأحكام العامة، والقواعد الكلية التي عالجت مشكلات الإنسان كإنسان، مجرداً عن الارتباط ببيئة أو عصر معين.

وكذلك في اشتمال النصوص الكريمة على علل الأحكام، والحكمة من تشريعها، مما فتح المجال أمام العلماء المجتهدين من أهل الاختصاص في علوم الشريعة، أن يمعنوا النظر في علل النصوص والأحكام، ثم يلحقوا النظير بالنظير إذا اتحدت العلة، ويقيسوا المستجدات من الأحداث على السوابق الغوابر من الوقائع.

هذا ما وضعه علماء الشريعة تحت مبحث القياس، وجعلوه المصدر الرابع من مصادر الشريعة، وهو رافد من روافد الثقافة الإسلامية في مجالات التجديد والتطوير.

المبحث الأول
تعريف القياس

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحاً:

يطلق القياس في اللغة على: تقدير شيء بشيء، يقال: قست القماش بالذراع، وقست الأرض بالميل أي قدرتها، ثم شاع استعمال القياس في التسوية بين الشيئين الماديين أو المعنويين، فكما تقول: قست طول الثوب بطوله وعرضه بعرضه، تقول: فضل فلان لا يقاس به فضل الآخرين، وعلم فلان لا يقاس به علم فلان.

والقياس في الاصطلاح: هو إلحاق فرع بأصل في الحكم؛ لاشتراكهما في العلة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: أضواء على التعريف الاصطلاحي:

الأصل: وهو ما ورد النص (من القرآن أو السنة) بحكمه ويسمى المقيس عليه.

حكم الأصل: وهو الحكم الشرعي الذي دلت الآية الكريمة، أو الحديث النبوي الشريف عليه.

الفرع: وهو الجديد من الحادثة، أو الواقعة أو الأمر الذي يراد معرفة حكمه ويسمى المقيس.

العلة: وهو الوصف الموجود في الأصل، الذي شرع الحكم بناء على وجوده فيه، وهو الحامل للمجتهد أن يثبت حكم الأصل للفرع لوجود نفس الوصف (أو العلة) فيه.

المبحث الثاني
حجية القياس

ثبتت حجية القياس بالقرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة وبالمعقول.

المطلب الأول: حجية القياس من القرآن الكريم:

قد ورد قوله تعالى تعقيباً على حادثة بني النضير: ﴿ ...فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ ﴾ [الحشر:٢] تحذيراً لمن يخون الله ورسوله من سوء العاقبة التي حصلت لبني النضير.

فهنا نجد أن بني النضير هم المقيس عليهم فهذا الأصل، وأن المحذرين من غيرهم هم المقيس فهذا الفرع، وأن العلة التي كانت السبب في إحلال العقوبة بهم هي خيانتهم لله ولرسوله، والعهود التي أعطوها للمسلمين.

فكان حكم الأصل إنزال العقوبة بهم من الإجلاء عن ديارهم واستباحة أموالهم وجعلها فيئاً للمسلمين. وهذا الحكم ينتظر من ظهرت فيه تلك العلة. وهكذا جميع الأمم والأقوام الذين أنزل الله بهم العقوبات يمكن أن تكون أمثلة على القياس، وبالتالي فهي حجة على استخدام القرآن الكريم للقياس. مثل ما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٤٣ ﴾ [القمر:٤٣] وقوله تعالى: ﴿ ...كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٣ ﴾ [يونس: ١٣].

الجديد
NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: حجية القياس من السنة النبوية:

ظهرت من خلال قياس رسول الله ﷺ وقائع بعضها على بعض، فمثلاً: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود وإني أنكرته، فقال رسول الله ﷺ: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: فما ألوانها؟ قال: حمر، قال هل فيها من أورق؟ قال: إن فيها لورقاً، فأنى ترى ذلك جاءها؟ قال: يا رسول الله عرق نزعها، قال: ولعل هذا عرق نزعه[1]. فهنا الأصل (المقيس عليه): هو الإبل، والمقيس (الفرع): هو الولد والعلة نزع عرق، والحكم: ثبوت النسب.

وفي مثال آخر: عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: إن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال ﷺ نعم حجي عنها: أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ قالت: نعم، فقال: فاقضوا الله الذي له، فإن الله أحق بالوفاء[2].

وهنا دين العباد: (الأصل)، ودين الله: (الفرع)، وانشغال الذمة بحق: (العلة)، والحكم براءة الذمة وخلوها بالوفاء.

المطلب الثالث: حجية القياس من حياة الصحابة:

أمر الصحابة بالقياس عند عدم الدليل الصريح، وعملوا به في فتاواهم واستنباطاتهم: فقد ورد في كتاب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري (.. الفهم الفهمَ فيما أُدلي إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله، وأشبهها بالحق)[3].

وقاس عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – الجد على ابن الابن في حجب الإخوة. وقال: ألا يتقي الله زيد بن ثابت، يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أب الأب أباً[4]؟

وأثبت الصحابة الخلافة لأبي بكر وأحقيته بها؛ قياساً على اختيار رسول الله ﷺ له للإمامة في الصلاة في المرض الذي توفي فيه ﷺ فقالوا: رضيه رسول الله لديننا أفلا

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري رقم (٦٨٨٤) باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين ٦/ ٢٦٦٧.
(٢) رواه البخاري رقم (٦٨٨٥) الباب السابق ٦/ ٢٦٦٨.
(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى باب لا يحيل حكم القاضي على المقضي له ١٠/ ١٥٠.
(٤) بداية المجتهد ٢/ ٢٦٠.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نرضاه لدنيانا(٥). وهذه الأخبار وغيرها تدل على القياس، ولم ينكرها أحد، فدلت على صحة الأخذ بالقياس، وأفادت التواتر المعنوي في ذلك.

المطلب الرابع: حجية القياس من المعقول:

فالعقل يحتم علينا أن نثبت حكم النظير للنظير، والشبيه للشبيه، وهو ما يقتضيه عدل الرب - ﷻ - وحكمته، ويتفق ومنهج الشريعة في تشريع الأحكام لتحقيق مصالح العباد.

ثم إننا نعلم أن نصوص الكتاب والسنة محدودة متناهية، ووقائع الناس غير متناهية فلا يمكن أن يحيط المتناهي بغير المتناهي، فكان لابد من ملاحظة العلل والمعاني التي تضمنتها النصوص، أو أشارت إليها.. وإعطاء الحكم المنصوص عليه لكل واقعة تتحقق فيها علة الحكم، وبهذه الطريقة وهذا المنهج لا تضيق الشريعة بأي واقعة جديدة أو نازلة لم تقع من قبل، ولم يرد بحكمها نص.

المطلب الخامس: أمثلة على القياس

جاء النص على تحريم الخمر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠].

ويقاس على الخمر كل مسكر من الشراب كالنبيذ والمخدرات... وغيرها فحكمها التحريم لوجود علة الإسكار، وجاء في حديث رسول الله ﷺ: «القاتل لا يرث»(٦) وعلة الحرمان اتخاذ القتل بغير حق وسيلة لاستعجال الشيء قبل أوانه، فيعاقب بحرمانه، ويقاس عليه قتل الموصى له من أوصى له (الموصي) في الحكم لوجود العلة فيهما.

وجاء النهي عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجمعة: ٩].

ويقاس عليه في الحكم: الإجارة، والرهن، والنكاح في هذا الوقت؛ لوجود العلة فيها جميعاً، وهي الانشغال عن صلاة الجمعة.

---

(٥) الإحكام للآمدي ١/ ٣٢٦، وروي في معناه ابن عبدالبر في التمهيد عن علي ٢٢/ ١٢٩.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣٤٦) ١/ ٤٩، وأبو داود في سننه (٤٥٦٤)، وابن ماجة (٢٦٤٥)، والترمذي (٢١٠٩).

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الخامس

المصدر الخامس:

التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الخامس
التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

لقد أوجد الإسلام حضارة ربانية في مدة قياسية لم يشهد تاريخ الإنسانية لها مثيلاً على مستوى البشرية، من حيث: المفاهيم، والمبادئ، فأحلت مقاييس وموازين ربانية محل المقاييس الجاهلية.

ومن تلك المبادئ أن التفاضل بين البشر ليس بالعرق أو العنصر أو بالغنى والمال وإنما بالتقوى، قال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١٣] وقال رسول الله ﷺ: (إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)[٧].

وفجر الإسلام الطاقات البشرية؛ فحول أناساً أميين من رعاة الإبل والغنم إلى رعاة للأمم، وصاغ منهم أمة استطاعت أن تأخذ قيادة البشرية من أمم عريقة تبوأت قمة الحضارة البشرية مئات السنين.

وأضافت إلى رصيد الحضارة البشرية أبعاداً جديدة، سواء في مجالات العلوم والفنون أم في مجالات السوابق التشريعية والقضائية، ورسخت مفاهيم العلاقات الدولية المبنية على الوفاء بالعهود والمواثيق، وإقامة العدل والالتزام بالحق.

لقد كانت حضارة الإسلام منفتحة على الحضارات الأخرى؛ لأن الإسلام دعاهم إلى ذلك، قال رسول الله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها»[٨].

وعندما بدأت حركة الترجمة للعلوم والفنون من الحضارة اليونانية والفارسية والهندية، أخذ المسلمون منها ما لا يعارض عقائدهم، ومبادئهم، وطوروها وأضافوا عليها، أما ما كان يتعلق بالوثنيات والخرافات، وتقوم على امتهان الإنسان وتحقير كرامته أو إذلال النفس بتعذيبها، أو إطلاق شهواتها البهيمية... فقد أبعدوها، وفي كثير من الأحيان ردوا عليها، وبينوا تفاهتها، ومناقضتها للعقل، والفطرة الإنسانية.

---

(٧) رواه أحمد في مسنده رقم (٢٣٥٣٦) ٥/ ٤١١، ورواه الطبراني في الأوسط رقم (٤٧٤٩) ٥/ ٨٦.
(٨) رواه ابن ماجة رقم (٤١٩٩) باب الحكمة ٢/ ١٣٩٥، ورواه الترمذي وقال حديث غريب ٥/ ٥١.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن التاريخ الإسلامي الذي بدأ من سيرة رسول الله ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين، ومروراً بقادة الأمة وعلمائها في مختلف العصور الإسلامية منبع ثر للثقافة الإسلامية لا ينضب، ومعرفة هذا التاريخ جزء من تكوين الشخصية الإسلامية، وعلى ضوء ماضي الأمة يتشكل حاضرها ويرسم لمستقبلها، وشجرة لا جذور لها لن يكون لها أغصان وثمار.

لقد أولى القرآن الكريم عناية خاصة بقصص الغابرين؛ لأخذ العبرة والعظة من سيرهم، يقول الله: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١].

وقد ساق القرآن الكريم النماذج البشرية المختلفة: فمنها من تمثلت فيهم معاني الوفاء والبذل والتضحية والصبر كإبراهيم وإسماعيل ويعقوب وأيوب عليهم السلام، ومنها نماذج تمثلت فيهم معاني الطغيان والجبروت والظلم والإفساد من أمثال نمرود وفرعون وهامان وقارون.

ومن خلال الأحداث التاريخية يبرز القرآن الكريم سنن الله في المجتمعات، وتقدمها وقوتها، وسعادتها، وكذلك يبرز سنن الله في انحرافها وانحطاطها ودمارها يقول ﷻ: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء:١٦].

إن سنن الله ﷻ التاريخية والحضارية والاجتماعية سنن ثابتة مطردة لا تتغير ولا تتبدل، مثلها في ذلك مثل سنن الله الكونية، وسنن الله في الطبيعة، إلا أن الفرق في سنن الله الاجتماعية، والحضارية، أنها بطيئة لا تظهر إلا من خلال أجيال وقرون، ولا يطلع عليها ويستوعبها إلا الراصدون من أهل البصائر، أما سنن الله في الكون والطبيعة، فإنها سريعة الوقوع، ويدركها العقلاء وأهل الخبرة من الناس.

لقد كان علماء السلف يعلمون أبناء المسلمين المغازي والسير (أي التاريخ الإسلامي) كما يعلمونهم السورة من القرآن؛ لشعورهم بأهميتها في تكوين الثقافة الفردية، وأثرها في التربية السلوكية للجيل الصاعد.

إننا نجد في سير علمائنا وقادة الفكر في أمتنا، وفي أساليب الدعاة إلى الله والمربين الربانيين زاداً ثقافياً تربى عليها الأجيال، ومن يطلع على ما دونه أبو نعيم الأصفهاني في كتابه (حلية الأولياء)، وما سطره ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان)، وما كتبه الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) وغيرهم، يجد العجب العجاب من رواد الفكر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والإبداع، وقادة المعارك، وأرباب الصناعات والمخترعات، وفي كل مجالات الحياة يجد رواداً لا يشق لهم غبار، ويشعر المسلم المعاصر بالأسى والألم، كيف نغفل عن سيرة هؤلاء العظماء والاقتداء بهم، ونتطفل على موائد الغرب والشرق في مناهجنا وأساليبنا التربوية وتكويننا الثقافي.

إننا بحاجة إلى استيعاب الدروس والعبر من حضارتنا وتاريخ أمتنا لصياغة شخصيتنا المستقلة المعتزة بالله، ولتخطيط مستقبلنا الواعد المشرق، لاستلام قيادة البشرية من جديد؛ لانتشالها من حمأة الشهوات والشبهات وظلمات الجهل والضياع، والسير بها إلى بر الأمان إلى خالقها وبارئها، وإنه لآت بإذن الله وما ذلك على الله بعزيز.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوحدة الثانية

مجالات الثقافة الإسلامية

الفصل الأول: العقائد

الفصل الثاني: العبادات

الفصل الثالث: الأخلاق

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول

العقـــــــائد

تمهيد : نظرة الإسلام إلى الإنسان والكون والحياة

المبحث الأول : الإيمان بالله تعالى

المبحث الثاني : الإيمان بالملائكة

المبحث الثالث : الإيمان بالكتب

المبحث الرابع : الإيمان بالرسل

المبحث الخامس : الإيمان باليوم الآخر

المبحث السادس : الإيمان بالقدر

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مطلوب

تمهيد
نظرة الإسلام إلى الإنسان والكون والحياة

أولاً: نظرة الإسلام إلى الإنسان

الإنسان في نظر الإسلام أكرم مخلوق على هذه الكرة الأرضية، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء: ٧٠].

وتتجلى مظاهر تكريم الإنسان في الصور التالية:

١- خلقه في أحسن تقويم

إن اعتدال القامة، واستقامتها، وتناسق الأعضاء؛ لأداء وظائفها، والمسحة الجمالية في شكل الإنسان، كل ذلك مجال اتفاق العقلاء على تكريم الله تعالى له بخلقه في أحسن صورة، يقول عز من قائل: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[التين: ٤].

ولو أننا خيرنا إنساناً يرى في نفسه دمامة الخلقة، وقصر القامة، وبشاعة المظهر، لو خيرناه بين واقعه وبين أجمل حيوان كالأسد والنمر والغزال والقرد... لاختار شكله وواقعه على الحيوان مهما كان شكله جميلاً.

٢- منحه العقل

إن أعظم ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات **العقل**، الذي يميز به بين الصواب والخطأ، وبين الصالح والطالح، وبين الخير والشر، وبين النافع والضار.

وبواسطة العقل يجزئ المركب؛ فيعرف دقائقه، ويركب الجزئيات؛ فيعرف عمومها وتمامها، ويرتب النتائج على المقدمات، ويعمل بالأسباب؛ ليصل إلى المسببات والثمرات، وبالعقل يذلل الصعاب، ويخضع لسيطرته الوحوش الكواسر ويروض السباع الضواري، ويتغلب على قوى الطبيعة، ويتعرف على سنن الله فيها ليسخرها لصالحه...

ولتخصيص الإنسان بالعقل كلفه ربه بالتكاليف الشرعية، يقول عز من قائل: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب: ٧٢].

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- جعله على الفطرة

بمعنى أن الله – تعالى – أعطاه الاستعداد للرقي إلى الكمالات الروحية والخلقية، فلدى الإنسان الاستعداد للتسامي؛ ليكون في أعلى عليين، ولديه الاستعداد ليكون في أسفل سافلين من دركات الانحطاط النفسي والخلقي.

إن الإنسان لديه الاستعداد لأن يتصف بالحقد والحسد والغش والكبر والرياء والطمع والبطر والخيلاء والضعف والمداهنة والمكر... ولديه الاستعداد لأن يتصف بأضداد هذه الخصال السيئة، ويمكنه أن يشغل أكبر حيز بين هذه الصفات أو يخلط بينها، بينما الحيوان لا يتصف إلى بصفة واحدة من هذه الصفات في الغالب.

٤- ملكة البيان

يقول جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾[الرحمن: ١-٤] إن ملكة البيان – أي القدرة على التعبير عما في النفس – من الخصائص الكبرى التي منحها الله تعالى للإنسان، سواء كان ذلك للتعبير عن الحاجات العضوية التي يحتاجها، كالحاجة إلى الطعام والشراب والآلام والأوجاع...، أو كان التعبير عن الأفكار والمعتقدات والمبادئ، أو التعبير عن المشاعر والعواطف، أما الحيوانات فلا تصدر إلا بعض الأصوات للتعبير عن حاجة ما، ومن الصعوبة بمكان ترويضها على بعض الأصوات الأخرى للتعبير عن عادات، أو ربطها ببعض الظروف، فتكون رد فعل على بعض التصرفات الموجهة إليها.

٥- إرادته وطرق الخيار لديه

كلما استعمل الإنسان عقله اتسعت دائرة العلم لديه، وبالتالي اتسع مجال الاختيار عنده، إن الإنسان الذي يجابه مشكلة ما، يستطيع أن يتصرف تجاهها بأكثر من أسلوب، ويستطيع اختيار الطريق الأنسب لصالحه وتحقيق رغباته، فإذا جوبه بالاعتداء عليه: قد ينتقم أو يعفو، وقد يكظم غيظه أو يظهره، وقد يداري في وقت ليترك الانتقام إلى الفرصة المواتية، وقد يجبن ويتخاذل ويستسلم، وقد يرد بالمثل أو يطغى، وقد يترفع في الرد أو يسف. كل تلك الخيارات أمامه، وإرادته وتصميمه يحدد له مجال الاختيار، يقول عز وجل: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾[الإنسان: ٣].

أما الحيوان فلا يملك إلى تصرفاً واحداً أمام الحادث الذي يتعرض له.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل ذلك من مظاهر تكريم الله ﷻ للإنسان، ليكون سيد المخلوقات على هذه الأرض، وسنة الله في مخلوقاته أن كل منحة يقابلها تكليف ومحنة، فحمل الإنسان أمانة التكاليف والاستخلاف في الأرض. يقول ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات: ٥٦].

وسيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة يوم الحساب، يقول أحكم الحاكمين: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[الإسراء: ١٣ - ١٤].

ويقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[المؤمنون: ١١٥].

ثانياً: نظرة الإسلام إلى الكون

تمتاز نظرة الإسلام إلى المخلوقات جميعاً بالشمولية، والتكامل والخضوع لأمر الله ﷻ، والكون بما فيه من مجرات، وأفلاك ونجوم وكواكب سيارة، وما يقطن هذه الكواكب من مخلوقات، كلها مخلوقة لله ﷻ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

لذا نشير إلى نقاط بارزة في هذا الصدد مما يتعلق بالكون:

(أ) الكون مخلوق لله سبحانه وتعالى

يقول عز من قائل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾[آل عمران: ١٩٠].

ويبين الله ﷻ أن هذا الكون بأرضه، وسماواته خاضع لأمر خالقه الذي أودع فيه المهمات، وحدد له دوره، فالكائنات كلها مطيعة قائمة بما خلقت من أجله يقول عز وجل: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾[فصلت: ٩-١٢].

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(ب) الكون يسير وفق سنن الله سبحانه وتعالى

إن النظام الدقيق الذي يجري عليه الكون بجزئياته، والوظائف التي تؤديها أجزاؤه بكفاءة وباضطراد من غير تخلف أو اضطراب، يدل على حكمة الواحد الأحد، وعظيم قدرته، ونفاذ إرادته في الكون الفسيح، وهذه السنن مطردة لا تتخلف ما دامت السماوات والأرض...

يقول الله ﷻ: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس: ٣٧-٤٠].

(ج) الكون مسخر لمصالح الإنسان

إن الإنسان سيد هذه الأرض، وسخر الله ﷻ له كل ما أودع فيها، سواء في باطنها، أو على ظهرها، أو في أجوائها، أو فيما حولها، لا يستعصي عليه شيء منها ما دام يتعامل مع سنن الله فيها بالحكمة، ولا يتصادم معها ولا يحاول تغييرها. يقول ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

(د) الكون مجال التدبر والتفكر

أمر الله ﷻ عباده بالتفكر في الكون وتدبر ما يجري فيه لتحقيق غايتين:

- **الأولى**: الاستدلال من خلال نظامه على عظيم قدرته وجلال حكمته ووحدانيته في الخلق والأمر.
- **الثانية**: التعرف على سنن الله تعالى في هذا الكون لتسخيرها لمصالحه والاستفادة من الطاقات والقدرات المودعة فيه.

(هـ) الكون ميدان النشاط البشري

جعل الله ﷻ الإنسان سيد المخلوقات، وأنزل عليه رسالاته وهداه إلى طريقة التعامل مع الكون، وجعله ميدان نشاطه وسعيه، يقول جل وعلا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[الملك: ١٥].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن الله ﷻ ربط الوصول إلى الحقائق الكونية والطاقات المودعة فيه بالجهد البشري فكل من بذل الجهد، وصبر على مشاق البحث، واسترشد بدلالات العقل وأفاد من تجارب الآخرين وصل إلى مبتغاه، ولن يحول معتقده دون الوصول إلى النتائج، يقول عز من قائل: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الإسراء: ٢٠].

ثالثاً: نظرة الإسلام إلى الحياة الدنيا

١- الدنيا مزرعة الآخرة:

جرت المشيئة الإلهية أن يخلق الله الإنسان في هذه الدنيا؛ ليكون خليفة الله في هذه الأرض، وعرفه سبيل الرشاد وبين له سبل الضلال من خلال الوحي إلى رسله ﴿ ... وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٣١] وبين حقيقة هذه الحياة الدنيا وأنها دار ممر لا دار مقر، يقول رسول الله ﷺ: «مالي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»(١).

٢- الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان

لقد خلق الله ﷻ الإنسان في هذه الحياة، واستخلفه في الأرض لإعمارها، واستثمارها وفق المنهج الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وبلغوها أقوامهم؛ وذلك ليجازي كلاً على ما قدم فيها: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك: ٢].

وجعل سنة التدافع مستمرة في هذه الحياة، ليميز الخبيث من الطيب، ولم يجعل لأحد الغلبة المطلقة على أهل الأرض، سواء من الصالحين أو الأشرار بل الأيام دول بين الأمم والشعوب والأفراد ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[آل عمران: ١٤٠-١٤٢].

٣- نظرة اعتدال وتوازن

نظرة الإسلام إلى الحياة الدنيا قوامها الاعتدال والتوازن، فبالرغم أن الحياة الدنيا ليست نهاية المطاف، وهي دار ممر، إلا أن الإسلام لم يهملها ولم يأمر بتركها والتجافي

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٧٧) باب ما جاء في أخذ المال، ٤/ ٥٨٨، وقال: حسن صحيح، ورواه أحمد وابن ماجة، والحاكم في المستدرك بزيادات في كتاب الرقاق وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عنها، كما أنه لم يجعلها الغاية التي يعمل الإنسان من أجلها يقول الله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص: ٧٧].

وقد راعى الإسلام الطبيعة البشرية في الميل إلى زينة الحياة الدنيا فأباحها لهم، على أن لا تصدهم عن العمل للآخرة، والسعي إلى مرضاة الله عز وجل ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف: ٣٢].

٤ – الحياة الدنيا زينة وليست قيمة

لما كانت الحياة الدنيا مؤقتة، وحالة عابرة، وعرضاً زائلاً في رحلة الإنسان المتمثلة في الأطوار التي يمر بها الإنسان من: ولادة ونشأة، ثم موت وحياة برزخية ثم بعث بعد موت، ثم استقرار وخلود في الدارة الآخرة.

فالحياة الدنيا بمباهجها ونضرتها وشهواتها هي زينة؛ لأنها عرض زائل، فإذا تحول الإنسان فيها من متعة إلى أخرى مضت المتعة الأولى، ولم يبق لها أثر... أما القيمة أو الحقيقة الخالدة فهي حقائق الآخرة، لذا قال الله ﷻ عن الحياة الدنيا: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحديد: ٢٠].

ولكن هذا العرض الزائل إذا ربط بالقيم الحقيقية، وجعل وعاء للكنوز والمدخرات الباقية الخالدة، استمتع بها الإنسان حالاً ومالاً، عاجلاً وآجلاً. كما قال الله ﷻ: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[الكهف: ٤٥ – ٤٦].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول
الإيمان بالله تعالى

محذوف

تمهيد: حول الاستدلال على وجود الله عز وجل

انقسم العلماء تجاه قضية إثبات وجود الله عز وجل إلى فريقين:

فريق يرى أن وجود الله أمر فطري لا يحتاج إلى استدلال أو برهان،

وفريق آخر يرى ضرورة الاستدلال والبرهنة على وجوده سبحانه، ولكل فريق حججه التي يعتمد عليها:

حجج الفريق الأول

أ- وجود الله عز وجل مركوز في الفطرة البشرية: فهو أمر بدهي لا يحتاج إلى استدلال أو برهان انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿...فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ... ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠] ومن قول الرسول ﷺ: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة: فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٢) ولم يقل: أو يسلمانه لأن الإسلام هو دين الفطرة التي يولد عليها...

ب- ما ورد بشأن ما يعرف بـ "حشر الذر": حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

ومعناه: كما قال كثير من المفسرين: إن الله عز وجل جمع أرواح بني آدم جميعاً وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا له سبحانه بالربوبية، وهذا إقرار منهم بوجوده تعالى.

جـ- كان كفار مكة، وكفار الأمم السابقة مقرين بوجود الله عز وجل معترفين بأنه هو الذي خلقهم، وخلق السماوات والأرض، وقد تجلى هذا في كثير من الآيات القرآنية نذكر منها، قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١] وقوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩].

---

(٢) رواه الشيخان: واللفظ للبخاري، رقم (١٢٩٢) باب إذا أسلم الصبي فمات، ١/ ٤٥٤.

الجديد و طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويعللون عبادتهم للأصنام بقولهم: ﴿... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ... ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣] ﴿...وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ ... ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]، ومعنى ذلك أنهم كانوا مؤمنين بتوحيد الربوبية لكنهم كانوا منكرين لتوحيد الألوهية ولذلك فإنهم كانوا يقولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥].

د- ما ورد في القرآن الكريم من آيات، قد يظن أنها للاستدلال على وجوده سبحانه، فإنما هي للاستدلال على وحدانيته، وبيان مظاهر عظمته، وعجائب قدرته.

هـ- حينما بدأ رسول الله ﷺ دعوته لم يبدأ مع الناس بالاستدلال على وجود الله سبحانه، وإنما طالبهم بالإيمان بنبوته، وأنه مرسل من الله إليهم، فقال لهم: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم...»[٣] فشهدوا بصدقه، ومن أجل ذلك يقول له ربه سبحانه: ﴿... فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

حجج الفريق الثاني

أ- بالرغم من أن هؤلاء يوافقون الفريق الأول في أن وجود الله أمر فطري إلا أنهم يدركون أن الفطرة قد يغشاها ركام من الجهل، والغفلة والنسيان ويحتاج الإنسان إلى التذكير والتنبيه، وخاصة أنه في كثير من الأحيان قد يتأثر بعوامل كثيرة، ومؤثرات خطيرة تكون سبباً في انحراف فطرته منها: البيئة الفاسدة، والتنشئة الخاطئة، والميول والأهواء، وغير ذلك، فيحتاج إلى التربية، والتهذيب؛ حتى تسلم فطرته وترجع إلى سيرتها الأولى.

ب- لقد وجد في العصر الجاهلي طائفة كانت تنكر وجود الله عز وجل، وهي طائفة (الدهريين) الذين تحدث القرآن الكريم عنهم، ورد عليهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]، وكان شعارهم "إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع"، ووصفهم "الشهرستاني" في كتابه "الملل والنحل" بأنهم "المعطلة" لأن عقولهم لم تهدهم إلى الإقرار بالخالق والدار الآخرة والإيمان بها فقد عطلوا عقولهم ولم ينتفعوا بها، وأنكروا الخالق، والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني.

جـ- في العصرين: الأموي والعباسي وما تلاهما من عصور، ظهر في المجتمع الإسلامي طوائف تنكر الدين بما يشتمل عليه من عقائد وتشريعات، وكانوا

---

(٣) رواه الشيخان، واللفظ للبخاري، رقم (٤٦٨٧) باب تفسير سورة تبت يدا أبي لهب، ٤/ ١٩٠٢.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

يسمون "الزنادقة" أو "الباطنية"، وقاموا بنشر آرائهم وعرض مذاهبهم، فكان لا بد من الرد عليهم، بدحض شبهاتهم ودرء مفترياتهم.

د- وفي العصر الحديث تسللت إلى المجتمع الإسلامي مذاهب فكرية معاصرة، تقوم على الإلحاد في العقائد، والتحلل من الشرائع، أمثال: الشيوعية والوجودية وغيرهما، ولا شك أن هذه المذاهب تحتاج إلى من يقوم بدراستها، حتى يتمكن من إبطال ما تدعو إليه من زندقة وإلحاد.

يرى الإمام ابن تيمية – رحمه الله – أن وجود الله حقيقة فطرية في حق من سلمت فطرتهم، فهم لا يحتاجون إلى استدلال، أما من فسدت فطرتهم فإنهم في حاجة إلى الأدلة والبراهين، ويكونون أشبه بالمرضى الذين لا ينتفعون بالأغذية الفطرية، بل يحتاجون إلى علاج وأدوية تناسب مزاجهم حتى تستقيم فطرتهم(٤).

مقرر ٣

المطلب الأول: منهج القرآن في الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته

من أسس العقيدة الإسلامية الإيمان بالله وحده، والمنهج القرآني في الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته يتسم بما يلي:

أ- إنه منهج فطري: حيث يكون الاستدلال على وجود الله تعالى، وتوحيده من خلال مشاهدات الإنسان اليومية، التي تدخل في حياة كل إنسان مما حوله في الكون وفي النفس، يقول تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ... أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٥٧ – ٥٩، ٦٣-٨٧]، فالحياة الجنينية، والنشأة النباتية، وشربة الماء العذب،

---

(٤) ولمزيد من التفصيل حول هذه القضية راجع دراسات في العقيدة الإسلامية للدكتور فتحي محمد الزغبي، جـ١، ص٢٧٨ وما بعدها، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وموقد النار، ولحظة الموت، تدخل في مشاهدات كل إنسان، سواء كان ساكن الغابات، أو ساكن ناطحات السحاب.

ب- إنه منهج منوع الاستدلال: بحيث يكون الاستدلال شاملاً من خلال مجالات الكون، والمخلوقات كلها، (الكون، الإنسان، الحيوان، النبات)، وذلك مراعاة لطبائع البشر وتنوع اهتماماتهم. والقرآن كتاب الهداية لجميع البشر، يقول تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤].

مطلب

المطلب الثاني: أنواع الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى وتوحيده

أولاً: أدلة الخلق والإبداع

وهي التي تتحدث أن للكون خالقاً مبدعاً، متفرداً بالخلق والإيجاد، وتبين بطلان القول بأزلية الكون وقدمه، كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنبياء: ٣٠- ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[السجدة: ٧-٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾[ق: ٩-١١].

إن العاقل عندما يفتح عينيه، ويجيل النظر فيما حوله من هذه المخلوقات المختلفة، يسأل نفسه من خلق هذه المخلوقات؟ بل من خلقه وخلق أبويه؟ إن الشيء لا يخلق نفسه، والمخلوق لا بد له من خالق، وكما قال الأعرابي: البعرة تدل على البعير، والأثر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يدل على المسير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وأبحر ذات أمواج ألا تدل على السميع البصير!!

يقول عز من قائل: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

ثانياً: أدلة العناية

وكثيراً ما تقترن بأدلة الخلق، فهي تتحدث عن خلق المخلوقات على هيئات وكيفيات معينة لتحقيق أمرين:

(أ) استمرارها وفق الحالة المرسوم لها، كما أرادها خالقها.

(ب) أداء الدور الوظيفي الذي سخرت من أجله.

كما في قوله تعالى: ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ١٩-٢١].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: ٧١، ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ١-٤].

إن المتدبر لأحوال المخلوقات حوله، يجد أن لكل مخلوق نظاماً يسير عليه، وكل مخلوق ميسر للقيام به، ومسخر لأداء دور في هذا الكون. فيتبادر السؤال إلى الذهن: من الذي أوجد هذا النظام الدقيق في الكون؟ ومن الذي سخر هذه المخلوقات الضخمة كالشمس والقمر والجبال والبحار وغيرها لتقوم بهذا العمل الدؤوب؟

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن الجواب العقلي والفطري: أن الذي أوجدهما هو الذي وضع لها النظام، وهو الذي سخر لأداء وظائفها، يقول عز من قائل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

إن عناية الله بالكون مستمرة، من الذرة إلى المجرة، خلقاً وتدبيراً ورعاية، فهو الحي القيوم، الذي لا يغفل عن مخلوقاته طرفة عين، ولا أقل من ذلك، ولو أخذته سنة أو نوم أو غفلة لاختل نظام الكون بأسره، فسبحان الله تعالى عما يقوله الظالمون.

ثالثاً: أدلة الفطرة

يقول رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...»(٥)، فلو ترك المولود من غير مؤثرات بيئية عليه لنشأ معترفاً بوجود الله تعالى وموحداً له، ولكن الأسرة ومؤثرات البيئة الاجتماعية تؤثر على تفكيره فتحدد عقائده وتؤثر على سلوكه فتوجه أسلوب حياته، ولكن على الرغم من هذه المؤثرات فإن الفطرة تعود على حالتها الأولى من توحيد الله تعالى في حالات:

حالة الاضطرار: وتبرز هذه الحالة عندما ينقطع أمله من المخلوقات، وييأس من الأسباب، فيتوجه بكليته إلى الله تعالى، كما يحدث القرآن الكريم عنهم: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الروم: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يونس: ٢٣].

(٥) أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري، رقم (١٣١٩) باب ما قيل في أولاد المشركين، ١/ ٤٦٥.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تطلع الفطرة إلى الكمال

الإنسان يشعر في قرارة نفسه بالعجز عن أمور كثيرة، ويشعر بالنقص في نفسه في جوانب من صفاته، وكثيراً ما يحاول تغطية عجزه بإظهار القدرة، ويبرز نفسه على عكس الصفات التي يتصف بها من القصور والنقص، فشعوره هذا يجعله متطلعاً إلى المثل والقدوة الكاملة المتصفة بصفات الكمال المطلق والمنزهة عن صفات النقص.

يقول عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾[فاطر: ١٥ - ١٦].

الأشواق الروحية

الإنسان مخلوق من مادة وروح، ونفخة الروح الربانية هي مناط التكريم والتكليف ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[ص: ٧١ - ٧٢].

فللمادة متطلباتها من الغذاء للإبقاء على الحياة الإنسانية، وللروح متطلباتها من الإرواء للإبقاء على حالتها وسكينتها، وبدون إرواء الأشواق الروحية يكون الإنسان قلقاً مضطرباً تعساً يشعر بالخواء الروحي يقول عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه: ١٣٤-١٣٦].

وإشباعها يكون بالتوجه إلى الخالق المدبر عالم الغيب والشهادة الذي بيده مقاليد الأمور كلها، بالتعظيم والعبادة والتوكل والخوف والرجاء.

رابعاً: البراهين العقلية

ويقصد بهذا النوع من البراهين التي توجه الاستفسارات إلى العقل، وترتب النتائج على المقدمات؛ ليستخرج الإقرار من العاقل بأن للكون خالقاً واحداً لا شريك له.

ومن هذه الأدلة:

١ - الأدلة البدهية: فهناك ما يثير التساؤلات والاحتمالات، فالبديهة ترفض احتمالات وتقبل غيرها، فمثلاً يقول جل شأنه: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الطور: ٣٥ - ٣٦] فالآية الكريمة تثير ثلاثة احتمالات ترفضها البديهية العقلية ويبقى الاحتمال الرابع هو المقبول:

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالاحتمال الأول: أن العدم أوجدهم، وهو احتمال باطل لأن العدم لا يوجد شيئاً ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾

والاحتمال الثاني: أن بعض المخلوقات خلقت بعضها الآخر، وهو احتمال باطل أيضاً، لأن البعض الذي نسبنا إليه الخلق يعود إلى الاحتمال الأول، فمن خلقه هل خلق من العدم ﴿ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾.

الاحتمال الثالث: أم خلقوا السماوات والأرض، وهو احتمال باطل أيضاً؛ فليس هناك أحد من المخلوقات يدعي ذلك، والواقع يكذبه ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

فلم يبق إلا الاحتمال الرابع: وهو أن الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض غير هذه المخلوقات، وبالتالي فإنه يتصف بصفات مغايرة لصفات المخلوقات... فالمخلوقات لها بداية ونهاية والخالق ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد: ٣]

والمخلوقات تتألف من أجزاء وأبعاض، أما الخالق فإنه منزه عن التبعيض والأجزاء... والمخلوقات تعتورها الحوادث والأعراض، والله ﷻ منزه عن الحوادث والأعراض، فلا ولادة، ولا نمو أو تكاثر، ولا هرم أو شيخوخة، ولا موت أو مرض أو نوم كما تعتور المخلوقات، فالله منزه عنها ﷻ عما يصفون ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى: ١١].

٢- دليل التمانع: يقول ﷻ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأنبياء: ٢١-٢٣]، إن نظام الكون الدقيق، وأداءه لوظائفه المنسقة بكفاءة عالية، تدل على أن الكون خاضع لإرادة عليم خبير قدير لا شريك له، ولو كانت هنالك إرادة أخرى أو خالق آخر لفسد النظام الكوني، ولما استقامت أحواله.

٣- دليل الفرض والتسليم

ويقوم هذا الدليل على التسليم بدعوى الخصم تسليماً جدلياً - ولو كانت دعواه مستحيلة -، ثم يستدل على إبطال الدعوى بالنتائج الخاطئة المتناقضة التي تترتب على هذه الدعوى، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[المؤمنون: ٩١ - ٩٢].

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن مفهوم الألوهية: أن الإله هو القدير الذي لا يعجزه شيء، يقول للشيء كن فيكون، فلو كان معه إله آخر لتعارضت قدرته مع قدرة الآخر، ولا بد أن يعجز أحدهما الآخر، ولا يقال للعاجز إنه إله، فعجزه يبطل زعمه بأنه إله، ولأن الإله الحق لا يعجزه شيء، فهو منزه عن صفات النقص، ويؤكد ما سبق أيضاً قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الإسراء: ٤٢، ٤٣].

إن هذه الأدلة العقلية تفرض على العقل المجرد من سلطان الهوى والعناد التسليم بوجود إله واحد للكون لا شريك له، له الخلق والأمر تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

● ملحوظة: الفرق بين دليل التمانع ودليل الفرض والتسليم

إن أثر دليل التمانع يعود إلى المخلوقات واضطراب نظامها واستحالة استمرارها، بدون خالق لها ينظمها ويرعى شؤونها، أما دليل الفرض والتسليم فيعود إلى الخالق ذاته وتنزيهه عن صفات النقص أو العجز التي ينسبها إليه الخصوم.

خامساً: ثبوت صفات الكمال المطلق والتنزه عن صفات النقص:

لقد ذكر القرآن الكريم للإله الحق صفات ونزهه عن صفات، وهذه الأسماء والصفات بمثابة موازين يعرف بها الإنسان المعبود بحق عمن سواه، فنحن نقرأ في آية الكرسي - مثلاً - ما يعرف المؤمن بربه من خلال جملة من الأسماء والصفات. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

● فدلالة:

الحي: أنه ذو الحياة الذاتية الذي لا يعتمد في حياته على سواه.

القيوم: الحافظ لكل شيء القيم عليها، الرقيب لها المحاسب لها، يقوم على كل شيء، وقوام كل شيء به.

لا تأخذه سنة ولا نوم: إن الكائنات الحية تحتاج إلى نوم على شكل ما، والتي تحرم النوم لفترة تشعر باضطراب في حياتها، فمن صفات الخالق أن لا يغفل عن المخلوقات، ولا

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يحتاج في ذاته إلى راحة من التعب أو النصب ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[ق: ٣٨].

له ما في السماوات وما في الأرض: فلا أحد من طواغيت الأرض – على مدار التاريخ كفرعون والنمرود – زعم أنه يملك ما في السماوات والأرض خلقاً وتدبيراً واستمراراً وإنهاء.

من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه: ولا يحدث في الكون شيء إلا بإذنه.

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم: لا يعزب عن علمه شيء أحاط بكل شيء علماً.

وسع كرسيه السماوات والأرض.

ولا يؤوده حفظهما: لا يعجزه شيء، ولا يغيب عن علمه شيء في حفظ السماوات والأرض – وهو العلي العظيم.

هذه صفات الإله بحق فهل تتوافر في أحد من المخلوقات؟ فإن لم يتصف بها معبود ما من الآلهة المزعومة، فهو إله غير صحيح مزور لا ينبغي أن يُعبد، لذا ورد قوله تعالى بعد آية الكرسي: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ... ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٦]، فلا جدوى من إجبار الناس على الدخول في الإسلام إن لم يكن لديهم القناعات بصفات المعبود بحق، وهكذا سائر الأسماء والصفات لرب العالمين التي وردت في القرآن الكريم وسنة رسوله ﷺ(٦).

مطلوب

مفروض ٢٠١٠/٤/٩

المطلب الثالث: أنواع التوحيد

١– توحيد الربوبية ٢– توحيد الألوهية ٣– توحيد الأسماء والصفات

إن النظر العقلي يقتضي – بعد الاعتراف بوجود الخالق وتوحيده – أن تعرف العلاقة بين هذا الخالق ومخلوقاته، وهذه المعرفة من مستلزمات الإيمان.

فالله ﷻ خلق الخلق لمهمة ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[المؤمنون: ١١٥]، ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾[القيامة: ٣٦] ويقول عز من قائل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦] ولا بد من معرفة صفات هذا الخالق، وقد استقرى علماء الإسلام منهج هذه المعرفة من القرآن الكريم، فوجدوها تدور حول أنواع التوحيد الثلاثة:

(٦) انظر هذه الأدلة مفصلة في مبحث (الألوهية) من كتاب (مباحث في التفسير الموضوعي) للدكتور مصطفى مسلم، ص(١١٧).

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أولاً: توحيد الربوبية

بالنظر إلى أفعال الله تجاه المخلوقين: خلقاً وإيجاداً، رزقاً وحرماناً، نفعاً وضراً، حياة أو موتاً ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ [الحديد: ٢]، وكذا سائر الأفعال التي يفعلها تجاه عبيده ومخلوقاته، فهو ربهم المتفرد بكل ذلك لا شريك له فيه ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]، وهذا النوع من التوحيد كامن في الفطرة ويعترف به حتى المشركون ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ٢٥] ويسمى هذا النوع بتوحيد الربوبية.

ثانياً: توحيد الألوهية

بالنظر إلى أفعال العبد وعلاقته تجاه خالقه، من شكره على النعم التي أنعم بها عليه، ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢] ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ... ۝٣٦﴾ [الرعد: ٣٦]، فكما أن الله تعالى تفرد بالخلق والرزق والإحسان... إلى عبيده، فيجب عليهم أن يفردوه سبحانه بالعبادة والمحبة والخوف والرجاء والتوكل... وهذا النوع من التوحيد هو الذي من أجله أرسل الرسل؛ لترسيخه، وتنقيته من شوائب الشرك، يقول عز من قائل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهو الذي دعا إليه نوح وإبراهيم ولوط وشعيب... وغيرهم من المرسلين كما في قوله تعالى: ﴿...يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ...﴾ [الأعراف: ٥٩]، إن كل نعمة يقابلها تكليف وكل منحة يقابلها امتحان، وهذا ما نلحظه في الآيات الكريمة من سورة الناس بأسلوب القرآن الموجز المعجز ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١ - ٣] فالرب الذي يلجأ إليه الناس في كل أموره؛ للحماية والرزق وإيصال النفع وإبعاد الضر (توحيد الربوبية)، هو ملكه الذي أمره ونهاه، وعلى الإنسان أن يلتزم بأوامره؛ فيخصه بالتعظيم والتقديس والتوكل والاستعانة والمحبة والخوف والرجاء (توحيد الألوهية)، فتوحيد الربوبية طريق إلى توحيد الألوهية.

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات

الإنسان عاجز عن تصور الصفات التي تليق بذات الله تعالى؛ لأن منطلقات الإنسان العقلية محدودة، لا تستطيع الإحاطة بعالم الغيب.

إننا نعرف وجود الله ووحدانيته عقلاً، لكننا لا نعرف صفاته إلا وحياً.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

علينا أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ من غير تشبيه، ولا تعطيل، كما بين الله سبحانه وتعالى: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وتتجلى صفات الله ﷻ في أسمائه الحسنى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ويقول ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ...﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقد جاءت هذه الأسماء الحسنى في العديد من الآيات الكريمة، من أعظمها آية الكرسي، وسورة الإخلاص، والآيات الأخيرة من سور الحشر ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

- تعقيبات: أسماء الله الحسنى تتضمن معاني الربوبية، والألوهية جميعاً.

وينبغي أن يكون الإيمان بالأسماء والصفات إيماناً حياً فاعلاً يتجاوب مع العقل فيقنعه، ويتجاوب مع السلوك فيقوِّمه، وبدون الالتزام بدلالات الأسماء والصفات ومضامينها وبمجرد التلفظ بها من غير فاعلية لا تفيد أصحابها، ولعل هذا الفهم هو الذي يرمي إليه رسول الله ﷺ بقوله: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مئة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»[٧]. فمن يؤمن بأن الله هو: العليم، السميع، البصير، الخبير، الرقيب، لا تحدثه نفسه بارتكاب المخالفات واقتراف المعاصي.

ومن يؤمن بأن الله: هو الملك، القدوس، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، المعز، المذل، لا يطأطئ جبهته لغيره.

ومن يؤمن بأن الله تعالى هو: الضار، النافع، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، الرزاق، الوهاب، الفتاح، المحيي، المميت، لا يشغل فكره بالخوف على الرزق أو الخوف من الموت.

ومن يؤمن بأن الله هو: الغفار، التواب، اللطيف، الحليم، المجيب، البر، الرحيم، لا يجد اليأس إلى نفسه سبيلاً، ولا يقنط من رحمة الله.

وهكذا سائر الأسماء والصفات، ينبغي أن تترك أثراً في العقل والنفس والسلوك، ليتحقق فيه الإيمان بها، وإلا كانت ألفاظاً جامدة أو ذات معانٍ فلسفية من غير أثر.

---

(٧) رواه الشيخان واللفظ للبخاري، رقم (٧٣٩٢)، باب إن لله مئة اسم إلا واحداً.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني
الإيمان بالملائكة

المطلب الأول: تعريف الملائكة والإيمان بهم

تعريف الملائكة في اللغة: الملائكة جمع مفرده "ملك" أو "ملاك" مأخوذ من "ألك" أي أرسل والألوكة بمعنى الرسالة[8]، يقول تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ...﴾[فاطر: ١] ويقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ...﴾[الحج: ٧٥].

وفي الاصطلاح: الملائكة عالم غيبي غير محسوس لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى وإن كان البعض قد قام بتعريفهم بأنهم:

"مخلوقات لطيفة نورانية، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، في أشكال حسنة، شأنها الطاعة التامة والتسبيح الدائم[9]" فهم ﴿... لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم: ٦] وهم ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء: ٢٠].

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الستة، بل إنه هو الركن الثاني بعد الإيمان بالله عز وجل، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ يقول تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ...﴾ [البقرة: ٢٨٥] ويقول الرسول ﷺ في حديث جبريل المشهور حينما سأله عن الإيمان: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[10].

وهذا يدل على عظم منزلة الإيمان بهم، ومكانتهم ضمن الأركان الستة، فالإيمان بهم ثابت بالقرآن الكريم، والسنة النبوية والإجماع، ولذلك فإن منكر وجود الملائكة كافر بالإجماع، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

---

(٨) راجع المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص٨٢، دار القلم، بدمشق ١٩٩٧.

(٩) راجع شرح المقاصد للتفتازاني، ج٥، ص٦٢، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب بيروت وشرح الجوهرة للبيجوري، ص١٦٢.

(١٠) متفق عليه، روه البخاري، رقم (٥٠)، واللفظ لمسلم، رقم (٨)، باب من الإيمان والإسلام... ١/ ٣٦.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: خلق الملائكة

خلق الله الملائكة من نور، كما قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»(١١).

ومن خلال آيات القرآن الكريم، يتبين لنا أن الله عز وجل قد خلقهم قبل أن يخلق الإنسان، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ...﴾ [البقرة: ٣٠] ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٨ - ٢٩].

ومعنى ذلك أنهم كانوا موجودين قبل أن يخلق الله الإنسان، لأنه سبحانه خاطبهم بشأن خلقه، فهم إذن متقدمون في الخلق على خلق الإنسان.

المطلب الثالث: طبيعتهم وكثرتهم

طبيعة الملائكة: تختلف طبيعة الملائكة عن طبائع الإنس والجن، فهم مطهرون من الشهوات الحيوانية، ومبرؤون من الميول النفسية، ومنزهون عن الآثام والخطايا، وهم أيضاً لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتناسلون، ومن أجل ذلك فإنهم لا يوصفون بذكورة أو أنوثة، ومن وصفهم بالأنوثة فقد كفر لأنه قال بقول الكفار الذين يقول ﷻ عنهم: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]

ويقول تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [النحل: ٥٧].

ومن وصفهم بالذكورة فقد فسق لأنه قال فيهم قولاً بغير علم.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ [المرسلات: ١]، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾﴾ [النازعات: ١]، وغيرها فالتاء هنا لتأنيث الجمع، بمعنى الفرق والطوائف والجماعات.

كثرتهم: يقول تعالى: ﴿...وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر: ٣١] فلا يعلم عدد الملائكة إلا الله عز وجل، ولكن وردت أحاديث تبين مدى كثرتهم، حيث يقول ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا

---

(١١) رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة، رقم (٢٩٩٦)، باب في أحاديث متفرقة ٤/ ٢٢٩٤.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وملك واضع جبهته ساجداً لله»[12]. وجاء في حديث الإسراء المطول والمخرج في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال بعد أن عرج به إلى السماء السابعة: «فإذ أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه»[13].

المطلب الرابع: أصناف الملائكة ووظائفهم

دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل آلاتها ملائكة.

فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: المرسلات عرفاً، والناشرات نشراً، والفارقات فرقاً، والملقيات ذكراً، ومنهم: النازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سبحاً، فالسابقات سبقاً، ومنهم: الصافات صفاً، فالزاجرات زجراً، فالتاليات ذكراً، ومنهم: ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات، والصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى[14].

- رؤساء الملائكة: أما رؤساؤهم فهم كما يقول شارح الطحاوية الأملاك الثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي هو حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم[15].

- أوصاف جبريل عليه السلام ...

لكن جبريل عليه السلام رئيس الملائكة، قد خصه الله عز وجل بمنزلة خاصة حيث ورد ذكره بعد ذكر الملائكة ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ... ﴾ [القدر: ٤] من باب عطف

---

(١٢) أخرجه الترمذي وحسنه (٢٣١٢) باب في قول النبي لو تعلمون ما أعلم ٤/ ٥٥٦، وابن ماجة (٤١٩٠).

(١٣) متفق عليه، البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (١٦٢) واللفظ له، باب الإسراء برسول الله ﷺ ١/ ١٤٥.

(١٤) راجع شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٤٥٩-٤٦٠، مؤسسة الرسالة - بيروت.

(١٥) راجع المصدر السابق، ص٤٦١.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاص على العام؛ لأهميته وعلو منزلته، وورد ذكره باسمه في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ ... ﴾ [البقرة: ٩٧] ﴿ ... فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [التحريم: ٤] ووصفه الله بالأمانة والطهر فقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقال سبحانه: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ [النحل: ١٠٢]، ووصفه بعدة أوصاف فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]

وقال سبحانه: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [النجم: ٥ - ٦] ورآه رسول الله ﷺ بصورته الملائكية فقال: «فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض»(١٦)، وفي رواية أخرى في الصحيحين أنه «رأى جبريل له ستمئة جناح»(١٧).

وكان يتنزل عليه في صورة بشرية مثلما ورد في حديث جبريل في الصحيحين: «طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد...».

وأحياناً أخرى في صورة دحية الكلبي، مثلما كان يتنزل على الأنبياء السابقين، حيث نزل ومعه ملكان على الخليل إبراهيم عليه السلام كرجال ظنهم الخليل أنهم ضيوف، فقدم لهم الطعام، لكنهم لم يأكلوا ولم يشربوا كما ورد في قصة ضيف إبراهيم في القرآن الكريم، وتنزل على نبي الله لوط عليه السلام كذلك، مثلما تنزل على الصديقة مريم عليها السلام. يقول تعالى: ﴿ ...فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ [مريم: ١٧].

واجبنا نحو الملائكة

وإذا كان الملائكة يستغفرون للذين آمنوا - كما ورد في القرآن الكريم - ويحضرون مجالس الذكر، ويحفون بمجالس العلم وتلاوة القرآن الكريم ومدارسته، ويتعاقبون فينا بالليل والنهار، فإن الواجب على المؤمن أن يؤمن بهم تمام الإيمان، وأن يرعى حق صحبتهم، وحفظهم له، وتعاقبهم عليه، ومراقبتهم له، فهم يلازمون الإنسان في أدوار حياته، وبعد مماته، ومن أجل ذلك يقول ﷺ: «إياكم والتعري فإن

---

(١٦) رواه البخاري في صحيحه، انظر الحديث رقم (٤) باب كيف كان بدء الوحي، ١/ ٥.
(١٧) متفق عليه، البخاري (٣٠٦٠)، ومسلم (١٧٤) عن ابن مسعود باب في ذكر سدرة المنتهى ١/ ١٥٨.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

معكم من لا يفارقكم إلا ثم الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكرموهم»[18].

المطلب الخامس: الإيمان بوجود الجن

● أولاً: تعريف الجن في اللغة العربية

أصل الجن: ستر الشيء، تقول جنه الليل، وجن عليه فجنه: ستره، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ...﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام: ٧٦] أي ستر عليه وأظلم، والجنان: القلب لكونه مستوراً، والجنين: الولد ما دام في بطن أمه، فهي تفيد معنى الاستتار والاختفاء[19].

تعريف الجن في الاصطلاح: مخلوقات غير مرئية، مخلوقة من نار قابلة للتشكل بأشكال مختلفة حسنة وقبيحة، وتظهر منهم أفعال عجيبة.

● ثانياً: خلق الجن

وهم مخلوقون من نار قبل أن يخلق الإنسان من طين، حيث نص على ذلك القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٦ - ٢٧] وإبليس نفسه قال لربه: ﴿...خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢] وورد في الحديث المشار إليه سابقاً: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار».

الفرق بين الجن والشياطين

والفرق بين الجن والشياطين يتمثل في أن الجن يشمل المؤمن والكافر، والطائع والعاصي، يقول تعالى على لسان الجن في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ ... وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١١ ... ١٤- ١٥].

وأما الشياطين فتطلق على الكفار من الجن فقط، والشياطين جمع مفرده "شيطان" والشيطان مأخوذ من "شطن" أي تباعد، أو من "شاط يشيط" احترق غضباً، لأنه مخلوق من النار، فالشياطين هم مردة الجن[20]. "وإبليس" هو أبو الشياطين.

---

(١٨) أخرجه الترمذي (٢٨٠٠) من حديث ابن عمر باب ما جاء في الاستتار ثم الجماع، ٥/ ١١٢ وقال حديث غريب.
(١٩) راجع مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص٢٠٣-٢٠٤، دار القلم، بدمشق ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
(٢٠) راجع المصدر السابق، ص٤٥٤.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

• ثالثاً: الجن مكلفون:

إذا كان "الجن" يشمل المؤمن والكافر، الطائع والعاصي – كما قلنا – فمعنى ذلك أنهم مكلفون محاسبون يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] فقد أرسل الله إليهم الرسل ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا... ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والرسول ﷺ مبعوث إليهم أيضاً حيث تحداهم الله سبحانه مع الإنس بإعجاز القرآن فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

والخطاب في سورة (الرحمن) موجه إليهما معاً، يقول تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن: ٢١-٢٣] وقد استمع نفر من الجن إلى رسول الله ﷺ وهو يتلو القرآن الكريم فآمنوا به، ودعوا أقوامهم إلى الإيمان به أيضاً يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

ونزلت سورة "الجن" وفي أولها ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن: ١ - ٢].

رابعاً: الجن لا يعلمون الغيب

وإذا كان قد أشيع لدى البعض أن الجن يعلمون الغيب، فإن الله عز وجل بين أن علم الغيب مما استأثر الله به، ولا يطلع أحداً عليه إلا من ارتضى من رسول فيقول سبحانه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

وقال على لسان الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الجن: ١٠]، بل إن الجن الذين سخرهم الله لسليمان عليه السلام لم يعلموا بموته إلا بعد أن خر أمامهم، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ: ١٤].

الجديد وطهري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سطر

المبحث الثالث
الإيمان بالكتب السماوية

تمهيد: الإيمان بالكتب من أركان العقيدة الإسلامية

الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من عند الله عز وجل إلى أنبيائه ورسله ثابت بالقرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع، يقول تعالى: ﴿...كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ...﴾ [البقرة: ٢٨٥] ويقول رسول الله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...». فجعل الإيمان بالكتب بعد الإيمان بالملائكة وقبل الإيمان بالرسل.

• المطلب الأول: الإيمان بالكتب إجمالاً

يجب الإيمان إجمالاً بكل الكتب السماوية التي أنزلها الله على الأنبياء والرسل سواء سماها الله وذكرها في القرآن، أو لم يذكرها، حيث يقول تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ...﴾ [البقرة: ٢١٣]، ويقول سبحانه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨٤]، ومعنى ذلك أن الأنبياء والرسل السابقين أنزل الله عليهم الكتب مبشرين بها ومنذرين للناس.

• المطلب الثاني: الإيمان بالكتب تفصيلاً

وأما الكتب والصحف التي وردت أسماؤها في القرآن الكريم والسنة النبوية، فيجب الإيمان بها تفصيلاً وهي كما يلي:

١- صحف إبراهيم وموسى: يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٩]، ويقول سبحانه: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٧].

٢- التوراة: وهي الكتاب السماوي المنزل على نبي الله موسى عليه السلام حيث تلقاها من الله عز وجل بعد أن كتبها له بيده، يقول تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ... ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٥] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة، ٤٤] وهي تختلف عما يسمى بالأسفار الخمسة: [سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاوين، سفر التثنية، سفر

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العدد]، والتي يزعم اليهود أنها أسفار موسى الخمسة، رغم أن أحبارهم هم الذين كتبوها بأيديهم، وحرفوا التوراة الأصلية، وأخفوا كثيراً منها، فخلطوا الحق بالباطل[21].

٣- الزبور: وهو ما أنزل على النبي داود عليه السلام يقول تعالى: ﴿ ...وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٥]، ويختلف عما يعرف في أسفار اليهود بـ(المزامير)[22].

٤- الإنجيل: وهو الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على عيسى بن مريم عليهما السلام يقول تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة، ٤٦].

وهو يختلف تماماً عما يعرف عند النصارى في العهد الجديد بالأناجيل الأربعة: [إنجيل متى – إنجيل لوقا – إنجيل مرقس – إنجيل يوحنا].

٥- القرآن الكريم: وهو آخر الكتب السماوية، أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وتعهد سبحانه وتعالى بحفظه فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

لذلك فقد جعله متضمناً لخلاصة التعاليم الإلهية التي تضمنتها الكتب السابقة، ومؤيداً ومصدقاً لما جاء فيها من توحيد الله وعبادته، وجامعاً لما تفرق فيها من مكارم الأخلاق والفضائل يقول تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ... ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨]، ومعنى أنه مهيمن على ما سبقه من الكتب: رقيب عليها وحافظ، فهو يحكم عليها ويقر ما فيها من حق، ويبين ما طرأ عليها من تحريف وتصحيف وتغيير، وما وافقه منها فهو الحق، وما خالفه منها فهو الباطل[23].

---

(٢١) ولمعرفة التفاصيل حول بطلان نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام راجع كتابنا "تأثر اليهودية بالأديان الوثنية"، دار البشير بطنطا، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

(٢٢) راجع المصدر السابق.

(٢٣) لمزيد من التفاصيل راجع المصدر السابق والكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء العلم لموريس بوكاي دار المعارف بمصر.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثالث: الوحي وأنواعه

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣].

والذي يحمل الكتب والوحي الإلهي إلى الأنبياء والمرسلين، هو أمين الوحي جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] فما معنى الوحي؟ وما أنواعه؟

الوحي في اللغة: يطلق على الإعلام بالشيء سراً، ولذلك كانت الكتابة والإشارة والرمز والكلام الخفي، كل ذلك يسمى وحياً، ومنه قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [مريم: ١١]، وهو بهذا المعنى اللغوي لا يختص بالأنبياء، ولا بكونه من عند الله سبحانه وتعالى.

الوحي في الاصطلاح (عند أهل العلم الشرعي): هو التعليم الصادر من الله تعالى الوارد إلى الأنبياء عليهم السلام: أو هو إعلام الله أنبياءه ورسله بما يريد أن يبلغه من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة[٢٤].

فهو بذلك المعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي بخصوص مصدره ومورده، فمصدره من الله تعالى، ومورده هم الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أنواع الوحي: يقول تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١].

اشتملت هذه الآية على أربعة أنواع من الوحي إلى الأنبياء والمرسلين وهي:

النوع الأول: الإلهام وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ فالوحي بمعنى القذف في القلب والنفث في الروع.

النوع الثاني: الرؤيا في المنام وهو مأخوذ أيضاً من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ فالوحي هنا بمعنى الإلهام يقظة أو مناماً، (فإن رؤيا الأنبياء وحي)[٢٥].

---

(٢٤) راجع المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد أبو شهبة، ص ٧٣، والمختار من كنوز السنة. د. محمد عبد الله دراز. ص١١.

(٢٥) رواه البخاري، رقم (١٣٨)، ١/ ٦٤.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النوع الثالث: التكليم بلا واسطة، وهذا النوع مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ أي يكلم الله عز وجل نبيه بلا واسطة، واشتهر به الكليم موسى عليه السلام وأثبته القرآن في قوله تعالى: ﴿...وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] وقد وقع هذا النوع من الوحي أيضاً لنبينا محمد ﷺ ليلة المعراج ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾[النجم: ٧ - ١٠].

النوع الرابع: الوحي بواسطة الملك، وهذا النوع مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾ [الشورى: ٥١] فالمقصود بالرسول هنا جبريل عليه السلام وهذا النوع من الوحي هو الغالب في الإيحاء إلى الأنبياء والرسل، ويقع على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: حيث يشاهد النبي الملك عند نزول الوحي بصورته الحقيقية، وهذا نادر، فقد رأى الرسول ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية مرتين: بعد أن فتر الوحي، وليلة المعراج.

الوجه الثاني: أن يتمثل جبريل عليه السلام في صورة بشر، كما نزل على الخليل عليه السلام في قصة ضيف إبراهيم، وكما ظهر للسيدة مريم ﴿... فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ [مريم: ١٧].

الوجه الثالث: أن لا يرى النبي الملك ولكنه يسمع عند قدومه صلصلة شديدة كصلصلة الجرس، وعند ذلك تعتري النبي ﷺ حالة روحية غير عادية يتحول فيها من حالته البشرية الخالصة إلى حالة يحصل فيها استعداد للتلقي عن الملك، ولا يدرك الحاضرون منها إلا أماراتها الظاهرة: من ثقل بدنه، وتفصد جبينه عرقاً، وربما سمعوا عند وجهه الكريم دوياً كدوي النحل، وهذا أشد أنواع الوحي على الرسول ﷺ، (عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي، فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً)[٢٦]. والقرآن الكريم كله نزل بواسطة جبريل عليه السلام ولم يكن في صورة بشر عند تنزله بالقرآن بل كان مثل صلصلة الجرس.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بالقرآن ويرزقنا تدبره والعمل به في الدنيا، وشفاعته يوم القيامة.

(٢٦) متفق عليه، رواه البخاري رقم (٢) كتاب بدء الوحي ١/ ٤، ومسلم رقم (٢٣٣٣) ٤/ ١٨١٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مطلوب

المبحث الرابع
الإيمان بالرسل

تمهيد: حاجة البشرية إلى الرسالة

من رحمة الله ﷻ بعباده أن خلقهم ولم يتركهم هملاً، بل هداهم إلى طرق معايشهم في هذه الحياة الدنيا بالسعي في مناكب الأرض، والإفادة من خبراتهم؛ للتعرف على سنن الله في الكون المسخرة لمصالحهم.

ولما كانت الغاية من خلقهم عبادة الله ﷻ بالقيام بما أمر، واستعمار الأرض على وفق المنهج الرباني، كانت الحاجة الماسة إلى من يبين لهم معالم الطريق وسبل الرشاد وإلا كانت الحجة لهم: كيف نؤدي المطلوب منا ولم نبلغ به؟ فكانت الحكمة الربانية أن يرسل إليهم ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ... ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء: ١٦٥]، إن الإنسان لا يستطيع بقدراته القاصرة، وعقله الكليل أن يرسم منهج الحياة لنفسه ولمجتمعه ولإنسانيته.

وحفاظاً على كرامة الإنسان، ورحمة به من أن يكون حقل تجارب للأنظمة الوضعية، والاجتهادات البشرية، تولى الله ﷻ هداية الإنسان إلى المنهج الذي يحقق له السكينة والطمأنينة والسعادة في حياته الدنيا، ولتتصل هذه الحياة بالحياة الأخرى، فيكسب سعادة الدنيا والآخرة.

فكانت المشيئة الإلهية باصطفاء رسل من البشر؛ ليبلغوا الناس رسالات ربهم ويقوموا بالوظائف، والمهام المطلوبة منهم تجاه البشر.

إن الذين يدعون إلى الاستغناء عن الرسالات، والكفر بالمرسلين، يريدون الشقاء للإنسانية، والأخذ بيدها إلى متاهات شبهات العقول القاصرة، والخضوع إلى مقاييس الشهوات المستعرة، إنهم يريدون إنسانية تعيسة لا تعرف لها هدفاً، ولا تعرف للقيم الرفيعة مورداً.

إن حاجة البشرية إلى النفحات الربانية، التي تشعها الرسالات، أشد من حاجتها إلى الماء والهواء، فكما أنزل الماء الذي تحيا به النفوس والأرض، وجعل منها الجنات والزروع والثمار اليانعة، أنزل الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح لتثمر العمل الصالح، والخلق الحسن الذي تحقق من خلاله إنسانية الإنسان:

الجديد طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد: ١٧].

فالله سبحانه وتعالى ضرب مثلاً للوحي المنزل بالماء الذي ينزل من السحب، فتسيل به الوديان، وكل واد يحمل من هذا الماء بمقدار استيعابه وطاقته، لتسقى به الأرض الميتة فتحيا، وينبت الزرع وتخرج الثمار، وكذلك الوحي المنزل من الله تعالى، تأخذ قلوب المؤمنين من هذا الوحي بمقدار استعدادها واستيعابها، لتحيا به النفوس، وتطمئن به القلوب، وتنشط الأعضاء للعبادة والطاعة، فكما أن حياة الأرض بالماء فإن حياة النفوس بالوحي، وكما أن السيل يحمل في طريقه إلى الأرض غثاء أو زبداً لا يلبث أن ذهب سدى ثم يبقى الماء الصافي الذي ينتفع به، فكذلك العلم الذي تحمله القلوب يثير الشهوات والشبهات ليقلقها ويذهبها ويقضي عليها، كما يثير الدواء وقت شربه أخلاط البدن فيتكرب بها شاربه وهي من تمام نفع الدواء، فإنه أثارها ليذهب بها[٢٧].

مضطرب

المطلب الأول: مهمات الرسل:

إن الرسل صلوات الله عليهم وسلامه يمثلون الكمالات البشرية، وبما أن الله ﷻ اصطفاهم للسفارة بينه وبين خلقه، فقد حدد مهمات هذه السفارة:

أولاً: البلاغ المبين

وهي المهمة الأساسية التي اختيروا من أجلها، وهو تبليغ الناس ما أوحي إليهم وعدم كتمان شيء منه، يقول عز من قائل مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وكم أوذي نبي في بدنه وماله وأهله في سبيل تبليغ الرسالة، وكم قضى منهم نحبه، وهو يجهر بالحق ويدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته.

وكما يكون البلاغ بالقول والبيان، يكون البلاغ بالفعل والتطبيق العملي لما يدعو الناس إليه.

(٢٧) انظر الأمثال في القرآن للإمام ابن قيم الجوزية، ص١٨١، ١٨٢ بتصرف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: إقامة الحجة

إن في تبليغ الناس رسالات ربهم، وبيانها لهم، قطع لدابر أعذار المتعللين، الذين يريدون تبرير انحرافهم عن جادة الحق بأي عذر أو سبب، لذا بين الله سبحانه وتعالى أن بإرسال الرسل قطع دابر الحجة: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ... ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥]، إن الثواب والعقاب لا يكون إلا بعد التبليغ والبيان، والبشارة والإنذار، يقول ﷻ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [طه: ١٣٤].

ثالثاً: التبشير والإنذار

إن البشارة للمؤمنين بأن الإيمان، والالتزام بالهدايات الربانية، يحقق السعادة والرفاه في الدنيا، ويورث الجنة ونعيمها في الآخرة، وأن الكفر والعناد والإعراض عن دعوة الحق يورث الخذلان والتعاسة في الدنيا، والعذاب المهين يوم القيامة، كل ذلك يحفز في نفس السامع الرغبة والرهبة، الرغبة في سعادة الدارين، والرهبة من المصير التعيس في الدارين.

يقول الله ﷻ: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ ...﴿٥٦﴾ ﴾[الكهف: ٥٦]

يقول رسول الله ﷺ: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلتهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق»[٢٨].

رابعاً: تصحيح العقائد وتزكية النفوس

إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يكيف سلوكه وفق معتقداته، لذا كان من مهمات الأنبياء والمرسلين: تصحيح العقائد، وتربية النفوس على الالتزام بتطبيق الهدايات الربانية، يقول عز من قائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢].

---

(٢٨) متفق عليه، صحيح البخاري في الرقائق، الحديث رقم (٦٨٥٤)، صحيح مسلم رقم (٢٢٨٣)، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ واللفظ لمسلم.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فكلما انحرفت البشرية عن منهج الله في العقائد وأشركت بالله تعالى، أو خضعت لشهواتها، وتنكبت طريق الهداية والفلاح، وانغمست في حمأة البهيمية، أرسل الله إليهم من يخرجهم من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور الإيمان والعلم ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

خامساً: رعاية مصالح الأمة

إن إقامة العدل بين الناس، بتحكيم الشرائع المنزلة في حياة الناس، وجلب المنافع لهم وتحقيق المصالح، ودفع الضر عنهم، كل ذلك من مهمات الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه.

يقول ﷻ لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ... ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقد أمر الله ﷻ أنبياءه على مر التاريخ أن يرعوا مصالح أقوامهم، ويحكموا بينهم بما أنزل الله لإحقاق الحق، وإقامة العدل ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ [ص، ٢٦] إن مهمات الأنبياء والمرسلين من أعظم المهمات وأجلها وأشرفها، لأنها تهدف إلى تحقيق عبودية الإنسان لربه وخالقه ورازقه وتحريره من عبودية الشهوات والأهواء النابعة من ذاته أو المفروضة عليه من غيره، بل هي من أصعب المهمات وأخطرها؛ لأن التعامل مع البشر، ورفعهم إلى الأفق الرفيع من الأخلاق والخصال، يحتاج إلى الاستمرار في البذل ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح: ٥-٧].

المطلب الثاني: الإيمان بالرسل جميعاً

إن الإيمان بالرسل جميعاً من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويجب الإيمان بمن ذكر اسمه صراحة في القرآن، وهم خمسة وعشرون رسولاً نبياً(٢٩)، ويجب الإيمان بمن لم يذكر اسمه صراحة على الإجمال؛ لأن الله ﷻ لم يذكر لنا أسماءهم جميعاً، يقول عز من قائل: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ... ﴿١٦٤﴾ ﴾[النساء: ١٦٤].

ولما جرت سنة الله تعالى في الأمم أن يبعث في كل قوم رسولاً؛ ليبلغهم رسالات ربهم ويقيم الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ ...وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر: ٢٤] لذا كثرت أعدادهم كثرة هائلة، ففي حديث أبي ذر قال: (قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: ثلاثمئة وبضعة عشر جماً غفيراً... وقال مرة خمسة عشر)، وفي رواية أخرى (قال أبو ذر: قلت يا نبي الله، كم عدة الأنبياء؟ قال: مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمئة وخمسة عشر جماً غفيراً)(٣٠).

والكفر بواحد منهم كفر بهم جميعاً، لأنه تكذيب للقرآن الكريم، يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾[النساء: ١٥٠-١٥١].

أولو العزم من الرسل

وصف القرآن لكريم بعض الرسل بأولي العزم كما في قوله: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحقاف: ٣٥] وذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بهم الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى: ١٣]، وهم حسب التسلسل الزمني، في بعثتهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

---

(٢٩) الرسل والأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم هم: آدم، نوح، هود، صالح، إبراهيم، إسماعيل، إدريس، ذو الكفل، إلياس، اليسع، يونس، لوط، أيوب، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، هارون، شعيب، داود، سليمان، زكريا، يحيى، عيسى، محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، منهم أربعة أرسلوا إلى العرب هم: هود، صالح، شعيب، محمد صلوات الله عليهم وسلامه. رواه ابن حبان في صحيحه.

(٣٠) رواه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث (٢١٥٨٦) مسند أبي ذر الغفاري.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وسبب وصفهم بأولي العزم لأنهم أصحاب الشرائع والكتب، قاله مجاهد[٣١]، وقال الألوسي: هم مشاهير أرباب الشرائع، وأخرج البزار عن أبي هريرة: أنهم خيار ولد آدم عليهم الصلاة والسلام[٣٢].

وقال الجلال السيوطي هم الخمسة، وأخرج ذلك ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس، ونظمه بعضهم:

أولو العزم نوح والخليل المجد ... وموسى وعيسى والحبيب محمد[٣٣]

مطلوب

المطلب الثالث: الفرق بين الرسول والنبي

الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، أو تعديل لشرع سابق بالنسخ أو الزيادة، أما النبي فهو الذي بعث بإقامة شرع من قبله، وتجديده في نفوس الناس.

يقول رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي...»[٣٤]، فأغلب أنبياء بني إسرائيل بعثوا بشريعة موسى عليه السلام، كلما انصرف الناس عنها وحرفوها وبدلوها، أو هجروها ولم يلتزموا بها في حياتهم، بعث الله نبياً أو أنبياءه؛ لإحيائها في النفوس وحمل الناس على الالتزام بها.

مطلوب

المطلب الرابع: الصفات التي يجب اعتقادها في الأنبياء

إن الله اصطفى أنبياءه ورسله من البشر؛ للقيام بالسفارة بينه وبين خلقه، ولكي يتمثلوا الدعوة التي يدعون الناس إليها في حياتهم، فهم القدوة لسائر الناس يقول جل جلاله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤]، ويقول عز من قائل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٣١].

---

(٣١) انظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ١٦/ ٢٢٠.

(٣٢) انظر تفسير الألوسي المسمى (روح المعاني) ١١/ ١٥٤، مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٥.

(٣٣) المرجع السابق، ١٣/ ٣٥.

(٣٤) رواه البخاري في صحيحه باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث (٣٢٦٨)، ومسلم في صحيحه باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، رقم الحديث (١٨٤٢)، وأحمد في المسند رقم الحديث (٧٩٤٧). مسند أبي هريرة.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لذا فإنهم صلوات الله وسلامه عليهم تتمثل فيهم الكمالات البشرية ويتصفون بصفات جليلة تمثل ذروة الصفات، وكلما اقترب أتباعهم والمؤمنون بهم من هذه الصفات كانوا أقرب للكمال البشري.

• ومن أهم هذه الصفات:

أولاً: العصمة

وهي حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي(٣٥)، وذلك لأن الله ﷻ أمر باتباعهم والاقتداء بهم فلو جاز وقوعهم في المعصية؛ لأصبحت المعصية مشروعة حيث إن أقوالهم وأفعالهم مصدر للتشريع لأممهم، يقول عز وجل: ﴿... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧] ومن مقومات نجاح دعوتهم وتأثيرها في الناس سيرتهم العطرة المشرقة بنور الهداية الزاخرة بالفضل، والنبل والعفة والصلاح...

ثانياً: الصدق

الصدق صفة فطرية أساسية في الأنبياء والمرسلين، تلازمهم منذ الصغر؛ لأن الإخلال بهذه الصفة يزعزع الثقة بهم، وهم يخبرون عن الله ﷻ عن عالم الغيب، فالإيمان بهم يعني تصديقهم في كل ما يخبرون به، لذا نجد الآيات الكريمة ترسخ هذا المعنى في أذهان المؤمنين، ليثقوا برسولهم ﷺ الثقة فيما يخبرهم به، يقول عز من قائل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ – ٤٨].

لذا نجد أن مشركي قريش كانوا يقولون عن رسول الله ﷺ قبل البعثة: الصادق الأمين، وبعد البعثة يقولون في لحظات الصدق مع أنفسهم: ما جربنا عليه كذباً قط، كما أخبرنا الله ﷻ عنهم: ﴿... فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

ثالثاً: الأمانة

والأمانة صفة أساسية في الأنبياء والمرسلين، والمقصود بها أن يؤدوا رسالات ربهم كما أوحي بها إليهم من غير زيادة أو نقصان ودون تحريف أو تبديل، فهم مؤتمنون على الوحي، وكل نبي كان يقول لقومه: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾

(٣٥) انظر النبوة والأنبياء للصابوني، ص ٥٠.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

[الشعراء: ١٠٧]، يقول عز وجل عن رسوله الكريم محمد ﷺ: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التكوير: ٢٤] أي بمتهم فيما يخبر به من الوحي وقضايا الغيب.

لهذا كانت حياة رسول الله ﷺ صفحة مفتوحة معلنة لا يخفى منها شيءٌ، حتى أموره الخاصة، وعتابات ربه له، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الآية: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧])(٣٦) إن الأمانة تشكل أرضية الثقة بالرسول، فبدونها لا تطمئن النفوس، ولا تسكن القلوب، وبالتالي لا يكون الاتباع والطاعة.

رابعاً: التبليغ

وهذه الصفة من مستلزمات الرسالة، فمهمة الرسول بيان الهدايات للأمة، ولا يتم البيان إلا بالتبليغ، وينبغي أن يكون البلاغ على صورة لافتة للنظر، حاملة على التفكير والتدبر فيما يبلغه الرسول، لذا وصف القرآن البلاغ بالمبين قال تعالى: ﴿ ...وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور: ٥٤] ولما كان البلاغ التام الواضح هو المطلوب، فأي تقصير فيه إخلال بالمهمة وتقاعس عن الواجب، لذا يقول عز من قائل: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ... ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وتبليغ الدعوة بالشكل الظاهر اللافت للأنظار قد يسبب للرسول أو للداعية الأذى والاضطهاد، بل ربما النفي والقتل والتشريد، ويكون كل ذلك في الحسبان، لذا جاءت في وصية لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧].

خامساً: الفطانة

لما كانت مهمة الأنبياء والمرسلين هي دعوة الناس إلى توحيد الله ﷻ والالتزام بشرائعه، وإقامة الحجة على المعاندين، فلا بد من دخولهم في حوار وجدال مع فئات الناس، فالمهمة تقتضي أن يكونوا على جانب عظيم من الذكاء والفطنة لمعرفة أساليب العرض الشيق عليهم، وحملهم على الاقتناع بالبراهين العقلية، وكذلك لا بد من إدراك مرامي القوم وأساليبهم في الجدال؛ لكي يقوموا بتفنيدها، وقد ورد الكثير من أساليب المحاجة في قصص القرآن الكريم، مما يدل على نبوغ الأنبياء ونباهتهم

(٣٦) رواه الشيخان، البخاري رقم (٦٩٨٤)، باب وكان عرشه على الماء، ومسلم رقم (١٧٧) واللفظ له باب معنى قوله عز وجل (ولقد رآه نزلة أخرى) ١/ ١٦٠.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخارقة، فالله ﷻ يختار لرسالته أكمل الناس عقلاً، وأوفرهم ذكاء، وأقواهم حجة، وأظهرهم برهاناً ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٩].

سادساً: السلامة من العيوب المنفرة

إن الله اصطفى الأنبياء من البشر؛ ﴿ ...قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] يعتورهم ما يعتور البشر من حالات الأكل والشرب والجوع والعطش والصحة والمرض... إلا أن مهمتهم تقتضي الاختلاط بالناس؛ لتبليغهم الدعوة، وغشيان مجالسهم ومنتدياتهم، ومشاركتهم حياتهم، والعيوب المنفرة كالأمراض المعدية، مثل: الجذام والبرص والعاهات الخلقية... تتنافى مع هذه المهمات، وتجعل الناس ينفرون منهم.

والله ﷻ قد هيأ لأنبيائه من المقومات ما يسهل عليهم أداء المهام، وتجعل أفئدة الناس تهوي إليهم فكان من لوازم تيسير مهمتهم سلامتهم من هذه العيوب ﴿ ...ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ... ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

هذه جملة من الصفات الخلقية التي يجب اعتقادها في الأنبياء والمرسلين، وبدونها لا تنسجم عقيدة المؤمن في الأنبياء ويكون التناقض والتذبذب في الأقوال والأفعال والمعتقدات.

اللهم ارزقنا الإيمان الكامل والعمل الصالح، وحسن الظن بأنبيائك ورسلك وحسن الإتباع لنبيك محمد ﷺ.

المطلب الخامس: طرق الاستدلال على نبوة محمد ﷺ

لما كان الإيمان بالنبوات عامة، وبنبوة محمد ﷺ من أصول العقيدة، كان الاستدلال عليها عقلياً، وبراهينها من البراهين التي يمكن الاحتجاج بها على كل الناس، وليس على المؤمنين خاصة، وهناك طرق ومناهج يمكن إتباعها لبيان صدق محمد ﷺ في دعوى النبوة.

ومن أهمها:

- دراسة أحوال النبي ﷺ الشخصية من حيث النشأة.
- دراسة الوحي المنزل عليه (مضامينه ودلالاته).
- المعجزات التي ظهرت على يديه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- شهادات الأفراد والكتب السماوية.

● أولاً: دراسة أحوال النبي ﷺ الشخصية

إن الإنسان ابن بيئته، فهي التي تكون شخصيته الثقافية والاجتماعية، وتحدد سلوكه وتصرفاته، لقد عاش محمد ﷺ في بيئة وثنية، تعبد الأصنام، وتعظم عادات الآباء وتقاليدهم، والموازين التي تقوم بها الأفراد والأشخاص مقياس الغنى والنسب والجاه، وكانت الانحرافات الخلقية منتشرة، فشرب الخمور والربا والزنا والاستقسام بالأزلام والميسر وغيرها هي المتبعة، إلا أن محمداً ﷺ وعلى الرغم من يتمه - واليتيم في العادة لا يجد الرعاية الكافية للحفاظ على المثل والقيم - لم يتدنس بأمور الجاهلية، فلم يسجد لصنم قط، ولم يقترف آثام أهل الآثام بل عاش حياة نزيهة عفيفة، كلها طهر ونقاء وصفاء والتزام بمكارم الأخلاق، حتى سماه قومه بالصادق الأمين.

كل ذلك يدل على أن العناية الربانية كانت تحوطه، وأدبه ربه فأحسن تأديبه وهيأه لحمل أعظم رسالة للعالمين كما قال الشاعر:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم

والقوم لم يستطيعوا أن ينسبوا إليه شيئاً يخدش مروءته، أو تلوث نقاء شخصيته وكان قائلهم يقول: (... ما جربنا عليك كذباً)(٣٧).

وفي لحظات صدق وتفكير قال النضر بن الحارث - وكان من دهاة القوم ومحدثيهم -: (... قد كان فيكم محمد غلاماً حدثاً، فكان أرضاكم فيكم، وكان أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم، قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة، وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم)(٣٨).

---

(٣٧) متفق عليه، البخاري رقم (٤٦٨٧) ٤/ ١٩٠٢، ومسلم رقم (٢٠٨) ١/ ١٩٣، باب في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك﴾.

(٣٨) انظر السيرة النبوية لابن هشام، جـ٢، ص٣٨، بحاشية الروض الأنف.

الجديد طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ﷻ عنهم: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ولقد دعا القرآن الكريم إلى هذا الأمر: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبأ: ٤٦].

وفي التعبير القرآني بـ (صاحبكم) إشارة توبيخية لهم، فلقد صاحبوه فترة طويلة وعرفوا دقائق حياته، فكيف يتهمونه الآن بالنقائص فجأة.

وهذا ما استعمله هرقل كبير الروم عندما وصلته دعوة رسول ﷺ للإسلام حيث دعا من كان هناك من العرب، فوجدوا أبا سفيان ومعه مجموعة خرجوا إلى بلاد الشام للتجارة، وكان ذلك بعد توقيع صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة، وكان أبو سفيان يومئذ على شركه: يقول أبو سفيان: كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب.

- قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا.
- قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا.
- قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم.
- قال أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون.
- قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا.
- قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا.
- قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.
- قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة.
- قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم؟
- قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.
- قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت: رجل يأتسي بقول قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، سألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه[٣٩].

إن دراسة واقع رسول الله ﷺ يقيم الحجة على كل منصف أنه الصادق في دعواه، المتمثل لدعوته في سلوكه، المترفع عن شهوات الدنيا وزخارفها.

- ثانياً: دراسة الوحي المنزل عليه (مضامينه ودلالاته)

- لقد أنزل على محمد ﷺ كتاب تحدى العالمين أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فعجزوا، وتكرر هذا التحدي المرة تلو المرة، فلم يزدادوا إلا عجزاً، ولجؤوا إلى المقارعة بالسنان بدل المناجزة باللسان.

- والمتدبر لهذا الكتاب يرى شمول الموضوعات التي وردت فيه، وضخامة الحقائق التي تناولها تفوق الحصر ولا يستطيع عالم أو جيل من العلماء المتخصصين أن يدركوا بعض جوانبها، ومن يدرك البيئة التي عاش فيها محمد ﷺ، وكونه أمياً، يعلم علم اليقين أن هذه الموضوعات، وهذه الحقائق لا يمكن إلا أن تكون تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى.

- ولقد وردت قضايا غيبية في القرآن الكريم لا يدركها الإنسان إلا نقلاً من أخبار التاريخ وكتب السابقين، ومن غيوب المستقبل ما لا يحيط بها إلا مدبر الكون، ومصرف شؤونه، وقد طابقت أخبار غيب الماضي ما كان لدى أهل الكتب السابقة، ولقد وقع كثير من غيوب المستقبل على مقتضى ما أخبر به القرآن الكريم، كل ذلك يدل على أن محمداً ﷺ تلقى هذا الكتاب العظيم من لدن خالق السماوات

(٣٩) صحيح البخاري، رقم (٧) باب بدء الوحي ١/ ٧.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والأرض، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦].

- وهذا الطريق والمنهج هو الذي سلكه النجاشي ﷺ فآمن برسول الله ﷺ عندما استمع إلى القرآن الكريم من جعفر بن أبي طالب كما ذكرت كتب السيرة، حيث قالوا: عز على المشركين أن يجد المهاجرون مأمناً لأنفسهم ودينهم، فاختاروا رجلين جلدين لبيبين، وهما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة - قبل أن يسلما - وأرسلوا معهما الهدايا المستظرفة للنجاشي ولبطارقته، وبعد أن ساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة، وزوداهم بالحجج التي يطرد بها أولئك المسلمون، وبعد أن اتفقت البطارقة أن يشيروا على النجاشي بإقصائهم، حضرا إلى النجاشي وقدما له الهدايا ثم كلماه، فقالا له: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلم بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم.

- ولكن رأى النجاشي أن لا بد من تمحيص القضية، وسماع أطرافها جميعاً، فأرسل إلى المسلمين ودعاهم، فحضروا وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائناً ما كان، فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

- قال جعفر بن أبي طالب - وكان هو المتكلم عن المسلمين - أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقنا، وآمنا به واتبعناه على ما جاءنا به من الله، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا،

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته، حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً ولا أكاد – يخاطب عمرو بن العاص وصاحبه – فخرجا من عنده وقال عمرو بن العاص: والله لأنبئنهم غداً عيبهم عندهم، ثم استأصل به خضراءهم فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد، ثم غدا عليه الغد فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، قال: فأرسل إليهم يسألهم عن المسيح، ففزعوا، ولكن أجمعوا على الصدق كائناً ما كان، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي – والسيوم الآمنون – من سبكم غرم ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبراً ذهباً، وإني آذيت رجلاً منكم – والدبر بلسان الحبشة الجبل – ثم قال لحاشيته: ردوا عليهم هداياهما، فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه[٤٠].

لقد سلك النجاشي المنهج الصحيح للتحقق من صدق محمد ﷺ بسماع القرآن الذي أنزل عليه، وتدبر معانيه، ومطابقة أخباره لما كان يعلمه من الكتاب فظهر له الحق فآمن برسول الله ﷺ ودخل الإسلام.

(٤٠) صحيح ابن خزيمة رقم (٢٢٦٠)، باب ذكر البيان أن فرض الزكاة كان قبل الهجرة إلى الحبشة ٤/ ١٣، ورواه أحمد في المسند رقم (١٧٤٠) عن أم سلمة (أم المؤمنين) ١/ ٢٠٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

● ثالثاً: المعجزات التي ظهرت على يديه ﷺ

من الطرق التي يستدل بها على صدق الأنبياء جميعاً ظهور المعجزات على أيديهم، فما من نبي أرسله الله ﷻ إلى قوم إلا آتاه معجزة أو معجزات تدل على صدقه أنه مرسل من الله، يبلغهم الهدايات التي أوحى الله بها إليه ليبلغهم إياها، قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»(٤١).

فما هي المعجزة وكيف يستدل بها على صدق الرسول؟

● تعريف المعجزة

المعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، يظهره الله على يد رسله(٤٢).

أضواء على التعريف: جاء التعبير بأمر ليشمل:

أ- القول: مثل كلام عيسى عليه السلام في المهد.

ب- الفعل: مثل ضرب موسى البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم.

ج- الترك: مثل ترك حرق النار لإبراهيم عليه السلام، وعدم قطع السكين رقبة إسماعيل عليه السلام.

● والمراد بـ(خارق للعادة)

أن المعجزة من الأمور الخارقة للسنة الكونية، وليست خارقة للعقل، فإن الله ﷻ وضع ناموساً للكون يجري بحسبه وفق أنظمة وقوانين معينة، وإذا شاء أن يغيرها فلا يعجزه شيء، فمثلاً جرت سنته تعالى أن يولد الولد من أبوين ولكن إذا شاء أن يوجد الإنسان من غير أبوين كما خلق آدم، أو أن يخلقه من غير أم كما خلق حواء، أو يخلقه من غير أب كعيسى بن مريم، فله ذلك فإنما إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

● والمقصود بـ(مقرون بالتحدي):

لا بد أن يعلنها الرسول، ويقول: إن دليل صدقي أن الله تعالى يظهر على يدي هذا الشيء وأنتم تعجزون عنه، أو يطلب القوم منه الآية (المعجزة) فيظهرها في مقام التحدي ويعجزون عنها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلۡ

(٤١) متفق عليه، البخاري، رقم (٦٨٤٦) ٦/ ٢٦٥٤، واللفظ لمسلم رقم (١٥٢)، باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ، ١/ ١٣٤.

(٤٢) انظر التعريف في الإتقان للسيوطي، ٤/ ٣، وقريباً منه ما ورد في مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٦٦، نقلاً عن مباحث في علوم القرآن ١٨.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾
قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ
ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ [طـه: ٦٥ - ٧٠]

وذلك لأن الرسول إن لم يتحد بها، فلربما زعموا فيها بعد أنهم لو تحدوا بها لأتوا بمثلها.

- أما (سالم من المعارضة)
- فحتى يتحقق المقصود من المعجزة، أن يعجز القوم عن الإتيان بمثلها، لأنهم لو أتوا بمثل معجزة الرسول بطلت المزية له ولم تبق له خصوصية، وصاروا مثله في الدليل والبرهان، فلا تدل على تفرده وتصديقه.
- ومعنى (يظهره الله على يد رسله)

أن يستدل بها الذي ظهرت على يديه أنه مرسل من الله سبحانه وتعالى: وذلك للتفريق بينها وبين ما يظهره الله على يد أتباع الأنبياء وهي ما تسمى بـ(الكرامة) كما ورد عن مريم عليها السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

- وكذلك التفريق بينها وبين ما يظهر على النبي قبل البعثة التي تسمى (إرهاصاً). فقد قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن»[٤٣].
- وكذلك التفريق بينها وبين (الإهانة)، وهي الخارقة التي تظهر على يد مدعي النبوة بعكس مراده، كما قيل عن مسيلمة الكذاب: إنه عندما سمع أن رسول الله ﷺ يدعو على الطعام القليل فيكثر، ويمسح على المريض فيشفى، فحاول مسيلمة الكذاب ذلك فمسح على مريض فمات، وبصق في بئر قليل ماؤه فغار الماء، ففي ذلك إبراز لكذب مدعي النبوة الكاذب، فإن الله لا يؤيد كاذباً على كذبه، لئلا يلتبس أمره بأمر النبي الصادق، ولا يقال: إن الله يؤيد الدجال بخوارق، كما ورد في أحاديث الدجال، فإن الدجال يدعي الألوهية، وكل عاقل يدرك كذب الدجال في ادعاء الألوهية، أما مدعي النبوة الكاذب فالعقل لا يدرك كذبه، لأن ظاهر النبي الصادق مثل سائر البشر ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ... ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وإنما يعرف

---

(٤٣) صحيح مسلم رقم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل ٤/ ١٧٨٢. ومسند الإمام أحمد ٥/ ٩٥، من حديث جابر بن سمرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

صدقه بظهور المعجزة على يديه، فلو ظهرت على يد مدعي النبوة الكاذب لالتبس الأمر على الناس(٤٤).

وقد ظهرت معجزات كثيرة على يد رسول الله ﷺ على رأسها معجزة القرآن الكريم – وتقدم الحديث عن وجوه إعجازه – ومعجزات مادية كثيرة منها:

معجزة انشقاق القمر ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: ١ – ٢].

ومعجزة الإسراء كما جاءت في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١].

ومعجزات كثيرة ورد ذكرها في السنة النبوية مثل: نبع الماء بين أصابعه الشريفة وحنين الجذع إليه، وتكثير الطعام القليل ببركة دعائه، وكفايته للعدد الكبير من الناس(٤٥)، إن كل عاقل منصف يدرس بموضوعية وتجرد هذه الخوارق التي ظهرت على يد رسول الله ﷺ، ونقلت إلينا نقلاً صحيحاً، لا يسعه إلا التسليم بصدقه، وأنه مرسل من رب العالمين.

رابعاً: شهادات الأفراد والكتب السماوية

لقد أشار القرآن الكريم إلى العهود والمواثيق التي أخذت من الأنبياء السابقين وأممهم بالإيمان بخاتم النبيين ونصرته إن هم أدركوا بعثته كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

كما أخذ الميثاق من بني إسرائيل خاصة ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(٤٤) أما الكهانة والعرافة والسحر وغيرها من الأعمال التي يأتي بها الكفار والفسقة من الناس، فليست خوارق وإنما هي علوم يتعلمها الناس، وقد يستخدم فيها بعض الوسائل الخفية والرياضيات الروحية، وكل من تلقى على يد شياطينهم من الإنس والجن، تعلم هذه الصنعة ومارسها لأنها نتيجة علوم وأسباب خاصة بها، أما الخارقة فهي منحة من الله ولا يمكن تلقيها أو تعلمها ولا تعتمد على أسباب مطلقاً.

(٤٥) انظر هذه المعجزات وغيرها في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض. باب معجزاته ﷺ، ١/ ١٦٤.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد جاءت البشارة برسول الله ﷺ على لسان عيسى بن مريم باسمه صراحة كما أخبر القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦].

وعلى الرغم من تحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل فقد بقيت بعض الشهادات في نسخ منها، أحياناً بالاسم الصريح، فقد جاء في التوراة العبرية في الإصحاح الثالث من سفر حبقوق (وامتلأت الأرض من تحميد أحمد، ملك بيمينه رقاب الأمم).

وفي النسخة المطبوعة في لندن قديماً سنة ١٨٤٨، والأخرى المطبوعة في بيروت سنة ١٨٨٤، والنسخ القديمة: (لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، زجرك في الأنهار واحتدام صوتك في البحار، يا محمد ادن، لقد رأتك الجبال فارتاعت)[٤٦]. في سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثون (اقبل الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير، وتجلى من جبل فاران) وهي المواضع التي أرسل فيها أنبياء الله موسى وعيسى ومحمد ﷺ جميعاً. فجبل سعير الموضع الذي أوحى الله فيه إلى عيسى، وسيناء الموضع الذي كلم الله موسى، وفاران هي جبال مكة، وهذه المواضع أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ [التين: ١ – ٣].

- كما جاءت البشارة به على لسان أفراد من أهل الكتاب كما في حادثة بحيرا الراهب حيث قال لأبي طالب: ارجع بابن أخيك، واحذر عليه يهود، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم[٤٧].
- وفي قصة إسلام سلمان الفارسي[٤٨] وقصة إسلام زيد بن سعنه (وهو من أحبار اليهود)[٤٩] وردت شهادات على ألسنة أفراد من اليهود بصدق محمد ﷺ.
- أخرج الحاكم عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود، فقال: يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب

(٤٦) انظر كتب الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، ص١٦٨، وما بعدها.
(٤٧) السيرة النبوية لابن هشام بشرح الروض الأنف، ١/ ٢٠٦.
(٤٨) انظر مسند الإمام أحمد ٥/ ٤٤١ – ٤٤٤.
(٤٩) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٧٨، والمستدرك للحاكم ٣/ ٦٠٤، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهو من غرر الحديث، وقال الذهبي: صحيح.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي غضب عليهم، قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه منهم أحد، فقال: أبيتم فوالله لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفى آمنتم أو كذبتم، ثم انصرف وأنا معه، حتى كدنا أن نخرج فإذا رجل من خلفنا يقول كما أنت يا محمد، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، فقالوا: كذبت ثم ردوا عليه قوله وقالوا فيه شراً، فقال: رسول الله ﷺ: كذبتم لن يقبل قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذا آمن فكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم فلن يقبل قولكم، قال فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام وأنزل الله فيه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ ﴾[الأحقاف: ١٠][٥٠].

المطلب السادس: خصائص رسالة محمد ﷺ

تميزت رسالة محمد ﷺ بخصائص منها:

أ) عمومها: كان الأنبياء السابقون يرسلون إلى أقوامهم خاصة، وربما إلى قبيلة واحدة من القوم، وربما إلى عائلة واحدة، أما رسول الله ﷺ فقد كانت رسالته عامة شاملة إلى جميع الناس، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ۝١٥٨ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فكان خطابه إلى الناس بالصيغة العامة، بينما الأنبياء السابقون كانوا يخاطبون أقوامهم بقولهم (يا قومي...)، ويقول جل من قائل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ۝٢٨ ﴾ [سبأ: ٢٨] ويقول عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٤٩ ﴾ [الحج: ٤٩] ويقول جل جلاله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ويقول الرسول ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»[٥١].

---

(٥٠) انظر كتاب قضايا ومباحث السيرة النبوي، د. سليمان بن حمد العودة، والحديث صححه الحاكم في المستدرك (٥٧٥٦) ووافقه الذهبي، وانظر مسند الإمام أحمد رقم (٢٤٠٣٠).

(٥١) أخرجه البخاري من حديث جابر رقم (٤٢٧) باب قول النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً، ١/ ١٦٨.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ب) نسخها لجميع الرسالات والشرائع السابقة: يقول عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[المائدة: ٤٨]، ويقول رسول الله ﷺ: «... لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني». ويقول أيضاً: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به كان من أصحاب النار»(٥٢).

ج) كمالها وخلودها: يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ... ﴿٣﴾﴾[المائدة: ٣]، لقد ختم الله الرسالات برسالة محمد ﷺ وختم النبوات بنبوة محمد ﷺ يقول الله جل جلاله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ ... ﴿٤٠﴾﴾[الأحزاب: ٤٠] ويقول رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»(٥٣).

د) يسرها وسهولتها: إن أمة محمد ﷺ أمة مرحومة، لذا كانت شرائعها ودينها يمتاز باليسر والسهولة، ويقول جل جلاله: ﴿...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ... ﴿٧٨﴾﴾[الحج: ٧٨]، ولقد رفع الله جل جلاله عنها الإصر والأغلال التي كانت على الأمم السابقة، يقول جل جلاله: ﴿...مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦] ويقول: ﴿...يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ...﴾[البقرة: ١٨٥](٥٤).

هـ) الرسالة هي المعجزة والمعجزة هي الرسالة: فالرسالة المحمدية متضمنة القرآن الكريم، والقرآن معجزة الإسلام العظمى الخالدة إلى يوم القيامة، ولم تكن معجزات الأنبياء السابقين إلا معجزات مادية ملازمة لشخص النبي، وانتهت بانتهاء النبي، ولم يبق إلا الحديث عنها، أما معجزة القرآن الكريم فإنها باقية مستمرة، تقام الحجة بها في جميع العصور وعلى أهل كل جيل من الأجيال.

---

(٥٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١٥١٩٥)
(٥٣) أخرجه مسلم رقم (٢٢٨٦) باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، ٤/ ١٧٩.
(٥٤) انظر هذه الخصائص وغيرها في معالم الثقافة الإسلامية، د. عبد الكريم عثمان، ص ٥٠، وما بعدها، والخصائص العامة للإسلام للدكتور يوسف القرضاوي.

الجديد و طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الخامس
الإيمان باليوم الآخر

محذوف

المطلب الأول: مدى عناية القرآن الكريم واهتمامه باليوم الآخر

عني القرآن الكريم عناية بالغة، واهتم اهتماماً خاصاً، بالحديث عن اليوم الآخر من خلال عرض أحداثه، وتقريره في كل موقع، وإثبات وقوعه بمختلف الأدلة والآيات، والرد على منكريه، ودحض شبهاتهم بمختلف الحجج والبراهين.

وتجلى هذا الاهتمام، وتمثلت تلك العناية فيما يلي:

● أولاً: الإتيان به عقب الإيمان بالله مباشرة

على الرغم من أن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان الستة، كما ورد في حديث جبريل المشهور: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر...» إلا أننا نلاحظ أن القرآن الكريم يضع الإيمان باليوم الآخر عقب الإيمان بالله عز وجل مباشرة في كثير من الآيات، فعلى سبيل المثال يقول تعالى: ﴿...وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ...﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، فقد جعله الله بعد الإيمان بالله وقبل الإيمان بملائكته وكتبه وأنبيائه، وكذلك جعله بين الإيمان بالله وبين العمل الصالح حيث يقول سبحانه: ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

● ثانياً: الإكثار من التذكير به، وعرض مشاهده، وتفصيل أحداثه

فالذي يقرأ القرآن يلاحظ أنه لا تكاد تخلو سورة من سوره من التذكير باليوم الآخر، وتدبر ما سيقع فيه من أحداث ومشاهد وأهوال، والتي قام القرآن الكريم بعرضها عرضاً مفصلاً وفي صور عديدة ومتنوعة، حتى تتم العبرة والاتعاظ به على أكمل حال.

● ثالثاً: تعدد أسمائه

من الملاحظ أيضاً أن القرآن الكريم قد أطلق على اليوم الآخر أسماء كثيرة ومتعددة بلغ البعض في تعدادها إلى ما يقرب من ثلاثمئة اسم، ومن هذه الأسماء: يوم القيامة، يوم الدين، يوم البعث، يوم الحساب، يوم التلاق، يوم الخروج، يوم الحسرة،

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويسمى بـ"الآزفة" و"الطامة الكبرى" و"الصاخة" و"الحاقة" و"الغاشية" و"الواقعة" و"القارعة" وغيرها.

ويرجع تعدد هذه الأسماء إلى اختلاف ما سيق فيه من الأهوال والمواقف والأحداث، فالقيامة مثلاً لقيام الناس من قبورهم، والبعث لما سيقع فيه من بعث العباد وإخراجهم، والحساب لما يقع فيه من حساب وغير ذلك، ومعنى هذا أن الله عز وجل – كما يقول الإمام الغزالي – قد وصف بعض دواهيها، وأكثر من أساميها؛ لنقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها، فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرير الأسامي والألقاب، بل الغرض تنبيه أولي الألباب، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر، وفي كل نعت من نعوتها معنى، فاحرص على معرفة معانيها(٥٥).

المطلب الثاني: سر عناية القرآن الكريم باليوم الآخر

ويرجع السر في عناية القرآن الكريم واهتمامه باليوم الآخر إلى ما يلي:

● أولاً: إنكار المشركين واستبعادهم لوقوعه

إذا كان كفار مكة وغيرهم من كفار الأمم السابقة، قد انكروا توحيد الألوهية بالرغم من إقرارهم لتوحيد الربوبية، فإنهم كانوا منكرين أشد الإنكار لليوم الآخر، ومستبعدين تمام الاستبعاد لقيام الناس من قبورهم بعد أن ماتوا وصاروا عظاماً ورفاتاً، حيث يقول قوم من هؤلاء عن نبيهم:

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[المؤمنون: ٣٤ – ٣٧].

وجاء كفار مكة فرددوا هذا القول حتى حكى القرآن عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨١ – ٨٣].

ولذلك فإن الشهرستاني حينما تحدث عن معطلة العرب، ذكر من أصنافهم صنفين: صنف أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني،

(٥٥) راجع إحياء علوم الدين، ج٥/ ٢٠٥، ٢٠٦، طبعة دار الفجر للتراث، القاهرة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهؤلاء هم الدهريون – الذين سبق الحديث عنهم – وكان شعارهم "إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع".

وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع، لكنهم أنكروا البعث والإعادة. وانتهى إلى أن شبهاتهم كانت مقصورة على شبهتين: إنكار البعث (بعث الأجسام) وجحد البعث (بعث الرسل). ويقول شارح الطحاوية: "فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإن منكريه كثيرون"(٥٦).

● ثانياً: فساد تصور اليهود والنصارى لليوم الآخر

إذا كانت التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى بن مريم – عليهما السلام – قد احتوى كل منهما على عقيدة الإيمان باليوم الآخر، كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم في كثير من آياته، فإن كلاً من اليهود والنصارى قد انحرف في تصوره لليوم الآخر عما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام(٥٧)، فكان لا بد من تصحيح شامل ومفصل لما قاموا به من تضليل وإفساد، وما أحدثوه من تغيير وتبديل في عقائد أنبيائهم، فإن الأنبياء عليهم السلام كلهم – كما يقول شارح الطحاوية – متفقون على الإيمان بالآخرة(٥٨).

ثالثاً: أثر الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم، وتأثير عجيب في توجيه وضبط سلوك الإنسان على مستوى الأفراد والمجتمعات، مما يؤدي إلى الالتزام بمحاسن الأخلاق وشيوع التعاون على البر والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان، والحث على فعل الخيرات، وترك المنكرات، والدعوة إلى التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال ما يحدثه الإيمان بالآخرة من مراقبة الله عز وجل في السر والعلن، والطمع في ثوابه، والخوف من عقابه، يقول تعالى عن القرآن الكريم: ﴿...وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾[الأنعام: ٩٣]،

---

(٥٦) راجع الملل والنحل، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ج٢، ص٥٨٩، ولمزيد من التفاصيل حول الإيمان باليوم الآخر راجع دراسات العقيدة الإسلامية للدكتور فتحي محمد الزغبي الجزء الرابع: السمعيات، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٥٧) راجع التفاصيل في: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام للدكتور فرج الله عبد الباري، دار الوفاء – مصر.

(٥٨) راجع شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ج٢، ص٥٩٠، طبعة مؤسسة الرسالة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾ [المؤمنون: ٧٤].

رابعاً: عموم وخلود رسالة الإسلام

لما كان النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ولما كانت رسالته متضمنة عناصر البقاء والخلود؛ لأنها للناس كافة، وباقية إلى أن تقوم الساعة، ولما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وكان لا بد أن يتضمن الحديث عن اليوم الآخر بالتفصيل، وأن يأتي على قضية البعث بالقول الفصل.

يقول شارح العقيدة الطحاوية: "ومحمد لما كان خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفى، بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء" ومن أجل ذلك فإن: "الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن"(٥٩).

المطلب الثالث:

استدلالات القرآن الكريم على وقوع البعث والرد على منكريه

سبق أن أشرت إلى أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي عرض لشبهات منكري البعث، وقام بإبطالها ودحضها والرد عليها بمختلف الأدلة والبراهين، وسوف نعرض هنا لبعض تلك الأدلة وهذه البراهين كما يلي:

أولاً: من خلال الآيات الأخيرة من سورة (يس)

جاء في كتب التفسير: أن أحد المشركين(٦٠) جاء إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم، وفته بيده وأخذ يذروه في الهواء، ويقول له في سخرية تهكم: "يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم؟!!"

(٥٩) راجع شرح الطحاوية، ج٢، ص٥٨٩، عند قول الطحاوية: ونؤمن بالبعث، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٦٠) ذكرت بعض الروايات أنه (أبي بن خلف) وفي روايات أخرى أنه (العاص بن وائل) وسواء قد نزلت في أحدهما أو فيهما معاً؛ فهي عامة في كل من أنكر البعث والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، راجع تفسير ابن كثير، ج٣، ص٦٨١، والبحر المحيط، ٩/ ٨٣، ٨٤. وتفسير الفخر الرازي، ج٢٦، ص١٠٨.

الجديد و طعري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال له رسول الله ﷺ: «نعم يميتك الله تعالى، ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار»، ونزلت الآيات الأخيرة، من سورة (يس) من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٧٧ – ٨٣].

واستنبط العلماء من هذه الآيات الكريمة ما يلي:

١ – الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة: وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[يس: ٧٨ – ٧٩].

يذكر شارح الطحاوية أنه لو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة، أو بمثلها في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضع الأدلة، وصحة البرهان لما قدر، فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان في قوله تعالى: ﴿ وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ﴾ ما وفَّى بالجواب وأقام الحجة، وأزال الشبهة، ولما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز[٦١].

وهو استدلال من الوضوح والجلاء، بحيث لا يحتاج إلى مزيد من التفكير وذلك لأن المنكرين يقرون بالبدء أو الخلق الأول، ويعترفون به لأنه أمر محسوس ومشاهد، فلا يستطيعون إنكار أننا كنا أمواتاً ثم أحيانا الله وأوجدنا بعد عدم، يقول تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨].

بل إنه في عرف البشر من خلق في المرة الأولى، تكون إعادة الخلق مرة أخرى عليه أسهل وأهون، ولله المثل الأعلى، ولذلك يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ

(٦١) راجع شرح الطحاوية، ج٢، ص٥٩٤، مؤسسة الرسالة تحقيق التركي وشعيب الأرناؤوط.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم: ٢٧].

يقول الكندي (فيلسوف العرب): فأي دليل في العقول النيرة الصافية أبين وأوجز من أنه إذا كانت العظام قد وجدت بالفعل بعد أن لم تكن، فإنه من الممكن - إذا بطلت وصارت رميماً - أن توجد من جديد -، فإن جمع المتفرق أسهل من صنعه من العدم، وإن كان الأمر بالنسبة لله لا يوصف بكونه أشد وأضعف، وإن القوة التي أبدعت ممكن أن تنشئ ما أدثرت.

أما كون العظام موجودة بعد أن لم تكن، فذلك ظاهر للحس، فضلاً عن العقل، وإن السائل عن هذه المسألة الكافر بقدرة الله جل وتعالى مقر أنه هو نفسه كان بعد أن لم يكن، فعظمه إذن وجد بعد أن لم يكن، فإعادته وإحياؤه أمر ممكن ولا سبيل إلى القول بخلاف ذلك(٦٢).

٢- الاستدلال بعلمه سبحانه بتفاصيل خلقه

جاء في شرح العقيدة الطحاوية أنه: "لما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه، وعلمه بتفاصيل خلقه، أتبع ذلك بقوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته، ومواده وصورته، فكذلك الثاني، فإذا كان تام العلم، كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟"(٦٣).

ويذكر الحافظ ابن كثير أن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ يفيد أنه يعلم العظام في سائر أقطار الأرض، وأرجائها أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت ويفسر هذا بقوله تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ق: ٤] ويقول القرطبي: (أي ما تأكل من أجسادهم فلا يضل عنا شيء حتى تتعذر علينا الإعادة، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه: ٥١-٥٢] وبما ورد في الصحيح: "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب" وثبت أن الأنبياء والأولياء والشهداء لا تأكل الأرض أجسادهم(٦٤).

---

(٦٢) راجع رسائل الكندي الفلسفية تحقيق وتقديم الدكتور أبي ريدة، والتفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور عبد الحليم محمود، ص٢١٨، دار المعارف -- مصر.

(٦٣) راجع شرح الطحاوية، ج٢، ص٥٩٤، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٦٤) راجع تفسير القرطبي، ج١٧، ص٥٩٤، طبعة مؤسسة الرسالة.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- الاستدلال بخروج الشيء من ضده

حيث أكد الله – سبحانه – الأمر بحجة قاهرة، وبرهان ظاهر، يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعته حارة رطبة، بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً فقال: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[يس: ٨٠].

فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها، ولا تستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه، من إحياء العظام وهي رميم(٦٥).

٤- الاستدلال بالخلق الأكبر على الخلق الأصغر

حيث يؤكد الله سبحانه على إحياء العظام، وهي رميم بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل، فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر.

فمن قدر على حمل قنطار، فهو على حمل أوقية أشد اقتداراً فقال: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[يس: ٨١]، فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتها، وعظم شأنها، وكبر أجسامها، وسعتها وعجيب خلقها، هو أقدر على أن يحي عظاماً قد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى.

كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[غافر: ٥٧].

وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأحقاف: ٣٣].

ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آخر، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره، الذي يفعل بالآلات والكلفة، والتعب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آلة ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه، ويكونه، بنفس إرادته، وقوله للمكون

---

(٦٥) راجع شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٥٩٤ – ٥٩٥، طبعة مؤسسة الرسالة.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(كن)، فإذا هو كائن كما شاء وأراده[٦٦] ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

ثانياً: الاستدلال على وقوع البعث والرد على منكريه من سور وآيات أخرى:

أ- الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها:

هناك آيات كثيرة يستدل بها تعالى على البعث بإحياء الأرض بعد موتها، حيث ينبه تعالى عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، كذلك الأجساد إذا أراد الله بعثها ونشورها، أنزل من تحت العرش مطراً يعم الأرض جميعاً، وتنبت الأجساد في قبورها، كما تنبت الحبة في الأرض.

ومن هذه الآيات التي تتحدث عن ذلك قوله تعالى: ﴿...وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥]، والهمود درجة بين الحياة والموت، وهكذا تكون الأرض قبل الماء، وهو العنصر الأصيل في الحياة والأحياء، فإذا نزل عليه الماء اهتزت وربت، وهي حركة عجيبة سجلها القرآن الكريم قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهي تتشرب الماء، وتنتفخ فتربو، ثم تتفتح بالحياة، فاستدل على إحياء الموتى بإحياء هذه الأرض الميتة الهامدة، ولذلك قال بعدها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٦ – ٧] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

جاء في مسند الإمام أحمد أنه حينما سئل رسول الله ﷺ: كيف يحيي الله الموتى، وما آية ذلك على خلقه؟ قال لسائله: أما مررت بوادي أهلك ممحلاً؟ قال: بلى، قال: ثم مررت به يهتز خضراً، قال: بلى، قال: وكذلك يحيي الله الموتى، وذلك آيته في خلقه. وفي رواية أخرى قال لسائله: أمررت بأرض من أرض قومك مجدبة؟ ثم مررت بها مخصبة؟ قال: نعم، قال: كذلك النشور[٦٧].

---

(٦٦) راجع شرح الطحاوية، ج٢، ص٥٩٥ – ٥٩٦.

(٦٧) راجع تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢٠٨، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، والحديث رواه أحمد عن أبي رزين ٤/ ١١، والحاكم في المستدرك رقم (٨٦٨٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ب- دليل الحكمة من خلق الإنسان وأنه لم يخلق عبثاً

استدل سبحانه على البعث بخلق الإنسان، وأنه لم يخلق عبثاً فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

فاحتج سبحانه تعالى أنه لا يتركه مهملاً عن الأمر والنهي، والثواب والعقاب وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء، فإن من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب في الحواس، والقوى، والعظام والمنافع، والأعصاب والرباطات التي هي أشده، وأحكم خلقه غاية الإحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة، التي هي أتم الصور، وأحسن الأشكال، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟

أم كيف تقتضي حكمته وعنايته به أن يتركه سدى؟ فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته، فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب، بالقول الوجيز، الذي لا يكون أوجز منه، والبيان الجليل الذي لا يتوهم أوضح منه، ومأخذه القريب الذي لا تقع الظنون على أقرب منه(٦٨).

ج- الاستدلال بالعدالة الإلهية والضرورة الأخلاقية

وذلك بأنه كثيراً ما يموت الظالمون دون أن يقتص منهم، ويموت المظلومون دون أن يقتص لهم، ويأخذوا حقهم فليس من الحكمة ولا من لوازم العدالة أن لا يكون هناك جزاء للإنسان من إثابة المطيع على طاعته والمحسن على إحسانه، وعقاب العاصي على معصيته، والمسيء على إساءته، حتى لا يستوي المحسن والمسيء، وإذا لم يتحقق هذا في الدنيا فلا بد أن يتحقق في الآخرة.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٣]، ويقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

---

(٦٨) راجع شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٥٩٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول فخر الدين الرازي: "لو لم توجد القيامة؛ لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين؛ ولتعطل توفية الثواب على المطيعين، وتوفية العقاب على الكافرين، وذلك يمنع من القول بأنه تعالى ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق)(٦٩).

المطلب الرابع: حياة البرزخ

أولاً: تعريف البرزخ

البرزخ في اللغة هو الحاجز بين الشيئين، وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ، يقول تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ ﴾ [الرحمن: ١٩ – ٢٠] ويطلق البرزخ على الحياة التي تعقب موت الإنسان، والفترة التي يقضيها بين خروجه من الدنيا ودخوله في الآخرة.

يقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠ ﴾ [المؤمنون:٩٩ – ١٠٠].

وفسر العلماء البرزخ هنا بأنه: الحاجز بين الموت والبعث أو بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل في البرزخ، وقال رجل بحضرة الشعبي: رحم الله فلاناً فقد صار من أهل الآخرة. فقال: لم يصر من أهل الآخرة، ولكنه صار من أهل البرزخ، وليس من الدنيا ولا من الآخرة(٧٠).

ثانياً: فتنة القبر وسؤال الملكين

اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان يسأل بعد موته قبر أم لم يقبر، حتى لو تمزقت أعضاؤه، أو أكلته السباع، أو أحرق، أو سحق، حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو غرق في البحر، فلا بد أن يسأل عن أعماله، وأن يجازى بالخير خيراً وبالشر شراً، فقد ورد في كثير من الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ما خلاصته: أن الميت إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، تعاد روحه في جسده، ويسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فأما المؤمن فيجيب بقوله: ربي الله، وديني الإسلام، والرجل المبعوث فينا محمد ﷺ فيقول الملكان: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به

---

(٦٩) راجع التفسير الكبير، ج٧، ص١٨٩.
(٧٠) راجع تفسير ابن كثير، مجلد ٣، ص٣٢١، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، وتفسير القرطبي، مجلد٦، ج١٢، ص١٠٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقعداً في الجنة فيراهما جميعاً، وأما المنافق والكافر فيقول: لا أدري فيقولان له: لا دريت ولا تليت، ثم يصيبه ما قدر له من العذاب(٧١)، وكان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن ميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»(٧٢)، وقد ورد اسم الملكين فيما يلي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير...»(٧٣).

ثالثاً: عذاب القبر ونعيمه

ثبت عذاب القبر ونعيمه بدلائل من الكتاب الكريم والسنة النبوية، فمن القرآن الكريم استدل العلماء على عذاب القبر بقوله تعالى: ﴿...وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ ...﴾ [غافر: ٤٥-٤٦] والذي يدل على أن ذلك يكون في القبر، وقبل أن تقوم الساعة ما جاء بعد ذلك تكملة للآية حيث يقول تعالى: ﴿... وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] واستدلوا أيضاً بقوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٥].

والفاء للتعقيب، فتفيد دخولهم النار عقب الإغراق مباشرة، ولا يكون ذلك إلا في عذاب القبر، وبقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] حيث بين البعض أن المراد به عذابهم في البرزخ، وهو الأظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا.

ومن السنة النبوية استدل العلماء بعدد من الأحاديث الواردة عن عذاب القبر منها ما ورد في الصحيحين: عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ مر على قبرين فقال: أما إنهما ليعذبان - وما يعذبان في كبير - أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، قال: فدعا بعسيب رطب، فشقه اثنين، ثم غرس على هذا واحداً، وعلى هذا واحداً، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)(٧٤).

---

(٧١) راجع شرح الطحاوية، ج٢، ص٥٧٢ - ٥٧٨، وأصل الحديث رواه الشيخان، صحيح مسلم رقم (٢٨٧٠) باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار، ٤/ ٢٢٠٠.

(٧٢) رواه أبو داود في سننه رقم (٣٢٢١) باب الاستغفار ثم القبر للميت ٣/ ٢١٥.

(٧٣) رواه الترمذي (١٠١٧) وقال حسن غريب، صحيح ابن حبان (٣١١٧) ٧/ ٣٨٦.

(٧٤) متفق عليه، رواه البخاري، رقم (٢١٣) باب من الكبائر

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويدل على ثبوت نعيم القبر ما ورد في الآيات الواردة عن الشهداء، وما يتمتعون به من نعيم، وأنهم ليسوا أمواتاً بل أحياء، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ – ١٧٠] ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤].

ومن السنة قوله النبي ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»(٧٥).

وإذا كان القبر ونعيمه قد ثبتا بهذه الدلائل فيجب علينا الإيمان بذلك، دون أن نسأل عن الكيفية، يقول شارح الطحاوية: "وقد تواترت الأخبار عن رسول الله في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يحيله العقول، ولكن قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير المألوفة في الدنيا(٧٦).

ويقول في موضع آخر: "واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب، نال نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه، واختلاف ضلوعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده، وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال، والعدول عن الصواب مالا يعلمه إلا الله". وانتهى إلى أن: "كون القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم(٧٧).

---

(٧٥) رواه الترمذي في جامعه رقم (٢٤٦٠) وقال: حديث حسن غريب، ٤/ ٦٣٩.

(٧٦) راجع شرح الطحاوية، ج٢، ص٥٧٨.

(٧٧) شرح الطحاوية، ج٢، ص٦٠٩، وما بعدها.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الخامس: نماذج من مشاهد اليوم الآخر وأحداثه:

● أولاً: الحشر

بعد أن يتم بعث الموتى، بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم، يبدأ ما يعرف بـ(الحشر) وهو في اللغة بمعنى الضم والجمع، وفي الاصطلاح عبارة عن سوق الخلائق جميعاً إلى الموقف، لفصل القضاء بينهم(٧٨).

ويتم سوقهم إلى هذا الموقف كما خلقهم الله أول مرة، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٤].

حيث يتم حشرهم حفاة (غير منتعلين)، عراة (غير مكتسين)، غرلاً (غير مختتنين) فقد ورد في الصحيح عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، قلت: يا رسول الله ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: يا عائشة! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)(٧٩).

ولعل هذا يفسر قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٢٤ – ٢٧] ولذلك فإنه يقع في هذا الموقف هول شديد، ويصاب الناس بكرب عظيم، حيث ﴿ ...تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [االحج: ٢]، حيث ينال الناس فيه من الشدائد ما ينالون:

أ- كطول الوقوف، قيل ألف سنة كما في سورة "السجدة" وقيل خمسين ألف سنة كما ورد في "المعارج"، ولا تنافي بين الأمرين لأن العدد لا مفهوم له، وهو مختلف باختلاف أحوال الناس، فيطول على الكفار، ويتوسط على الفساق، ويخف على الطائعين، حتى يكون كصلاة ركعتين.

ب- وكإلجام الناس بالعرق – الذي هو أنتن من الجيفة – حتى يبلغ آذانهم، ويذهب في الأرض سبعين ذراعاً، والناس يكونون فيه على قدر أعمالهم، فقد ورد في صحيح

---

(٧٨) راجع شرح الجوهرة، ص٢١٢ – ٢١٣.

(٧٩) متفق عليه، صحيح البخاري، رقم (٦١٦٢)، باب كيف الحشر، ٥/ ٢٣٩٠، وصحيح مسلم رقم (٢٨٥٩)، باب فناء الدنيا، ٤/ ٢١٩٣.

الجديد و طصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار ﷺ بيده إلى فيه»[٨٠]

ولكي يتفادى المسلم هذا الموقف العصيب وينجو من أهواله عليه أن يكون ضمن السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وهم: «الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه»[٨١].

ويزداد هول الموقف، حتى يتمنى أهل النار أن يصرفوا ولو إلى النار، وعندئذ يلجأ الناس إلى من يشفع لهم عند ربهم، فتكون الشفاعة العظمى كما سنبين بعد ذلك.

● ثانياً: الحساب

ومن أحداث اليوم الآخر ما يعرف بـ(الحساب)، وهو في اللغة: العدد وفي الاصطلاح: توقيف الله العباد، قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً، قولاً كانت أو فعلاً تفصيلاً، بعد أخذهم صحائفهم، ويكون للمؤمن والكافر إنساً وجناً إلا من استثنى منهم[٨٢].

ويكون الحساب بعد العرض، يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

وروى البخاري في صحيحه عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت يا رسول الله: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧ – ٨] فقال رسول الله ﷺ إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب». يعني أنه لو ناقش سبحانه في حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه

---

(٨٠) صحيح مسلم، رقم (٢٨٦٤)، باب فضل إخفاء الصدقة، ٢/ ٧١٥.

(٨١) صحيح مسلم، رقم (٢٨٦٤)، باب في صفة يوم القيامة، ٤/ ٢١٩٦.

(٨٢) راجع شرح الجوهرة، ص٢١٦.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعالى يعفو ويصفح[٨٣]، فالمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة على الصغيرة والكبيرة، والمطالبة بالجليل والحقير، وعدم المسامحة.

العدالة المطلقة في الحساب

وأول من يضمن تحقيق هذه العدالة، أن الله – سبحانه – هو الذي يتولى محاسبة الخلق بنفسه دون واسطة، فلا يشغله أحد عن أحد، حتى إن كل أحد يرى أنه هو المحاسب وحده، ولذلك حين سئل الإمام علي بن أبي طالب: كيف يحاسب الله الناس جميعاً في وقت واحد، قال لسائله: كما يرزقهم في آن واحد يسألهم في آن واحد.

وإذا كان الله سبحانه هو الذي يحاسب العباد فإنه يقول: ﴿...وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾ [النساء: ٦]، ويقول تعالى: ﴿...وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف: ٤٩] ويقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والأمر الثاني أن الله عز وجل على الرغم من أنه عالم بأعمال العباد ومطلع عليهم، إلا أنه سيقيم عليهم الحجة، بأن يروا صحائف أعمالهم، ويطلعوا على ما فيها، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣ – ١٤].

بالإضافة إلى شهادة أعضائه ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النور: ٢٤ – ٢٥]، هذا مع شهادة الأرض، والكرام الكاتبين وفوق كل ذلك وقبله وبعده عدل الله ورحمته وفضله.

• ثالثاً: الشفاعة

تعريفها في اللغة: الشفع هو ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة هي الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في القيامة[٨٤].

فهي تطلق في اللغة على الوسيلة والطلب، وتطلق في الاصطلاح على سؤال الخير من الغير للغير[٨٥]. و المقصود بها في الآخرة: سؤال الله الخير للناس، فهي نوع من أنواع الدعاء المستجاب.

---

(٨٣) راجع شرح الطحاوية، ج٢، ص٦٠١ – ٦٠٢.
(٨٤) راجع المفردات للراغب الأصفهاني، ص٤٥٧ – ٤٥٨.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتدور الشفاعة حول أربعة:

١- شافع ٢- مشفوع عنده ٣- مشفوع له ٤- مشفوع فيه

● ويشترط لقبولها في الآخرة ما يلي:

١- أن يأذن المشفوع عنده (وهو الله ﷻ) للشافع (وهو النبي ﷺ أو غيره) وأن يقبل شفاعته، فهو وحده سبحانه صاحب الشفاعة ومالك أمرها يقول تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ...﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] والشافع إذا قبلت شفاعته صار مشفعاً، ولذلك يقول الرسول ﷺ: «أنا أول شافع وأول مشفع»[٨٦] أي أول من يطلب الشفاعة وأول من يقبل.

٢- أن يكون المشفوع عنده – سبحانه – راضياً عن الشافع، وأن يكون الشافع مرضياً عنده بأن يكون له منزلة عنده.

٣- وأن يكون المشفوع له أهلاً لأن تقبل له الشفاعة، وأن يرتضيها المشفوع عنده (وهو الله سبحانه) يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

ويقول عن الملائكة: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٣٨] ويقول عنهم أيضاً: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

٤- وأن يكون المشفوع فيه أمراً قابلاً للشفاعة، ومما يدخل في دائرة الشفاعة، فلا يجوز أن تتم الشفاعة في أمور لا تكون موضع شفاعة لأحد، ولا يرتضي الله الشفاعة إلا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الإلهي، وتكون الشفاعة لإظهار كرامة الشافع، ومنزلته عند ربه، تنفيذاً للإرادة الإلهية، عقب دعائه وطلبه من الله، وليس فيها ما يدعو إلى الغرور أو التهاون في ترك ما كلف الله به من إيمان تزكو به النفس، وعمل صالح يصل بالإنسان إلى كماله المنشود[٨٧].

أنواع الشفاعة

١- الشفاعة الأولى (وهي العظمى)، الخاصة بسيد الخلق محمد ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين – صلوات الله عليهم أجمعين -: حيث يسأل الله سبحانه أن

---

(٨٥) راجع شرح الجوهرة، ص٢٣٦.

(٨٦) رواه الترمذي (٣٦١٦)، وابن ماجة (٤٣٠٨)، وأبو داود (٤٦٧٣)، والبيهقي وقال أخرجه مسلم.

(٨٧) راجع العقائد الإسلامية للشيخ سيد، سابق، ص٢٧٥، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يقضي بين الخلق؛ ليستريحوا من هول الموقف، فيستجيب الله له، فيغبطه الأولون والآخرون، ويظهر بذلك فضله على العالمين.

ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ قوله: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع»(٨٨) أي مقبول الشفاعة فيكون مقدماً على غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين.

فإنه حين يشتد الهول بالناس، ويعظم الكرب عليهم، ويتمنون الانصراف ولو إلى النار، يلهمون أن الأنبياء قد يشفعون لهم عند الله عز وجل حتى يتم الفصل بينهم، فيذهبون إلى آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر فاشفع لنا فيقول: لست لها، نفسي نفسي لا أسأل اليوم غيرها، ويعتذر بالأكل من الشجرة، فيذهبون إلى نوح عليه السلام ويسألونه الشفاعة فيعتذر لهم... وهكذا بين كل نبي ونبي ألف سنة، حتى يذهبوا إلى النبي ﷺ ويسألوه الشفاعة فيقول: أنا لها أنا لها، فيسجد تحت العرش، فينادى من قبل الله: ارفع رأسك واشفع تشفع فيرفع رأسه، ويشفع في فصل القضاء، وحينئذ يفتح باب الشفاعة لغيره، وهذه الشفاعة العظمى هي مختصة به ﷺ قطعاً، وهي أول المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿...عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩] أي يحمدك به الأولون والآخرون، وآخره استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار(٨٩).

يقول رسول الله ﷺ: «إن الشمس تدنو يوم القيامة، حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ فيشفع، ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب (أي باب الجنة) فيومئذ يبعث الله مقاماً محموداً، يحمده أهل الجمع كلهم»(٩٠).

٢- النوع الثاني: شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب(٩١).

---

(٨٨) رواه مسلم رقم (٢٢٧٨) باب تفضيله ﷺ على جميع الخلائق، ٤/ ١٧٨٢.

(٨٩) راجع شرح الجوهرة، ص٢٣٦ - ٢٣٧، والأحاديث المطولة في الشفاعة مذكورة في شرح الطحاوية، ج١، ص٣٤٩ - ٣٥٤، والحديث رواه الحاكم في المستدرك، رقم (٢٢٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٩٠) رواه البخاري، رقم (١٤٠٥)، باب من سأل الناس تكثراً. عن عبد الله بن عمر، ٢/ ٥٣٦.

(٩١) انظر شرح الطحاوية، ج١، ص٣٥٥، والحديث رواه البخاري رقم (٥٤٢٠) ومسلم رقم (٢١٦).

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- النوع الثالث: الشفاعة في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة مع الشفاعة العظمى وخالفوا فيما عداهما.

٤ - النوع الرابع: شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار، فيخرجون منها، حيث تواترت بهذا النوع الأحاديث، ومنها حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[٩٢].

المبحث السادس
الإيمان بالقدر

المطلب الأول: تعريف القدر

القدر والتقدير في اللغة بمعنى واحد، تقول: قدرت الشيء قدراً، وتقديراً إذا دبرته بفكرك قبل إحداثه، وأحطت علماً بمقاديره وحدوده التي سيكون عليها.

وفيما يتعلق بالاصطلاح فإن القدر الذي يجب الإيمان به هو: علم الله تعالى وإحاطته الأزلية بمقادير الأشياء وأحوالها التي ستكون عليها: من مبدأ ونهاية، وقوة وضعف، وخير وشر، وما تقع فيه من زمان ومكان وما يسبقها من مقدمات وما يتبعها من آثار، بحيث يكون إيجادها بعد على وفق ذلك العلم[٩٣].

المطلب الثاني: وجوب الإيمان بالقدر:

والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان الستة، حيث يقول رسول الله ﷺ في حديث جبريل: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

ومعنى الإيمان بالقدر من خلال التعريف السابق، أن نؤمن بأنه لا يقع مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا طبقاً لما أحاط به علمه،

---

(٩٢) حديث صحيح بطرقه وشواهده ويذكر شارح الطحاوية أن المعتزلة والخوارج خالفوا بذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته، راجع ج١، ص٣٥٦.

(٩٣) راجع المختار من كنوز السنة للدكتور محمد عبد الله دراز، ص١٧٣ – ١٧٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسبق به كتابه، يقول سبحانه: ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[الفرقان: ٢] ويقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

ويقول عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾[الحديد: ٢٢]، ويقول رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»(٩٤)، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وجزء أساسي من عقيدة المسلم ينبغي التمسك به والحرص عليه.

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان بالقدر

١- طمأنينة القلب: حينما يسلم المؤمن بقدر الله، ويرضى بقضائه، فإن ذلك يؤدي إلى طمأنينة في قلبه، وهدوء في نفسه، ويسلم من الأمراض العصبية والعقد النفسية، ويتحقق حينئذ ما قال الله عز وجل بعد أن بين أن كل ما يصيب الإنسان إنما هو مسجل في كتاب: ﴿... لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] فلا يجزع الإنسان عند المصائب، ولا يغتر بما يحقق من مكاسب، وإنما يصبر إن أصابته ضراء، فكان خيراً له، ويشكر إن أصابته سراء، فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن كما ورد في الحديث الشريف(٩٥).

٢- عدم اليأس والقنوط: ولا يكون التسليم بالقدر إلا بعد أن يبذل الإنسان وسعه في سلوك الطرق المؤدية إلى الخير، وإذا لم يصل الإنسان إلى ما يهدف إليه فعليه أن يقول: «قدر الله وما شاء فعل»، كما قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان»(٩٦).

٣- حصول اليقين في القلب: ولن يجد المسلم طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه، وبعد أن يوقن بما قاله رسول الله ﷺ لابن عباس - رضي الله عنهما -: «... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد

(٩٤) رواه مسلم (٢٩٩٩) باب المؤمن أمره كله خير، ٤/ ٢٢٩٥.
(٩٥) رواه مسلم (٢٩٩٩) باب المؤمن أمره كله خير، ٤/ ٢٢٩٥.
(٩٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٦٤) باب الأمر بالقوة وترك العجز، ٤/ ٢٠٥٢.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»(٩٧).

٤- الأخذ بالأسباب: وليس معنى ذلك أن الإيمان بالقدر دعوة إلى القعود والتكاسل، وحث على الجبن والخور، انطلاقاً من أنه لا فائدة في إتعاب النفس بالأعمال ما دام كل شيء مقدراً من قبل، وإنما الصحيح أن الله عز وجل كما علم أسبابها، ونتائجها، وسائر أحوالها وربط الأسباب بمسبباتها، ومجموع ذلك هو القدر، فإذا علم الله أمراً يسر له أسبابه الموصلة إليه في علمه، حتى يقع على الوجه الذي علمه، فالتوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب، فحينما سئل النبي ﷺ فيم العمل؟ قال ﷺ: «إن أهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وإن أهل النار ميسرون لعمل أهل النار»(٩٨)، وهذه سنة رسول الله ﷺ ناطقة كلها بإتيان البيوت من أبوابها، وأخذ الأعمال بأسبابها: فقد لبس الرسول ﷺ الدروع في الحروب، وحفر الخندق، واستعمل العيون والحراس، واستظهر بالحلفاء، واستعان بالأصحاب، وتداوى وأمر بالتداوي، وسعى وأمر بالسعي، وتعلم منه الفاروق عمر رضي الله عنه حينما قيل له في مسألة الطاعون: «أفراراً من قدر الله؟ قال: نفر من قدر الله إلى قدر الله»(٩٩)، فلو كان عمر يفهم القدر كما حرفه الجهلاء لدخل قرية الطاعون وقال: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

٥- تفجير الطاقات الكامنة في الإنسان: حينما التزم المسلمون الأوائل بعقيدة القدر، وفهموها حق فهمها، حققوا خلافة الله في الأرض، وانطلقوا بالدين في كل الأرجاء، ففتحوا نصف الدنيا في نصف قرن أو كما قال أحد المستشرقين: فتحوا في ثمانين سنة ما فتحه الرومان في ثمانمئة عام، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا، وما استكانوا، فضربوا المثل العليا في الشجاعة والإقدام وكانت فتوحاتهم خيراً وبركة، حيث حققوا العدل، ونشروا السلام، وأثبتوا بالوقائع العملية أن الإيمان بالقدر يؤدي إلى انطلاق قوى الإنسان وطاقاته، للتعرف على سنن الله الكونية، واستخراج ما في الأرض من كنوز، والانتفاع بما في الكون من خيرات.

---

(٩٧) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٦٦٩) والترمذي في جامعه رقم (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، ٤/ ٦٦٧.
(٩٨) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد رقم (٨٧٣)، ٢/ ٤٠٢، والإيمان لابن منده رقم (٩)، ١/ ١٣٩.
(٩٩) رواه الشيخان، البخاري (٥٣٩٧) باب ما يذكر في الطاعون ٥/ ٢١٦٣، ومسلم رقم (٢٢١٩) ٤/ ١٧٤٠.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني

العبادات

المبحث الأول : تعريف العبادة

المبحث الثاني : مكانة العبادة في الإسلام

المبحث الثالث: أنواع العبادة في الإسلام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

كزوره

تمهيد
أهمية العبادة

تصرف الحكيم لا يخلو من حكمة، ويربأ العالم بنفسه عن العبث في القول والعمل، ولله ﷻ المثل الأعلى. فعندما شاء خلق المخلوقات، كان لا بد من حكمة في ذلك، وقد أنكر على من ظنه أنه خلق لغير حكمة أو وجد لغير مهمة. فقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥ – ١١٦].

فلكل مخلوق في هذا الكون من الذرة إلى المجرة حكمة في خلقه ومهمة يؤديها، وعلى كوكبنا (الأرض) مخلوقات كثيرة، فالإنسان في قمة الكائنات على الأرض خصه الله سبحانه بمزايا وزوده بطاقات وقدرات لم يمنحها غيره. فجعله في أحسن تقويم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

ونفخ فيه من روحه الذي عليه مدار التكريم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٩]، ومنحه العقل الذي عليه مدار التكليف وأعطاه ملكة البيان التي يعبر بها عن إرادته ومشاعره، وما يختلج في نفسه ﴿الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ١ – ٤]، وفضله على كثير من مخلوقاته ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠] مقابل كل ذلك كلفه بمهمة جليلة شريفة هي عبادته، وذكر أنها الغاية من خلقه فقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨] ولم يترك الإنسان يتخبط في متاهات الحياة، بل أرسل إليه الرسل وأنزل الكتب ليبين له طريق الحق – فيتبعه – ويبين له طريق الضلال – فيتجنبه – ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠ – ٦١].

• فما هي العبادة التي خلق الجن والإنس من أجلها؟

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول

تعريف العبادة

معلو ٧

المطلب الأول: تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح

العبادة لغة: قال ابن فارس: العين والباء والدال أصلان صحيحان. كأنهما متضادان، والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل. والآخر على شدة وغلظ. فالأول: العبد المملوك... والمعبد: الذلول.. والطريق المعبد المسلوك المذلل، والأصل الآخر: العبدة وهي القوة والصلاة يقال: هذا ثوب له عبدة، إذا كان صفيقاً قوياً[(١)]، وقال ابن منظور: ... والمعبد: المذلل والتعبد: التذلل... وبعير معبد: مذلل. وطريق معبد: مسلوك مذلل[(٢)].

العبادة اصطلاحاً – شرعاً – لعل أجمع تعريف للعبادة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)[(٣)].

المطلب الثاني: أضواء على التعريف

لقد ضمر معنى العبادة في نفوس بعض المسلمين وعقولهم بحيث حصروها في الشعائر التعبدية: الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج. وربما أضاف بعضهم إليها الذكر، والجهاد، ولكن دلالة العبادة أوسع بكثير من ذلك، فإنها تشمل الحياة كلها. وهذا ما تدل عليه نصوص الكتاب والسنة وفهم صحابة رسول الله ﷺ، فقد أطلق القرآن الكريم مصطلح (العمل الصالح) على كل ما يقوم به الإنسان من جهد بشري يبتغي به وجه الله تعالى، أو يقوم به نتيجة تكليف من الله تعالى، أو ما فيه منفعة لنفسه، ولمن حوله أو للمخلوقات عامة.

ولو تتبعنا هذا المصطلح لوجدناه يشمل مجالات الحياة كلها:

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٠٥، ٢٠٦ باختصار.
(٢) لسان العرب، مادة (عبد) ٣/ ٢٧٤.
(٣) العبودية، ص٣١.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١ - في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل: ٩٧] أي أقام حياته على الطاعة وعمل الخير.

٢ - وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الكهف: ٨٧ - ٨٨] حيث أطلق العمل الصالح على ما يقتضيه الإيمان من الواجبات، ومنها طاعة أولي الأمر والالتزام بأنظمة الدولة ومصالح المجتمع.

٣ - في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان: ٧٠]

قال ابن عاشور: (... وهو شرائع الإسلام...)[٤].

وبنحو ذلك في حديث رسول الله ﷺ فمن ذلك قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق...»[٥].

«تبسمك في وجه أخيك صدقة...»[٦].

مر شاب على النبي ﷺ فرأى أصحاب النبي ﷺ في جلدة ونشاطة فقالوا: يا رسول الله! لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[٧].

قال النبي ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجراً فقال: في كل كبد رطبة أجر»[٨].

---

(٤) انظر تفسيره التحرير والتنوير ١٩/ ٧٦.
(٥) انظر صحيح مسلم رقم (٣٥) باب عدد شعب الإيمان ١/ ٦٣.
(٦) رواه الترمذي في جامعه عن أبي ذر رقم (١٩٥٦) باب ما جاء في صنائع المعروف ٤/ ٣٣٩.
(٧) مجمع الزوائد ٤/ ٣٢٥ وقال رواه الطبري في الثلاثة، ورجال (المعجم) الكبير رجال الصحيح.
(٨) متفق عليه: صحيح البخاري رقم ٢٣٣٤ باب الآبار ٢/ ٨٧٠، ورواه مسلم رقم ٢٢٤٤ باب فضل ساقي البهائم ٤/ ١٧٦١.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»(٩).

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «نزع رجل لم يعمل خيراً قط غصن شوك عن الطريق إما كان في شجرة فقطعه فألقاه وإما كان موضوعاً فأماطه، فشكر الله له بها فأدخله الجنة»(١٠).

هذا وغيره من الأعمال التي تنبع من نفس تحب الخير وترغب في العطاء، ويبتغي بذلك وجه الله، أي تقدم نفعاً للمجتمع فهو عبادة، لذلك قال العلماء النية تقلب العادة عبادة.

وهذا المفهوم العام للعبادة له آثار إيجابية على سلوك الناس، ومن أبرز هذه الآثار: أن الإنسان العاقل عندما يقدم على عمل ويعتبره عبادة فإنه سيؤديه على أحسن وجه لأنه يرجو ثوابه عند الله على مقدار إخلاصه وصدقه في أدائه، سواء كان يؤدي حرفة أو تعليماً أو أداء وظيفة إدارية، أو يقدم بحثاً علمياً فإنه في عبادة وبالتالي سيبذل أقصى ما يستطيع من جهد؛ لأن في حسه أنه يؤدي عبادة والله مطلع عليه (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)(١١).

والإحسان في العبادة (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)(١٢).

والأثر الثاني لمفهوم العبادة الشامل، هو أن الإنسان سيتجنب الكثير من الأعمال التي لا تدخل دائرة العبادة. أي الأعمال غير المشروعة أو المحرمة؛ لأن الأعمال كلها إما أن تكون في دائرة المشروع الجائز، أو في دائرة المنهي عنه فتركه للمنهي عنه أيضاً عبادة يؤجر عليها. قال رسول الله ﷺ: «... وفي بضع أحدكم صدقة قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»(١٣).

ونعود إلى تعريف العبادة مرة أخرى:

- فالمراد بـ (ما يحبه الله ويرضاه): كل أمر يجري وفق شرع الله ﷻ من الواجبات والمندوبات والمباحات. وكذلك ترك المنهيات، فإن الله يحب أن نترك ما نهانا عنه.

---

(٩) متفق عليه واللفظ للبخاري رقم ٢١٩٥ باب فضل الزرع ٢/ ٨١٧، ومسلم رقم ١٥٥٢، ٣/ ١١٨٨.

(١٠) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٥٤٠)٢/ ٢٩٧.

(١١) مجمع الزوائد ٤/ ٩٨ وقال: رواه أبو يعلى، ورواه الطبراني في الأوسط رقم ٨٩٧.

(١٢) متفق عليه: رواه البخاري رقم ٥٠ باب سؤال جبريل ١/ ٢٧، ومسلم رقم ٩ كتاب الإيمان ١/ ٣٩.

(١٣) رواه مسلم رقم ١٠٠٦ باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢/ ٦٩٧.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- من الأقوال والأفعال: (إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال) فمن ترك ذلك فقد أرضى ربه. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ... ﴾[الإسراء: ٣١]، وقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ وقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ... ﴾[الإسراء: ٣٦] وقال ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ... ﴾ [الإسراء: ٣٧] ترك كل ذلك يرضي الله ﷻ ويحب الله تاركيه ما داموا قد تركوها من أجله.
- والمراد بقوله (الباطنة والظاهرة) فهناك أعمال للقلوب وهي باطنة لا يطلع عليها إلا الله ﷻ، وقد نحس بآثارها على المتصف بها: فمما ورد في ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

إن الاستسلام لأمر الله، والتصديق الجازم بما أنزله على رسوله، والإخبات لأمر الله والاستمرار عليه والخشوع بتدبر أوامر الله ونواهيه والتذلل لها، وصدق الحال والإخلاص في الأعمال... كل هذه أعمال باطنة وصفات قلبية لا نحس إلا بآثارها على المتصف بها.

أما الأقوال والأعمال الظاهرة فكل ما نقوله ضمن حدود الشرع وأحكامه وما نعمله من أعمال وفق أحكام الشرع وليست متناقضة معها فهو داخل في العبادة. فالأب عندما يؤدب أولاده قال قولاً ظاهراً فهو في عبادة، والمدرس إذا ألقى درساً في أي موضوع تجريبي تطبيقي – مسألة في الرياضيات، أو معادلة كيماوية، أو قانوناً طبيعياً – أو في علم نظري: في التربية أو مهارة أدبية في التعبير فكأنما قال حكماً شرعياً في الفقه أو الحديث النبوي أو التفسير، فهو مأجور على كل ذلك لأنه أوصل منفعة لطلابه يستفيدون منها في حياتهم العلمية والعملية.

وكذلك الأعمال التي يقوم بها الأفراد هي عبادة: عيادة المريض عبادة، صلة الرحم عبادة، وكما تقدم إماطة الأذى عن الطريق عبادة، إصلاح ذات البين عبادة، إكرام الضيف عبادة، إعانة الأخرق عبادة،... وهكذا.

يقول محمد قطب (وهكذا يقضون الحياة كلها في عبادة... عبادة تشمل نشاط الروح كله، ونشاط العقل كله، ونشاط الجسد كله، ما دام هذا كله متوجهاً به إلى الله، وملتزماً فيه بما أنزل الله، وهذا هو المفهوم الصحيح للعبادة كما أنزله الله... المفهوم الشامل الواسع العميق ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣])[١٤].

---

(١٤) مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص٢٠٥، طبعة دار الشروق.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مطلوب ٩-٢٠١٠/٢م محذوف

المبحث الثاني

مكانة العبادة في الإسلام

ندرك مكانة العبادة في الإسلام وأهميتها من خلال جملة أمور:

المطلب الأول: الأسلوب القرآني في الحديث عنها

ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] استخدم أسلوب الحصر، عن طريق النفي والإثبات وهما أقوى صور الحصر والقصر في اللسان العربي، ومعناهما النفي البات من جهة، والحصر الكامل من الجهة الأخرى: نفي أي غاية للوجود البشري غير عبادة الله، وحصر غاية هذا الوجود كله في عبادة الله.

ولهذا كانت دعوة الأنبياء جميعاً أول ما تشتمل عليه بعد التوحيد الأمر بالعبادة، يقول عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وبعد ذلك تأتي آيات أخرى تتحدث عن مهمات للإنسان في هذا الوجود، فندرك أن هذه المهمات هي أنواع من العبادة التي خلق الإنسان من أجلها. فمثلاً:

أ- عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ ...قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٩] ندرك أن عمارة الأرض وإدارتها على وفق أوامر الله لون من ألوان العبادة.

ب- وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ...﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦] وكذلك الآيات التي أمرت رسول الله ﷺ بالحكم بما أنزل الله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ...﴿٤٩﴾ ﴾ [المائدة: ٤٩]، ندرك أن الحكم والقضاء بين العباد لون من ألوان العبادة.

ج- وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥] نعلم أن السير في جنبات الأرض التي ذللها الله لعباده للكسب والارتزاق من جملة المهمات التي أمر الله عباده بها فهي داخلة في الغاية العظمى من خلقه وهي العبادة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

الجديد طهري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نأخذ من الآية الكريمة أن السير في الأرض لمعرفة بدء الخلق والتكوين على هذه الأرض وفي الكون كله، لقياس النشأة الأخرى عليه أيضاً من جملة العبادة التي يتقرب بها الباحث في الطبيعة وفي الفلك، وكما قيل: (تفكر ساعة خير من قيام ليلة)(١٥).

فكل هذه القضايا المأمور بها في هذه الآيات وأمثالها العمل بمقتضاها عبادة تماماً كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٦].

المطلب الثاني: وصف الله ﷻ لأنبيائه ورسله بالعبودية في كثير من المواطن:

فعن داود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠]، وعن عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف: ٥٩]، وعن نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣]، وعن أيوب عليه السلام قال عز من قائل: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ... ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٤١].

المطلب الثالث: وصف الله سبحانه وتعالى لخاتم أنبيائه محمد ﷺ في مواطن التشريف والتكريم بصفة العبودية:

- ففي موقف النصرة والتأييد بالمعجزة الخالدة ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] وفي موقف الانتصار في الحرب على الأعداء ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ... ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١] وفي موقف التكريم بإطلاعه على مكانته بين الأنبياء المرسلين ليلة الإسراء ﴿سُبْحَٰنَ الَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١] وفي موقف القرب والخصوصية قال عنه ربه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ٨-١٠].

---

(١٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم ١١٨، موقوفاً على أبي الدرداء، وفي مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٣٥٢٢٣، عن الحسن.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث
أنواع العبادات في الإسلام

على ضوء مفهوم العبادة الواسع الذي ذكرناه، سنذكر جملة من العبادات في الإسلام ونبدأ بالشعائر التعبدية أركان الإسلام الخمسة: الشهادتان، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج.

المطلب الأول: كلمة التوحيد (الشهادتان):

١ - أهميتها:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

بطاقة دخول الإسلام، وقاعدة الإيمان، بهما تعصم الدماء، وتصان الأعراض والأموال، فإذا كان الإسلام لا يقوم إلا بالأركان، فإن الإسلام وأركانه الأربعة لا يقوم إلا بالشهادتين. قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار**»(١٦).

وعن جابر قال: ثم أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**»(١٧).

وكلمة التوحيد روح الأعمال والعبادات كلها. ومن غير أن تسري روح (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في العمل فهو جثة هامدة لا خير فيها.

ومعنى قولنا لا إله إلا الله: أن لا معبود بحق، ولا مستجار به ولا محبوب ولا مالك ولا مطاع ولا معتصم به ولا سيد ولا حاكم إلا الله. فالتوكل عليه واجب والاستجارة بغيره باطلة ومحبته فريضة ومحبة غيره لا تكون إلا بإذنه، وهو المستحق للتعظيم، وهو مصدر التحليل والتحريم، وهو مصدر التشريع، فهو ذو الجلال والكمال لا إله غيره.

ومعنى أشهد أن لا إله إلا الله: أن يتيقن بعقله وقلبه أن لا إله إلا الله وأن ينطق بها لسانه، فإن جزم بها قلبه ولم ينطق بها لسانه عناداً وتكبراً فهو كافر. ومن قالها بلسانه ولم يتيقن بها قلبه أو تردد فيها فهو منافق، ولا يتم الشق الأول إلا بالشق الثاني (وأشهد أن محمداً رسول الله).

---

(١٦) رواه مسلم عن عبادة بن الصامت، رقم (٢٩)، ١/ ٥٧.

(١٧) رواه مسلم، رقم ٩٣، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ١/ ٩٤.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢- مقتضاها:

أ- أن تعتقد أن لا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا محيي ولا مميت إلا الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر: ٣].

ب- أن تعتقد أن لا مستحق للعبادة والتعظيم والتقديس والشكر غير الله ﷻ مع الاعتقاد أن هذه العبادة وهذا التعظيم والتقديس والشكر لا ينفع الله شيئاً... ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾ [إبراهيم: ٨].

وفي الحديث القدسي «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(١٨).

ج- أن تعتقد أن مصدر التشريع والحكم والتوجيه هو الله وحده لا شريك له فإن الذي تفرد بالخلق وبالرزق وبالتدبير هو وحده صاحب الحق في التشريق والتنظيم لهذه الحياة، وهو العليم بما يصلح حال عباده ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

د- أن تعتقد أن طريق تلقي الهداية والتوجيه والأمر والنهي هو محمد ﷺ رسول الله الذي أرسله للناس كافة، وكل طريق للمعرفة غير طريق رسول الله ﷺ فهي بدعة في الدين وإلحاد فيه، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧]، ويقول رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»(١٩).

---

(١٨) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم ٢٥٧٧، باب تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٤.

(١٩) مجمع الزوائد، ١/ ١٧٤، باب ليس لأحد قول مع رسول الله ﷺ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هـ- من مقتضيات الشهادتين – كلمة التوحيد – الالتزام بما أمر الله ﷻ به، واجتناب ما نهى الله تعالى عنه، ووصلنا عن طريق رسول الله ﷺ، الذي تولى تبليغه وبيانه بالقول والتطبيق العملي في حياته، ومن بدهيات ذلك الاعتقاد بأركان الإيمان الستة، وبما ورد في قضايا الغيب، والعمل بالتكاليف العملية التي أمرنا بها من أركان الإسلام وتوابعها في مجالات الحياة كلها.

٣- آثارها:

لكلمة التوحيد آثار عظيمة على معتقديها، على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة، كما هو الحال في العبادات الإسلامية كلها:

أ- من آثار كلمة التوحيد على الفرد المؤمن:

١- تستوي حياته وتستقيم وتكون خير حياة وأنظفها وأجملها، ويشعر بالسعادة والطمأنينة في قرارة نفسه ﴿...فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: ١٢٣] يزول التناقض بين المشاعر والعواطف والقناعات والسلوك فكلها منسجمة مع كلمة التوحيد؛ لأن المشاعر والعواطف والقناعات العقلية والأعمال السلوكية كلها تبع لما تقتضيه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والكلمة الجامعة التي يعبر بها رسول الله ﷺ عن هذا قوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»(٢٠).

فكل ما تميل إليه نفسه مما يرغب فيه ويحب تبع لما جاء به، وكل ما يبغضه ويكرهه هو مما نهى عنه رسول الله ﷺ.

٢- كلمة التوحيد تجعل صاحبها يشعر بالاستعلاء، لأنه على الحق والإيمان، يقول عز وجل: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩] ولئن نزلت الآية بمناسبة غزوة أحد، تضع البلسم على جراحات المسلمين الذين انقلب نصرهم إلى هزيمة، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمؤمن مستعل بإيمانه على قيم الناس الوضعية، مستعل بإيمانه على تهافت الناس على حطام الدنيا الزائلة، مستعل بإيمانه على تشبث الناس بالحياة الدنيا والحرص على البقاء فيها.

---

(٢٠) السنة لابن أبي عاصم، رقم ١٥/ ١/ ١٢، وانظر فتح الباري ١٣/ ٢٨٩، وقال الحافظ: رجاله ثقات وقد صححه النووي في آخر الأربعين، وفي جامع العلوم والحكم، رقم ٤١، وقال الحافظ ابن رجب: حسن صحيح.

الجديد و طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ب- أما آثار كلمة التوحيد على الجماعة:

١- **كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) الرباط الذي يربط القلوب التي آمنت بها.** فهي العروة الوثقى التي تجتمع عليها الأمة، وبمقتضياتها يتحركون.

٢- **كلمة التوحيد بمقتضياتها الإيمانية تكون القاعدة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي وتنبثق منها التشريعات الدستورية**، والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، والعلاقات الدولية، فهي مصدر التنظيم الاجتماعي كله، ومصدر التحريم والتحليل في كل أفعال الناس. ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء: ٦٥].

إن (لا إله إلا الله محمد رسول الله) منهج حياة كامل، فيشمل الجانب الاعتقادي والجانب التعبدي والجانب السلوكي العملي.

٣- **كلمة التوحيد شعار الأمة في حمل راية الدعوة إلى الله**، ونشر الحضارة الربانية في أرجاء الأرض.. وأول ما يجابهون به أعداءهم، دعوتهم إلى قول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فإن قالوها، أصبحوا إخواناً في الله متحابين، الجميع سواسية في الاستظلال بظلال كلمة التوحيد.

٤- **كلمة التوحيد تجعل أهلها على انسجام مع نواميس الكون كله**، فالكون خلقه الله سبحانه وتعالى ووضع له سنناً ونواميس يجري عليها، وخلق الإنسان ووضع له غرائز وفطرة وحاجات عضوية، ليس له خيار في وجودها ولا يستطيع التخلص منها. وأنزل شرائع بواسطة أنبيائه لكي يسير عليها الإنسان فيوفق بين سلوكه – في دائرة الاختيار الذي أمكن منها – وبين سنن الله في نفسه وبين سنن الله في كونه.

فعندما يلتزم الإنسان بمقتضيات (لا إله إلا الله محمد رسول الله) يتم الانسجام مع سنن الله في الكون وفي مخلوقاته، فيستطيع العيش بسلام مع ما يحيط به، وييسر عليه الانتفاع بما في الكون من طاقات وأسرار لتحقيق السعادة للبشرية من غير تصادم ولا تعارض ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[آل عمران: ٨٣].

المطلب الثاني: الصلاة

١- أهميتها:

الصلاة عمود الدين، وركن الإسلام الثاني، وتتجلى مظهر العبودية في أدائها على أعظم صوره حيث يضع العبد أشرف أعضائه على الأرض تعظيماً لربه، ولا يضعها

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لأحد سواه، فكان (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد...)[21] وقال رسول الله ﷺ مبيناً أهميتها: «بين العبد وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة»[22]، وقال رسول الله ﷺ مبيناً أهميتها: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[23]، وقال ﷺ: «إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله: صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر...»[24].

- ولما كانت الصلاة تجدد الصلة بالله فهي تطهير لصفحة ماضية، وفتح لصفحة جديدة مع الله عز وجل، يقول رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر»[25].

٢- آثارها:

لكل عبادة من العبادات الإسلامية – وعلى رأسها الشعائر التعبدية – آثارها على مستوى الفرد وآثار على مستوى الجماعة، فمن آثار الصلاة على الفرد:

أ- تعتبر الصلاة معراجاً للروح تذكر النفس بالمقابلة والنظر إلى وجه الكريم يوم القيامة، وشبه رسول الله ﷺ الصلوات الخمس بالنهر الجاري الذي يغتسل فيه خمس مرات في اليوم، يقول رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[26].

ويقول عز من قائل عن أثر الصلاة على الفرد: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ب- الصلاة محطات روحية خمس يقف فيها بين يدي الله ﷻ، ليتذكر ما فاته من يومه وما عمل فيه ويقدم بياناً بالساعات التي أمضاها، هل كانت في رضى الله ﷻ فليستمر على ذلك، أو كانت مما يغضب الله ﷻ ليتوب منها، ويعطي العهد على عدم العودة إليها ويشهد الله على ذلك. لذا كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، لأن المتيقن بأن الله يراه وسيحاسبه فيخجل منه أن يقابله في الوقت اللاحق أو اليوم التالي وهو على منكره وفحشه.

---

(٢١) رواه مسلم في صحيحه، رقم ٤٨٢، باب ما يقال في السجود ١/ ٣٥٠.

(٢٢) رواه الترمذي، رقم ٢٦١٩، باب ما جاء في ترك الصلاة ٥/ ١٣ وقال حديث حسن صحيح.

(٢٣) رواه أحمد، رقم ٢٢٩٨٧، ورواه الترمذي رقم ٢٦٢١، الباب السابق ٥/ ١٣، وقال حسن صحيح غريب.

(٢٤) رواه الترمذي، الحديث رقم (٤١٣)، ٢/ ٢٦٩.

(٢٥) رواه مسلم، رقم ٢٣٣، ١/ ١٠٩.

(٢٦) متفق عليه: صحيح البخاري (٥٠٥) باب الصلوات الخمس كفارة، ١/ ١٩٧، ومسلم (٦٦٧) ١/ ٤٦٢.

الجديد طهري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

ج- تعويد للمسلم على تنظيم وقته، وللاستراوح من العمل بين الفترة والفترة ليستعيد نشاطه الذهني والجسمي.

٣- والأثر الاجتماعي في الصلاة:

أ- في أداء الصلاة جماعة إظهار شعائر الإسلام، واعتزازهم بهذه الشعيرة.

ب- التقاؤهم في الصلوات الخمس يعزز الرابطة بينهم وتزيد من ثقة بعضهم ببعض.

ج- في الصلوات الخمس يتناصح أهل الحي الواحد الذي يجمعهم مسجد الجماعة ويتواصون بالخير ويتعاونون على البر والتقوى، ويسدون خلة المحتاجين ويتفقدون الغائبين ويكونون في حاجة أهل المسافر وعيادة المريض.

د. كل ذلك يمتن الأواصر الاجتماعية ويشد من ترابطهم، كما قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٢٧)، ومرة شبههم بالبنيان فقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»(٢٨).

هـ. في صلاة الجمعة لقاء أسبوعي على دائرة أوسع وأشمل وإحاطة بأوضاع أهل البلدة الواحدة أو مجموعة أحياء.

و. وفي صلاة العيدين إظهار البهجة والفرح بأداء ركنين من أركان الإسلام الصوم والحج ولئن كان الحج لا يجتمع فيه المسلمون جميعاً إلا أن آثار الاستشعار بأمور الحج تعم المسلمين جميعاً كأداء العبادات في عشر ذي الحجة وصوم يوم عرفة كما أمر رسول الله ﷺ.

ز. بالإضافة إلى أن الصلاة في الجماعة تضاعف الثواب، فقد قال رسول الله ﷺ «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفاً»(٢٩).

المطلب الثالث: الزكاة

١ - أهميتها:

الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام، ربط الله ﷻ بينها وبين الصلاة في كثير من الآيات، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٦].

---

(٢٧) متفق عليه: البخاري: (٥٦٦٥)، ٥/ ٢٢٣٨، مسلم: الحديث رقم (٢٥٨٦)، باب تراحم المؤمنين، ٤/ ١٩٩٩.

(٢٨) رواه مسلم، رقم (٢٥٨٥)، الباب السابق، ٤/ ١٩٩٩.

(٢٩) متفق عليه البخاري (٦٢٠)، باب فضل صلاة الجماعة ١/ ٢٣٢، ومسلم (٦٤٩)، ١/ ٤٥٩.

الجديد و طرح NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[الحج: ٤١]
وقال: ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وجعلها رسول الله ﷺ من أساسيات الدعوة إلى الإسلام فقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»(٣٠).

لقد جعل الإسلام الزكاة محك الإيمان، وبرهان الإخلاص، وهي فيصل التفرقة بين الإسلام والكفر وبين الإيمان والنفاق، وبين التقوى والفجور.

٢- آثارها:

● أثر الزكاة على المزكي:

أ- إنها برهان على صدق إيمانه كما قال رسول الله ﷺ: «والصدقة برهان»(٣١).

ب- طهرة لنفسه من البخل والشح ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحشر: ٩] ويقول عز من قائل: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾[التوبة: ١٠٣]، وكلما كان المال المتصدق به من جيد المال وكريمه كان أدل على قوة إيمان صاحبه وأكثر طهرة لشوائب البخل في نفسه لذا أمر الله ﷻ بإخراج الطيب من المال فقال جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[البقرة: ٢٦٧].

ج- والمثوبة الأخروية التي تعود على المتصدق جانب تربوي آخر، ودافع لأن يقدم المسلم خير ماله تقرباً إلى الله تعالى فقد قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾[آل عمران: ٩٢].

روى البخاري بسنده إلى رسول الله ﷺ قال: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل»(٣٢).

---

(٣٠) متفق عليه: البخاري (٢٥)، باب فإن تابوا ١/ ١٧، ومسلم (٢٢)، ١/ ٥٣.
(٣١) رواه مسلم، (٢٢٣) باب فضل الوضوء، ١/ ٢٠٣.
(٣٢) صحيح البخاري الحديث رقم ١٤١٠، ومعنى (عدل تمرة مقدار تمرة، وفلوه: أي مهره ولد فرسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

• أما آثار الزكاة الاجتماعية:

أ- فهي مواساة للفقراء وسد حاجاتهم ونوع من التكافل الاجتماعي في الإسلام، حيث جعلها ﷻ حقاً لهم: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]

وقد حدد الله ﷻ الجهات المنتفعة من الزكاة، وهي التي يقول عنها الفقهاء مصارف الزكاة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠]

ب- كما أمر المتصدقين أن لا يمنوا بها على الفقراء حفاظاً على الأجر والمثوبة التي يرجونها يوم القيامة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ج- وفي إخراج الزكاة استلال للحقد والحسد من نفوس الفقراء تجاه الأغنياء، وقضاء على ما يسميه الشيوعيون – صراع الطبقات – وإحلال للمحبة والمودة بين الأغنياء والفقراء وهم يتوجهون بقلوبهم إلى رب واحد، ويلتزمون شرائع دينه وهداياته، لهذا كانت الحكمة أن تؤخذ الزكاة من أغنياء كل بلد وترد على فقراء البلد نفسه.

المطلب الرابع: الصوم

١ – أهميته:

هو الركن الرابع من أركان الإسلام، فرضه الله ﷻ في جميع الشرائع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

وكرَّم الصائم أيما تكريم وأعطاه مزايا لم يعطها لغيره: فجعل خلوف فمه أطيب من ريح المسك، وأعطاه الأجر من غير حساب كما ورد في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح

الجديد و طصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسك)[٣٣] وسمى رسول الله ﷺ شهر رمضان بشهر الصبر ليدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠﴾[الزمر: ١٠].

٢- آثاره:

والصوم مدرسة تربوية عظيمة تمتد لمدة شهر كامل، وفيه من الفوائد والآثار العظيمة على مستوى الفرد والمجتمع. ونجمل فيما يلي أهمها:

● أما على مستوى الفرد:

أ- حصول التقوى: والمقصود بالتقوى أن يضع وقاية، حاجزاً بينه وبين سخط الله وعذابه، وهذا ما عبر عنه رسول الله ﷺ: «**الصوم جنة**» أي وقاية، وفي حكمة تشريع شعيرة الصوم يقول عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[البقرة: ١٨٢].

ب- تنمية قوة الإرادة: حيث يمسك الصائم نفسه عن الحاجات الأساسية في حياته ابتغاء رضوان الله تعالى، ويعود نفسه على تغيير المألوفات من العادات فلا يكون أسيراً لها، لهذا سمى رسول الله ﷺ شهر رمضان بشهر الصبر[٣٤].

ج- تقوية المراقبة الإلهية: وما يطلق بعضه عليه الرقابة الذاتية أو إحياء الضمير فإن الصائم يخلو بنفسه وهو بأمس الحاجة إلى الطعام والشراب، ولا يراه أحد ولا يحاسبه بشر ومع ذلك لا يتناول شيئاً من ذلك.

د- الحصول على الأجر العظيم: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣٥]، وكذلك تخصيصه بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣٦].

هـ- بالإضافة إلى صحة الأبدان وقد أجمل رسول الله ﷺ هذه الفوائد الصحية بقوله: «صوموا تصحوا»[٣٧]، وقد أبرز الأطباء المعاصرون كثيراً من فوائد الصوم الصحية.

● من الآثار الاجتماعية

- الشعور بوحدة الأمة الإسلامية، حيث يشترك المسلمون في صيام هذا الشهر.
- تعويد المسلمين على النظام والانضباط، والاستسلام لله.
- الشعور بحال طبقة في المجتمع لا تجد ما يسد جوعها أغلب أيام السنة.

---

(٣٣) متفق عليه: البخاري (٥٥٨٣) باب ما يذكر في المسك ٥/ ٢٢١٥، ومسلم (١١٥١)، ٢/ ٨٠٧.
(٣٤) صحيح ابن خزيمة، (١٨٨٧)، باب فضائل شهر رمضان، ٣/ ١٩١.
(٣٥) متفق عليه: البخاري (٣٨)، باب صوم رمضان احتساباً، ١/ ٢٢، ومسلم (٧٦٠)، ١/ ٥٢٣.
(٣٦) رواه الشيخان: صحيح البخاري، الحديث رقم ١٩٠١، وصحيح مسلم، الحديث رقم ٧٦٠.
(٣٧) مجمع الزوائد، باب فضل الصوم عن أبي هريرة وقال رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الخامس: الحج

١ - أهميته:

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وقد ربطه الله ﷻ بالاستطاعة فقال عز من قائل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... ﴿٩٧﴾﴾[آل عمران: ٩٧].

والاستطاعة كما بينها رسول الله ﷺ: «الزاد والراحلة»(٣٨)، ومن مقومات الاستطاعة الصحة وأمن الطريق، وللمرأة وجود المحرم كما دلت أحاديث عن رسول الله ﷺ على ذلك، وقد بين رسول الله ﷺ فضل الحج وعظيم مثوبته ومحقه للذنوب، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لكن أفضل الجهاد حج مبرور»(٣٩).

وقال رسول الله ﷺ عن الحج أيضاً: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(٤٠).

كما بين رسول الله إثم التاركين لهذا الركن المتهاونين فيه فقال: «من ملك زاداً وراحلة يبلغ به إلى بيت الله فلم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً»(٤١) قال العلماء إذا كان غير معتقد بوجوب الحج فهو مرتد غير مسلم، وأما إن كان يعتقد بوجوب الحج ولكنه أهمل أداءه فقد ارتكب جرماً عظيماً لا يرتكبه إلا الكفار.

٢ - آثاره:

والحج مدرسة تربوية عظيمة ودورة تدريبية يدخلها المسلم مرة في العمر على الوجوب يتلقى فيها دروساً في الطاعة البدنية والإنفاق المالي والتنظيم والإدارة مما يكون له الأثر العظيم على مستوى الفرد والجماعة.

فمن الآثار الفردية:

أ- ورد قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ... ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٢٨] ولفظة المنافع تشمل وجود المصلحة كلها المادية والمعنوية، من تجارة وعلم، ولقاء بالأحبة وتبادل خبرات في السياسة والاقتصاد والإعلام.

---

(٣٨) رواه الحاكم، رقم (١٦١٣)، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والترمذي رقم (٨١٩).

(٣٩) رواه البخاري، الحديث رقم (٢٦٣٢)، باب فضل الجهاد والسير ٣/ ١٠٢٦.

(٤٠) رواه البخاري، رقم (١٤٤٩)، باب فضل الحج المبرور، ٢/ ٥٥٣، ومسلم رقم (١٣٥٠)، ٢/ ٩٨٣.

(٤١) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن علي (٣٩٧٨)، ٣/ ٤٣، ورواه في السنن الكبرى عن أبي أمامة (٨٤٤٣) ورواه موقوفاً على عمر، وانظر مصنف ابن أبي شيبة (١٤٤٥٠)، ٣/ ٣٠٥.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وجاء في سياق آيات الحج ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴿١٩٨﴾ ﴾[البقرة: ١٩٨]، ولا يتنافى كل ذلك مع نية الحج وأداء النسك - الذي هو الأصل والدافع للقدوم - ولكن يسر الدين وسماحته لم تمنع الناس من قضاء مصالحهم وتحقيق مكاسبهم من خلال موسم الحج.

ب- إن الالتزام بأداء المناسك في موسم الحج في أوقات محددة من اليوم والليلة، تدريب للمسلم على النظام، لكيلا يكون أسير حياة يومية روتينية لا يتحمل تغييرها، ففي ذلك خروج على الإلف والعادة لإخضاع نفسه للنظام وأحكام الشريعة.

ج- إن تعرض الحاج إلى مفارقة الأهل والأولاد والأوطان يذكره بالفراق الأكبر الذي لا عودة بعده إليهم، فيأخذ العبرة ويستعد لذلك اليوم.

د- إن خروجه متجرداً من زينته وثيابه، ولباسه الإحرام تذكير له بما يحمله معه من متاع الدنيا عند مفارقته لها للقاء ربه.

هـ- ووقوفه بعرفة يذكره بالموقف الأكبر يوم الحشر ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الكهف: ٤٧، ٤٨].

إن تغير حاله أثناء سفر الحاج وابتهاله لربه، وتقديمه القرابين لربه، (أفضل الحج العج والثج، فأما العج فالتلبية وأما الثج فنحر البدن)(٤٢)، كما أخبر رسول الله ﷺ، وتمسكه بآداب الحج وأحكامه واجتنابه محظورات الإحرام والنسك (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) كل ذلك يؤثر على نفسه وسلوكه، وربما تحولت إلى عادات حسنة وأخلاق حميدة تلازمه طيلة حياته بعد أن تذوقها ووجد حلاوتها خلال موسم الحج.

- أما آثار الحج على مستوى الجماعة

أ- فإن مشهد الحجيج وهم على صعيد عرفات، ومشهدهم وهم يفيضون منها، ومنظرهم وهم يرمون الجمرات، وهذه السيول البشرية المتدفقة وهي تسعى بين الصفا والمروة، وهي تطوف بالكعبة، يبرز عظمة الإسلام وأثره في تذويب الفوارق بين طبقات المجتمع الواحد، وإزالة الحواجز بين الشعوب والأعراق والأجناس لصهرهم في بوتقة التوحيد وتوجيههم إلى المقاصد العليا والأهداف السامية في الحياة.

---

(٤٢) مجمع الزوائد، ٣/ ٢٢٤، وقال: رواه أبو يعلى في مسنده، وفيه رجل ضعيف.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ب- إن وجود هذه الجموع الغفيرة من الناس مع اختلاف انتماءاتهم العرقية والإقليمية وتباين لغاتهم وعاداتهم، الذين قدموا من كل فج عميق على الكرة الأرضية، يؤدون مناسكهم في جو من السكينة والابتهال إلى الله تعالى، فتلبيتهم واحدة (لبيك اللهم لبيك) وقبلتهم واحدة ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩]، ووقوفهم في مكان واحد ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] ولباسهم الموحد... كل ذلك يشعر بوحدة الأمة الإسلامية: في الهدف والغاية، والمنهج والأسلوب، ومشعرة بقوة الأمة وعظمتها.

ج- إن الدولة المعاصرة تعقد لسفرائها مؤتمرات دورية لتدارس علاقات دولتهم مع غيرها من الدول، وإن الأحزاب السياسية تعقد مؤتمرات دورية لقياداتها لتقويم أوضاع الحزب وتدارك النقص في أدائها، والمؤسسات الاقتصادية تعقد مؤتمرات لمدراء فروعها ومندوبيها للتخطيط والتقويم وطريقة التنفيذ وغيرهم وغيرهم توصلوا إلى ضرورة هذه المؤتمرات واللقاءات الدورية من خلال تجربتهم.

أليس من أعظم النعم على أمة الإسلام أن يكون هذا المؤتمر السنوي ركناً من أركان دينهم، ألا ما أعظم فوائد الحج لو عرف المسلمون كيفية الإفادة منه ووجهوا جهودهم لتوجيه طاقات الأمة المادية والمعنوية لتقوية أواصر شعوبهم والقضاء على الضعف والتخلف في أقطارهم ، واستغلال ثروات بلدانهم وتوجيهها لرفعة الأمة وتقدمها، لكي تستعيد دورها القيادي الحضاري بين الأمم.

المبحث الرابع
عبادات أخرى

محذوف مطلوب

كان الحديث عن الشعائر – الأركان الخمسة للإسلام – بشيء من التفصيل، وهي تشتمل على الأقوال والأفعال الظاهرة. وفيما يلي نذكر جملة من العبادات المختلفة القلبية والقولية والفعلية.

المطلب الأول: العبادات القلبية

١ – من أهم العبادات القلبية الإخلاص: ختم الإخلاص على العمل يجعله مقبولاً عند الله ﷻ، ولا يقبل الله عز وجل عملاً فيه شائبة الغش، أو الرياء أو التلاعب أو عدم الجدية وغيرها من العيوب.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

روى مسلم بسنده إلى رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[٤٣].

والشرك الخفي (الرياء) هو أن يعمل العمل لله تعالى ولكن يشوبه باعث آخر، فمثلاً يصوم رمضان لله تعالى وفي الوقت نفسه لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم، ويحج لله تعالى ويرغب من خلال ذلك السياحة والفسحة، أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه ليقوم بحراسة أمر ما. وهو (أي الرياء) أدق من سير النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يارب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به أثناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى، قال: فماذا عملت فيما أتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، فيقول الله: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له: فيم قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة: كذبت ويقول الله عز وجل له: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة! أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»[٤٤].

إن الأمر جد لا هزل فيه، ويتطلب مراقبة القلب عند القيام بأي عمل، والتعرف على الدافع الذي دفع إلى هذا العمل، فإن كان الدافع للظهور أمام الناس، أو رغبة في الحصول على أمر دنيوي أو كان مبنياً على هوى تدفع إليه النفس، فليترك هذا العمل، أما إذا كان يتحرك للقيام به ابتغاء رضوان الله ورجاء ثوابه الأخروي فليقدم عليه.

وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه، واختلطت الشوائب خلوصه. ومع الإخلاص لا بد

---

(٤٣) صحيح مسلم، (٢٩٨٥)، باب التحريم الرياء ٤/ ٢٢٨٩.

(٤٤) صحيح ابن خزيمة (٢٤٨٢)، باب التغليظ في الصدقة مراءاة وسمعة، ٤/ ١١٦، والمستدرك للحاكم (١٥٢٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ١/ ٥٧٩.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من مطابقة الشريعة وهما الركنان الأساسيان في قبول أي عمل ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠].

٢- التوكل

صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة، واليقين بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع إلا الله.

يقول عز من قائل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق: ٢، ٣] والتوكل ثمرة من ثمرات الإيمان بالله ﷻ، والعلم بأسمائه وصفاته من القدرة والمشيئة والكفاية والعلم... (فكلما كان بالله وصفاته أعرف، كان توكله أصح وأقوى)[٤٥]، وثمرة التوكل على الله هدوء البال وطمأنينة القلب وسكون الجوارح والرضا بقضاء الله وقدره، وترك الحرص الشديد على طلب الرزق وترك الشكوى من عدم التوفيق.

وكان رسول الله ﷺ يدعو في دعائه بالتوكل فيقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت»[٤٦]، وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه حقيقة التوكل فيقول: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»[٤٧].

ولا يتنافى تحقيق التوكل مع الأخذ بالأسباب، فإن الله ﷻ أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل عليه بالقلب إيمان به، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾[النساء: ٧١] وقال أيضاً: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾[الأنفال: ٦٠] وقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ... ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة: ١٠] وهذا ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته قولاً وفعلاً، فقد استأجر في هجرته دليلاً مشركاً على دين قومه يدله الطريق، وظاهر بين درعين يوم أحد، ولم يحضر الصف قط عرياناً، وكان يدخر لأهله قوت سنة، وهو سيد المتوكلين، وقد تداوى من المرض وهو يعمل الأفضل دائماً، علماً أنه قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[٤٨].

---

(٤٥) مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/ ١٢٣.

(٤٦) رواه الشيخان، البخاري، رقم ١١٢٠، ومسلم في صحيحه الحديث، رقم ٢٠٨٦.

(٤٧) رواه الحاكم في المستدرك، (٧٧٠٧)، ٤/ ٣٠١، وزوائد الهيثمي، (١٠٧٠)، ومسند عبد بن حميد (٦٧٧) عن ابن عباس مرفوعاً، والزهد الكبير للبيهقي (٩٨٦).

(٤٨) رواه مسلم في صحيحه الحديث، رقم ٢١٨.

الجديد و طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن حقيقة التوكل أن يعتمد المرء على الله ﷻ في كل أموره، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، والسعي وفق سنن الله والأسباب التي وضعها في كونه ومخلوقاته.

● ثمرة التوكل

أ- الرضا بالقضاء والقدر.

ب- كسب الإنسان القوة والجرأة والشجاعة ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣] عدم الندم على ما لم يحصله (... احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)[٤٩].

٣- التوبة

أ- أهميتها: من رحمة الله بعباده أن يفتح لهم باب التوبة، وأن يقبل عثرة المذنب، ويفسح له الأمل ولا يوئسه من رحمته ولا يغلق الباب في وجهه.

فقد أمر عباده جميعاً ومنهم المؤمنون بالتوبة فقال: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣١] والتوبة بحد ذاتها عبادة وذكر ولو لم يكن من المؤمن ذنب ظاهر، فإن الإنابة إلى الله وإظهار الخضوع له وبيان التقصير عن أداء واجب الشكر على نعم المولى ﷻ. هذه الإنابة إلى الله عبادة، وإظهار هذا الخضوع له عبادة، لذا قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مئة مرة»[٥٠].

فإذا كانت مطلوبة من الذي لم يقترف ذنباً ولم تقع منه معصية، فكيف بمن يقع بالذنوب والمعاصي ليل نهار؟ لا شك أن التوبة في حقه أوجب.

لأن المؤمن يدرك أن الذنوب والمعاصي مهلكة له، مبعدة له عن الله عز وجل ورحمته، موجبة لمقت الله له، فيتوب منها لإزالة هذه الحجب والحواجز بينه وبين رحمة ربه.

وإن المؤمن تأتيه فترات غفلة عن ذكر الله ﷻ، فعندما يتذكر عليه أن يتوب من تلك الغفلات ويستغفر ربه منها، ولهذا علمنا رسول الله ﷺ أن نكثر من الاستغفار فقال: «إنه يغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة»[٥١].

---

(٤٩) رواه مسلم في صحيحه، الحديث رقم ٢٠٥٢، ٢٦٦٤.

(٥٠) أخرجه مسلم في صحيحه، الحديث رقم ٢٧٠٢.

(٥١) أخرجه مسلم في صحيحه، الحديث رقم ٢٧٠٢، ومعنى يغان: يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر. كما في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٣/ ٤٠٢، مادة (غين).

الجديد NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا استكملت التوبة شروطها، فليكن المرء على يقين من قبولها، فإن الله ﷻ وعد بذلك، ولا يخلف الله وعده، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[الشورى: ٢٥] بل إن الله ﷻ يفرح بتوبة عبده فرحاً شديداً، والفرح درجة وراء القبول، فهو دليل على القبول وزيادة. قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فطلبها، حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش، قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ فإذا راحلته عنده، عليها زاده وشرابه، فالله تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته»(٥٢). وفي رواية فقال: «أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح».

ب- شروط التوبة

على المذنب أن يبادر بالتوبة والندم، والعمل على تكفير السيئة بحسنة تدفعها فـ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هود: ١١٤].

وإن كان الذنب بين العبد وربه، يشترط للتوبة ثلاثة شروط:

١- الإقلاع عن الذنب: بترك كل محظور هو ملابس له، فإن البقاء على مقارفة الذنب، تناقض وكذب. كيف يقول إنه يرجع عن الذنب وهو مستمر عليه.

٢-الندم على ما فرط فيه: من المآثم التي استجاب فيها لداعي الهوى وأطاع الشيطان وعصى ربه الرحمن، ومن تمام الندم وصدق صاحبه أن يشعر بألم الندم وطول الحسرة والحزن، وأن يسكب الدمع كلما تذكر ذنوبه، وأن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلاً من حلاوتها.

٣- العزم على عدم العودة إلى الذنوب عامة وإلى ما اقترفه خاصة: بأن يعقد عقداً مؤكداً مع الله ﷻ، ويعاهده عهداً وثيقاً أن لا يعود إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها(٥٣)، فإن الذي يزعم أنه يتوب إلى ربه وفي نيته أن يعود إلى الذنب قريباً أو بعيداً كالمستهزئ بربه المستهتر بعهده وميثاقه ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور: ٦٣] وإذا كانت المعصية تتعلق بحق من حقوق العباد كاعتداء على شخص أو أكل ماله أو التعرض لعرضه، يزاد شرط رابع وهو الاستبراء والتخلص من حق الشخص بالمسامحة أو المقاصة أو

(٥٢) متفق عليه، صحيح البخاري، الحديث رقم ٦٣٠٨، ومسلم الحديث رقم ٢٧٤٤.
(٥٣) انظر المهذب من إحياء علوم الدين، ٢/ ٢٦٤-٢٦٥ باختصار.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التعويض، فإن فاته الشخص لسبب ما، فإن كان الحق مالياً فليتصدق بمقداره عنه، وإن كان غير ذلك فليستغفر لصاحبه ويدعو له.

وإذا توفرت هذه الشروط في التوبة سميت نصوحاً، ويرجى أن يكون صاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٠].

- ومن أهم ثمرات التوبة النصوح ثمرتان:

- إحداهما: تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له.

- الثانية: نيل الدرجات[٥٤].

المطلب الثاني: العبادات القولية

١ – الذكر: للذكر مكانة عظيمة من بين العبادات في الإسلام فهو روح العبادات كلها وحياة الإيمان.

إن لكل جارحة من الإنسان عبادة خاصة بها ملائمة لطبيعتها، وهناك عبادات تستغرق الجوارح كلها كالصلاة، والصوم، والحج، والجهاد.

والذكر عبادة اللسان، وعلى الرغم من خفة الذكر على اللسان، وقلة التعب فيه فقد جعل الله ﷻ عليه الأجر العظيم فضلاً منه وتمنناً.

أ– أهمية الذكر: لقد ذكرت آيات القرآن الكريم الذكر وأمرت به في كل الأوقات والأماكن والأحوال مما يستغرق حياة الإنسان، وقد وردت مادة (ذكر) ومشتقاتها وتصريفاتها في القرآن الكريم نيفاً وستين ومئتي مرة، مما يدل على سعة الحيز الذي يشغله الذكر.

وجاءت نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية تأمر به وتحث عليه بمختلف الأساليب، وهذه جملة منها:

- يقول عز وجل: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

- ويقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي: «إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير من ملئه، وإذا تقرب مني شبراً، تقربت منه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإذا مشى إلي هرولت إليه»[٥٥].

---

(٥٤) المرجع السابق، ٢/ ٢٦٧.

(٥٥) متفق عليه: صحيح البخاري، الحديث رقم ٧٤٠٥، وصحيح مسلم، الحديث رقم ٢٦٧٠.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

• وعد الله ﷻ بالأجر العظيم للذاكرين الله كثيراً والذاكرات، فقال عز من قائل: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ب- أوقات يذكر فيها الله ﷻ:

• ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وهي أيام التشريق في منى.

• ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨] وهي عشر ذي الحجة.

• ﴿... وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٤١] في جميع الأوقات، الليل والنهار...

• ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ...﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال رسول الله ﷺ: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(٥٦).

ج. أماكن يذكر اسم الله فيها سبحانه وتعالى:

• ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ... ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة: ١٩٨]

• يقول رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم مجلساً، يذكرون الله عز وجل، إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده»(٥٧).

د. أحوال يذكرا لله تعالى فيها:

• ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١].

• ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥] أي في جميع الأحوال، في حال الرجاء وحال الخوف، سراً وجهراً وفي كل الأوقات صباحاً مساءً، لتبتعد عنه الغفلة.

---

(٥٦) البخاري، رقم (٨٠٧)، ١/ ٢٨٩، صحيح مسلم، الحديث رقم (٥٩٧)، ١/ ٤١٨.
(٥٧) صحيح مسلم، الحديث رقم ٢٦٩٩.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هـ. من جوامع الذكر

بين رسول الله ﷺ مزايا لبعض الأذكار ولبعض صيغتها تدل على عظيم ثواب من يقولها، منها:

- يقول رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»(٥٨).
- وقال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»(٥٩).
- وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(٦٠).
- وقال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فقيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ فقال: يسبح الله مئة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف سيئة»(٦١).
- وقال رسول الله ﷺ: «يا عبد بن قيس - أو يا أبا موسى - أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قال: بلى، قال: قل: لا حول ولا قوة إلا بالله»(٦٢).

و. من آثار الذكر

للذكر آثار عظيمة حيث يقضي على آفة رئيسية من آفات القلب وهي الغفلة، ويتسبب عن الغفلة مساوئ عظيمة. ومن أهم آثار الذكر:

- طمأنينة القلب وإدخال السكون إليه، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨].
- إزالة القسوة من القلب: يقول عز وجل: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢].

---

(٥٨) متفق عليه: البخاري، الحديث رقم ٦٤٠٤، مسلم الحديث رقم ٢٦٨٣.
(٥٩) أخرجه مسلم، الحديث رقم ٢٦٩٥.
(٦٠) متفق عليه: البخاري الحديث رقم ٦٤٠٦، ومسلم ٢٦٩٤.
(٦١) أخرجه مسلم، الحديث رقم ٢٦٩٨.
(٦٢) متفق عليه: البخاري الحديث رقم ٤٢٥، ومسلم الحديث رقم ٢٧٠٤.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

● البعد عن صفة النفاق، فإن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء: ١٤٢]

ثانياً: الدعاء

أ- أهمية الدعاء

الدعاء لون من ألوان العبادة القولية، ومظهر من مظاهر العبودية والخضوع لله سبحانه وتعالى، والرغبة إلى الله عز وجل في قضاء الحوائج، وتخل عن الحول والطول والقوة وتفويض والتجاء إلى العظيم القادر بدفع الضر وجلب النفع. لذا جعله رسول الله ﷺ لب العبادة فقال: «الدعاء مخ العبادة»(٦٣) وفي رواية «إن الدعاء هو العبادة»(٦٤).

وجاء الأمر بالدعاء في القرآن الكريم بصيغ وأساليب متعددة منها:

● قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف:٥٥].

● وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

● وقوله عز من قائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة: ١٨٦].

ب- آداب الدعاء

يستحسن في الدعاء مراعاة الأوقات والأحوال والألفاظ:

١- **أن يختار المرء لدعائه الأوقات الشريفة**، مثل: يوم عرفة من السنة وشهر رمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.

٢- **ويغتنم الأحوال الشريفة**، مثل: عند إقامة الصلوات المكتوبة، وبعد الصلوات الخمس، وبين الأذان والإقامة، وعند نزول الغيث - المطر - وعند زحف الصفوف في سبيل الله، وفي حال السجود.

٣- **ويغتنم أفضل الهيئات**: فيدعو وهو مستقبل القبلة، يرفع يديه، ويخفض صوته، وبصره ويلح بالدعاء ويكرره ثلاثاً، ويوقن بالإجابة. فإما أن يعطى ما سأل، أو مثله من الخير أو يصرف عنه من الشر مثله.

---

(٦٣) رواه الترمذي عن أنس بن مالك (٣٣٧١) وقال حديث حسن غريب، ٥/ ٤٥٦.
(٦٤) رواه أحمد في المسند عن النعمان بن بشير ٤/ ٢٦٧، والترمذي (٣٣٧٢)، وقال حسن صحيح.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٤- ويختار في دعائه جوامعها، ويتجنب السجع المتكلف فيه، ويختار الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ فمنها:

- «اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه»(٦٥).
- «اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، فإنك أنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»(٦٦).
- «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة»(٦٧).
- «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر»(٦٨).
- «اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، وفتنة النار، وعذاب القبر، وفتنة القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر، وشر فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من المغرم والمأثم»(٦٩).
- وهناك أدعية عند دخول المسجد والخروج منه، ودخول البيت والخروج منه وأدعية عند النوم وعند الاستيقاظ وعند الركوب....(٧٠).

ج. آثار الدعاء

من أعظم آثار الدعاء

١- رد البلاء: فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان، فالدعاء كالأسباب التي تتخذ لتحقيق الغايات.

٢- استجلاب الرحمة، فبعض أنواع الرحمة مرتبطة بالدعاء لا تنزل إلا عند وجود الدعاء.

٣- حضور القلب وتعلقه بالله ﷻ، فالغالب في الخلق أن لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة، فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض(٧١).

---

(٦٥) رواه الترمذي (٣٣٩٢) وقال حسن صحيح ٥/ ٤٦٧، ورواه أبو داود (٥٠٦٧)، ٤/ ٣١٦.
(٦٦) متفق عليه، البخاري، رقم الحديث ٧٤٩٩، مسلم رقم الحديث ٧٧١.
(٦٧) أخرجه الترمذي، رقم (٣٥٠٢) وقال حسن غريب ٥/ ٥٢٨، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٢٣٤).
(٦٨) أخرجه البخاري، الحديث رقم ٦٦٦٥.
(٦٩) متفق عليه: البخاري الحديث رقم ٦٣٧٧، ومسلم الحديث رقم ٥٨٩.
(٧٠) وذكرت كتب الحديث أدعية رسول الله في كل مناسبة وفي كل ساعة من اليوم، فلتراجع.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثاً: الشكر:

تصور النعمة وإظهارها[72]

أ- **الشكر من العبادات القولية التي أمر الله ﷻ بها**، ووعد بالزيادة من النعم التي يشكر العبد ربه عليها، فقال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾[إبراهيم: ٧].

وإننا وإن اعتبرنا الشكر من العبادات القولية، فإن له تعلقاً بالقلب والجوارح أيضاً.

- أما صلته بالقلب أن يضمر الخير لكافة الخلق.
- والجوارح فباستعمال نعم الله تعالى في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته.
- والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله حسب طاقته.

ونقيض الشكر الكفر أو الكفران. والكفر إنكار المنعم وعدم الاعتراف بألوهيته، والكفران: عدم الاعتراف بالنعمة سواء بعدم استعمالها أو استعمالها في غير مرضاة الله ﷻ[73].

ب- مظاهر أداء الشكر وعدمه

١- المظهر الأول للشكر إذا أصاب الإنسان نعمة أن يقول بلسانه: الحمد لله والشكر لله.

٢- استعمال النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها، وهي طاعة الله عز وجل.

٣- المؤمنون يشكرون الله ﷻ على كل شيء على خلقهم ومنحهم العقل وهدايتهم إلى الإسلام، والنعم المحيطة بهم من الهواء والماء وتسخير المخلوقات وكل ما يحيط بهم، وهم يشكرون الله على دوام النعمة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣ ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

أما أهل الغفلة فهم لا يحسون بالنعمة إلا بفقدها، فمن تعرض لاختناق ثم نجا، أحس بنعمة الهواء، ومن أشرف على الموت عطشاً ثم شرب الماء أحس نعمة الماء وهكذا، لذا ورد في دعاء النبي ﷺ: «... وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك

(٧١) المهذب، من إحياء علوم الدين، ١/ ٢٧٢.
(٧٢) مفردات الراغب، ٣٨٩.
(٧٣) المهذب من إحياء علوم الدين، ٢/ ٢٨٨، باختصار وتصرف.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأسألك لساناً صادقاً وقلباً سليماً وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من خير ما تعلم»(٧٤).

- وأنجح طريق للشكر، على أهل الإيمان والبصيرة أن يتفكروا فيما حولهم ويتأملوا في أصناف النعم التي أحاطهم الله بها. ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل: ١٨] وقد أشار القرآن الكريم إلى جملة من ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[الواقعة: ٦٨-٧٠].

وقوله: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل: ٧٨] وقوله: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[القصص: ٧٣].

- أما أهل الغفلة عن النعم فعليهم أن ينظروا إلى من دونهم فيما حرموا منه من النعم فلينظر إلى من أصيب بالأسقام والأمراض فيشكر نعمة الله عليه في الصحة، ولينظر إلى السجون والذين ابتلوا بالجنايات، فيشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات وليحضر إلى المقابر، ليعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوماً واحداً ليتداركوا ما فاتهم من الإيمان والطاعة، فيحمد الله تعالى على بقائه على قيد الحياة فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهيه أهل القبور من العودة إليه. فإذا أدرك تلك النعم شكر الله تعالى. وذاك علاج القلوب الغافلة(٧٥).

ج. آثار الشكر

١- استحقاق المزيد من النعمة التي شكر الله ﷻ عليها حسب وعد الله تعالى: ﴿ ...لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾[إبراهيم: ٧].

٢- الوقاية من عذاب الله تعالى، فإن المطيع لأمر ربه القائم بالمطلوب منه لا يعذبه ربه كما في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ... ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧].

٣- استحقاق ثواب الله ﷻ، لأنه أدى عبادة أمر بها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٦].

(٧٤) أخرجه الترمذي (٣٤٠٧)، ٥/ ٤٧٦.
(٧٥) المهذب من إحياء علوم الدين، ٢/ ٢٩٤.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة: ١٧٢].

وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإنسان: ٢٢].

٤- الإتصاف بخلق من أعظم الأخلاق حيث وصف به الأنبياء والمرسلون، فقد قال رسول الله ﷺ عن نفسه «أفلا أكون عبداً شكوراً»(٧٦). وقال الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١]

ومن دعاء سليمان عليه السلام ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾[النمل: ١٩] وعن نوح عليه السلام ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإسراء: ٣].

بل وصف الله ﷻ ذاته العليا بالشكر فقال: ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[التغابن: ١٧] ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[الشورى: ٢٣] ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[البقرة: ١٥٨].

٥- صفة الشكر تورث المحبة والمودة والتواصل بين الناس. لأننا أمرنا بشكر الناس على ما يصلنا منهم من صلة ومعروف، وقد حث رسول الله ﷺ على شكرهم فقال: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»(٧٧).

ودلنا على طريق الشكر فقال: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به، ومن لم يجد فليثن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر»(٧٨). وقال ﷺ: «من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ الثناء»(٧٩). وكل ذلك يضفي على علاقات الناس شفافية من المحبة والتقدير والعطف.

المطلب الثالث: العبادات الفعلية

والعبادات الفعلية متنوعة منها ما يتعلق بالبدن، ومنها ما يتعلق بالمال ومنها ما يتعلق بهما، ونسوق على كل نوع مثالاً:

---

(٧٦) متفق عليه، البخاري (١٠٧٨)، باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه، ١/ ٣٨٠، ومسلم (٢٨١٩).

(٧٧) رواه أحمد (١١٢٩٨) عن أبي سعيد الخدري ٣/ ٣٢، والترمذي (١٩٥٤) وقال: حسن صحيح ٤/ ٣٣٩، وأبو داود في سننه (٤٨١١)، باب في شكر المعروف ٤/ ٢٥٥.

(٧٨) رواه الترمذي (٢٠٣٤)، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه، وقال: حسن غريب، ٤/ ٣٧٩.

(٧٩) رواه الترمذي (٢٠٣٥)، وقال حسن غريب، ٤/ ٣٨٠، وصحيح ابن حبان (٣٤١٣)،٨/ ٢٠٢.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١ - قيام الليل

أ. أهميته

إن المؤمن يتعرض في حياته المعيشية إلى الكدح والتعب، وفي حياته الدعوية إلى المعاندة والصلف، وفي علاقاته الاجتماعية إلى النشوز والحزن. ولا بد له من زاد روحي يعينه على متابعة المسيرة لتحمل أعباء الحياة في جميع ميادينها. وهذا الزاد الروحي يؤخذ من العبادة عامة ومن قيام الليل وتلاوة القرآن خاصة.

لذا نجد أن رسول الله ﷺ أمر في مقتبل الدعوة بالتزود بهذا الزاد الروحي حيث أمره ربه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ [المزمل: ١-٧]

فقام رسول الله ﷺ والمؤمنون معه قريباً من عام حتى تورمت أقدامهم، فنزل التخفيف بعد ذلك ناسخاً للمقدار المحدد، وللوجوب في حق المؤمنين، وبقي الوجوب في حق رسول الله ﷺ[٨٠].

وجاء الثناء في أكثر من آية على الذين يقومون الليل ابتغاء مرضاة الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٥-١٨].

ويقول عز من قائل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة: ١٦].

وكان رسول الله ﷺ يحث صحابته على قيام الليل بلطف، حيث ورد عنه أنه قال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»[٨١].

وكان يطرق على علي وفاطمة رضي الله عنهما ويقول: «ألا تصليان»[٨٢].

ب- أفضل أوقات قيام الليل

كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل دون التزام وقت معين، ولكن جاءت توجيهات تبين أفضلية الثلث الأخير من الليل، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ

---

(٨٠) بقاء وجوب قيام الليل في حق رسول الله ﷺ، انظر السنن الكبرى للبيهقي (١٥٦٣)، ١/ ٣٥٨.

(٨١) صحيح البخاري، الحديث رقم ١١٥٧.

(٨٢) رواه البخاري في صحيحه، رقم (١١٢٧)، ويطرق: يأتيهما ليلاً. انظر المفردات للراغب، ص٤٥٢.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني؟ فأستجيب له. من يسألني؟ فأعطيه. من يستغفرني؟ فأغفر له»(٨٣).

وعن عمر بن عبسة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»(٨٤).

ج. آثار قيام الليل

- **الانضمام إلى ركب الصالحين**: فقد قال رسول الله ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم...»(٨٥).
- **منهاة عن الإثم**: وفي تتمة الحديث السابق: «... وإن قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»(٨٦).
- **حلاوة المناجاة**: فإن خلوة العبد بربه ومناجاته من ألذ ما يشعر به القائم بالليل، كان ابن المنكدر يقول: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في الجماعة.

٢- إنفاق المال

أ) مكانة المال في الإسلام

من أعظم النعم على الإنسان نعمة المال إذا أحسن التصرف فيه كسباً وإنفاقاً، فإن لم يحسن التصرف فيه كان المال فتنة وبلاء. لذا حذر الله ﷻ من فتنة المال فقال: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن: ١٥]. وقال أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩].

ولم يذم الإسلام المال إلا إذا جعله الإنسان غاية مسعاه، وألهاه المال عن واجباته من الطاعات، أو منع حق الله ﷻ منه، يقول عز من قائل: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ

---

(٨٣) صحيح البخاري، الحديث رقم ١١٤٥.
(٨٤) سنن الترمذي، الحديث رقم ٣٥٧٩، وقال حسن صحيح غريب.
(٨٥) الجامع الصحيح للترمذي، الحديث رقم ٣٥٤٩.
(٨٦) الجامع الصحيح للترمذي، الحديث رقم ٣٥٤٩.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]

ب) المال وسيلة لا غاية:

وهو وسيلة لا غاية فإن استخدم للعمل الصالح «فنعم المال الصالح للمرء الصالح»(٨٧). وليقوم المال بوظيفته أمر الله ﷻ إنفاقه في الوجوه التي تحتاج إلى بذل وإنفاق ووسع دائرة الإنفاق، ومنع كنزه وتخصيصه بطبقة واحدة. فقال تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧]. وقال: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾[آل عمران: ٩٣].

ج) سياسة الإسلام في المال:

وليعم المال طبقات المجتمع يوجه القرآن الكريم إلى توزيع الثروة في المجتمع فيقول عز من قائل: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

وكلما اتسعت دائرة التداول المالي في المجتمع وكثرت الأيدي التي تتناوله تتضاعف الخدمات التي يقدمها المال، لذا ذم القرآن الكريم الذين يكنزون المال، وهددهم بالعقوبة الشديدة، لأنهم يمنعون المال من تقديم وظيفته الاجتماعية، وإيصال منافعه إلى عامة الناس فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤ – ٣٥].

ومن أجل توزيع الثروة على طبقات المجتمع، جعل الإسلام الإرث واجباً، لا يحق للموروث أن يحرم أحد ورثته المستحقين من ميراثه، ما دامت شروط التوارث الشرعي متوفرة بينهما وقال عنه القرآن فريضة وسماها حدود الله، فقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ

(٨٧) صحيح ابن حبان (٣٢١٠) ٨/ ٦، ومجمع الزوائد ٤/ ٦٤، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾[النساء: ١١]. وقال: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٣ - ١٤].

د. المال المذموم

ولا ينبغي أن يذم المال لذاته، فهو وسيلة وأداة. وله فوائد دنيوية ودينية إن أحسن استخدامه ولعل من أهم فوائده الدينية:

١- إنفاقه على نفسه وعلى من يعول، واستخدامه في الطاعات: الحج والقربات وصلة الرحم والجهاد، وغيرها مما يشكل المال عنصراً هاماً في تحقيقها.

٢- إنفاقه لدفع الضرر المادي والمعنوي عن نفسه وعرضه.

٣- ما يحقق به الخير العام في المجتمع من بناء دور العلم والعبادة، وما يرتفق به المجتمع من الخدمات كالمستشفيات والطرق.

• ومن أكثر أضرار المال الدينية

أن يجر صاحبه إلى المعاصي، فالقدرة تحرك النفس وشهواتها إلى المعاصي وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء، والتوسع في المباحات يجعل النفس تتطلع إلى الشبهات ثم إلى المحرمات.

١- إذا تنعم بالمال وتطلعت النفس إلى المزيد، قد لا يستطيع تحقيق رغباتها من المال الحلال فيطرق باب الحرام ثم يقتحم فيه فيرتكب المحرمات للاستزادة من المال.

٢- إن المال يحتاج إلى رعاية وإصلاح وكثيراً ما يشغل صاحبه عن العبادات وذكر الله فهو خسران، لذا حذر الله ﷻ من ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩]

هـ. وسطية الإسلام في المال

كما تقدم مما ذكرناه فإن موقف الإسلام وسط - كما هي عادته في كل شيء - لم يعتبر المال رجساً وقذراً يتجنب، ولم يعتبره الغاية التي يسعى إليها.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- وأقر الإسلام غريزة حب التملك في الإنسان، وميلها إلى جمع المال والحرص على اقتنائه، يقول الرسول ﷺ: «ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[٨٨].

وقال أيضاً: «يهرم ابن آدم، ويشب معه اثنتان: الأمل وحب المال»[٨٩].

ولكن الإسلام دعا إلى تهذيب هذه الغريزة وإخضاعها لأوامر الشرع، لكيلا تحول الإنسان إلى وحش كاسر يفترس كل ما يصادفه. فدعا إلى القناعة: يقول رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس»[٩٠].

- وحذر من فتنة المال: يقول عز من قائل: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[الكهف: ٤٦].

- ودعا إلى عدم الحرص، وأمر بالاستغناء عما في أيدي الناس، وأن لا يذل نفسه في طلب المال. قال بعض الحكماء: استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره[٩١].

- ولا ينبغي ازدراء نعمة الله عليه، فأمر بشكر الله تعالى بما أنعم عليه، وأن ينظر إلى من دونه في المال والجاه، وأن لا ينظر إلى من فوقه في ذلك. قال أبو هريرة: (قال رسول الله ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه»[٩٢].

- ودعا الإسلام إلى التوسط في الإنفاق، فلا يمسك حيث يجب البذل، ولا يبذل حيث يجب الإمساك يقول عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[الفرقان: ٦٧].

ويقول: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾[الإسراء: ٢٩]، إن المال وسيلة لا غاية، إن استخدام المال وفق شرع الله يحقق السعادة الدنيوية للإنسان ويكفي مسؤوليته الأخروية.

وإن بخل بالمال عن الطاعات، أو استعمله فيما لا يرضي الله تعالى كان وبالاً عليه في الدنيا والآخرة.

---

(٨٨) متفق عليه: البخاري، رقم الحديث ٦٤٣٦، ومسلم، رقم الحديث ١٠٤٨.
(٨٩) متفق عليه: البخاري، رقم الحديث ٦٤٢١، ومسلم، رقم الحديث ١٠٤٧.
(٩٠) متفق عليه: البخاري رقم الحديث ٦٤٤٦، ومسلم، رقم الحديث ١٠٥٠.
(٩١) المهذب من إحياء علوم الدين ٢/ ١٤٧.
(٩٢) متفق عليه: البخاري رقم الحديث ٦٤٩٠، ومسلم، رقم الحديث ٢٩٦٣.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- الجهاد في سبيل الله

الجهاد من العبادات العملية التي تجمع بين العبادة المالية والعبادة البدنية.

أ. مكانة الجهاد في الإسلام

الجهاد ذروة سنام الإسلام، ومنازل المجاهدين أعلى المنازل في الجنة، بالجهاد يذاد عن ديار المسلمين، وتصان أعراضهم وتحفظ أموالهم، ويعيش الناس في بلادهم آمنين.

وهو التجارة الرابحة مع الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف: ١٠- ١١].

يقول الرسول ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد»(٩٣).

● أنواع الجهاد في الإسلام

لما كانت دلالة كلمة (جهد) في الأصل اللغوي بذل الوسع في تحصيل الشيء أو دفعه.

● قسم العلماء الجهاد إلى أنواع

١- جهاد النفس: فقد قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله»(٩٤). يقول ابن القيم: (جهاد النفس مقدم على جهاد العدو في الخارج، وأصل له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه؟!)(٩٥) فالنفس عدو الإنسان من داخله.

٢- جهاد الشيطان: قال الله العزيز الحكيم: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] فلا بد من استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته، والشيطان عدو الإنسان من خارجه، ولكنه وثيق الصلة بالنفس العدو الداخلي، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

٣- جهاد العدو: وهم الكفار والمنافقون، وجهادهم بثلاث وسائل:

---

(٩٣) رواه مسلم رقم (١٨٧٨) باب فضل الشهادة ٣/ ١٤٩٨، ورواه الترمذي (١٦١٩) باب ما جاء في فضل الجهاد، وقال حسن صحيح ٤/ ١٦٤.

(٩٤) رواه أحمد في المسند عن فضالة بن عبيد (٢٣٩٩٧)، والترمذي (١٦٢١).

(٩٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢/ ٣٨.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- **الأولى: بالحجة والبرهان**: فقد أمر رسول الله ﷺ بجهاد الكفار في المرحلة المكية، ولم يكن قد أذن له بالقتال. قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢]. أي بتبليغهم القرآن وتلاوته بين أظهرهم، وإقامة الحجة عليهم بآياته وبراهينه وتحديهم بإعجازه.

- **الثانية: بالموعظة والتهديد والوعيد**: وذلك للمنافقين، فإنهم يعيشون بين المسلمين ويتظاهرون بالإسلام، ولكنهم يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويكيدون لهم في الخفاء، لذا أمر الله ﷻ نبيه ﷺ جهادهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم: ٩].

- **الثالثة: بالقتال والوسائل الأخرى لقمعه**: ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. وإذا أطلق الجهاد لا يفهم منه، إلا جهاد العدو الخارجي بالقتال.

وقد أمر الله ﷻ المؤمنين باتخاذ الوسائل المكافئة لدرء عدوان الأعداء، سواء الوسائل المادية من العتاد والسلاح والقوة الاقتصادية والعلمية والتقنية، أو الوسائل المعنوية: من قوة الإيمان والخبرات الفنية وغيرها وكلها داخلة تحت قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

ب. من آداب الجهاد في الإسلام

الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة إلى الإسلام، ولا يقصد به العلو في الأرض أو كسب المال أو إذلال الناس، لذا كان رسول الله ﷺ أول ما يبدأ به دعوة الكفار إلى الإسلام. فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً قط إلا دعاهم»(٩٦) والمسلمون عندما يدعون الناس إلى الإسلام، إنما يبذلون جهدهم في ذلك لإخراجهم من ظلمات الكفر والضلال والجهالة إلى نور الإسلام» لذا كان المسلمون رحماء في شؤونهم وحتى في جهاد الأعداء.

لذا ذكر الفقهاء من آداب الجهاد الإسلامي:

---

(٩٦) رواه الحاكم في المستدرك (٣٧)، ١/ ٦٠، وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، ٩/ ١٠٧.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١- **لا يجوز قتل غير المقاتلة**: فلا تقتل المرأة ولا الصبي والمجنون ولا الشيخ ولا المريض المقعد، ولا الأشل ولا الأعمى، ولا الراهب في صومعته، وكل من لا يشارك في القتال. ولا يساعد المقاتلين بالمال أو الرأي...

٢- **ولا يجوز تغريق النحل وتحريقه، ولا إتلاف الزرع والشجر إلا لضرورة**. ولا يذبح شاة ولا دابة إلا لأكل.

٣- **ولا يجوز تدمير البيوت والسدود والمصانع وغيرها مما لا علاقة له بشكل مباشر في القضايا الحربية**، ولا تتطلبه ضرورة العمليات العسكرية (أو ما يسمى في العصر الحاضر بالبنية التحتية للدولة).

وكل ذلك جاء في هدايات القرآن الكريم وتوجيهات الرسول الكريم ووصايا الخلفاء الراشدين لقواد الجند.

يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥ ﴾[البقرة: ٢٠٥].

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشاً قال: «انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين»(٩٧).

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: (وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان)(٩٨).

وجاء في وصية أبي بكر رضي الله عنه ليزيد حين بعثه أميراً على الجند: يا يزيد، لا تقتل صبياً ولا امرأة ولا هرماً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شجراً مثمراً، ولا دابة عجماء ولا شاة إلا لمأكله، ولا تحرقن نحلاً ولا تغرقنه، ولا تغلل ولا تجبن)(٩٩).

إن الإسلام دين الرحمة ورسول الإسلام نبي الرحمة، يقول عنه ربه الذي أرسله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

المطلب الرابع: خصائص العبادة في الإسلام

من خلال ما تقدم من أهمية العبادة، وأنواعها وثمراتها نستخلص جملة من خصائص العبادات في الإسلام من أهمها:

(٩٧) انظر سنن أبي داود، الحديث رقم ٢٦١٤.
(٩٨) صحيح البخاري ٣٠١٤، ومسلم ١٧٤٤.
(٩٩) انظر المغني لابن قدامة، ١٣/ ١٤٤.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١ - الإخلاص فيها لله سبحانه وتعالى: فلا يجوز توجيه شيء من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، فقد أمرنا الله تعالى أن نوحده ولا نشرك به أحداً في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، يقول عز من قائل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة: ٥] وأداء العبادة خالصة لله تعالى ينسجم من الغاية التي خلق الإنسان من أجلها: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦].

٢ - العبادات توقيفية: فلا يجوز أن تختلق أنواع من العبادات لم ترد في القرآن الكريم ولا سنة رسول الله ﷺ. والابتداع في العبادات مردود، فقد ورد في حديث رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[100]. وقال المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ ...فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠]. (عملاً صالحاً) وهو ما كان موافقاً لشرع الله تعالى (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) أي من خلقه إشراكاً جلياً، كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ولا إشراكاً خفياً، كما يفعله أهل الرياء، ومن يطلب به أجراً من المدح وتحصيل المال والجاه)[101]. إن العمل لا يكون صالحاً إلا إذا وافق شرع الله، ودخل تحت القاعدة العامة فيما يحبه الله ويرضاه.

٣ - انعدام الوساطة بين العبد وربه: فالله تعالى خاطب عباده مباشرة، وطلب منهم التوجه إليه في دعائهم وعباداتهم مباشرة أيضاً: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ... ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦].

وقد ندد القرآن الكريم بالمشركين الذين عبدوا وسائط ليقربوهم من الله زلفى فقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾[الزمر: ٣]، ولا يقال: إن الأنبياء هم سفراء الله إلى خلقه أفلا يكونون وسطاء؟ لأن مهمة الأنبياء هي التبليغ والبيان، وهم يحتسبون أجرهم على الله، ولا يطلبون من أتباعهم المؤمنين بهم على ذلك أجراً ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[الشعراء: ١٠٩] فلا يجوز توجيه شيء من العبادة إليهم.

٤ - العبادات في الإسلام مبنية على اليسر: كل شرائع الإسلام راعت طبيعة البشر التي تعتورها حالات من القوة والضعف، وحالات من النشاط والفتور، والعبادات

---

(١٠٠) متفق عليه: البخاري (٢٥٥٠) ٢/ ٩٥٩، ومسلم (١٧١٨)، باب نقض الأحكام الباطلة، ٣/ ١٣٤٣.
(١٠١) انظر محاسن التأويل للقاسمي، ١١/ ٤١٢٣.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خاصة بنيت على اليسر والسهولة، يقول الفقهاء: (حقوق الله مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبنية على المشاحة).

والعبادات كلها حقوق الله سبحانه وتعالى فهي مبنية على المسامحة، يقول عز من قائل: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء: ٢٦-٢٨].

يقول الرسول ﷺ: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[١٠٢].

فالحمد لله على نعمة الإيمان، والحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله الذي أنعم علينا بالشريعة السمحة ولم يجعل لنا فيها حرجاً.

وصلى الله وسلم على خيرته من خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١٠٢) مجمع الزوائد ١/ ٦٢، وقال رواه أحمد ورجاله موثوقون، والسنن الكبرى للبيهقي (٤٥٢١) ٣/ ١٩.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث

الأخلاق

المبحث الأول : تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح
المبحث الثاني : أهمية الأخلاق وضرورتها للحياة الإنسانية
المبحث الثالث: منزلة الأخلاق في الإسلام
المبحث الرابع : مفهوم النظام الأخلاقي في الإسلام
المبحث الخامس : ارتباط الأخلاق بالعقيدة في الإسلام
المبحث السادس : من أخلاق النبوة

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث

تعريف الأخلاق

مطلوب

المطلب الأول: تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح

في اللغة: الأخلاق جمع، مفرده (الخلق)، والخلق يطلق على الطبع والسجية والمروءة والدين، وحقيقته أنه وصف لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة، وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقبيحة(١).

يقال: فلان حسن الخُلُقِ والخَلْق أي حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق الصورة الباطنة.

في الاصطلاح: قام العلماء قديماً وحديثاً بتعريفات للأخلاق كثيرة ومتنوعة فمن القدماء نختار ما ذكره الإمام الغزالي حيث يقول عن الخلق إنه: "هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"(٢).

ومن المحدثين ما قاله الدكتور محمد عبد الله دراز من أن "الخلق هو قوة راسخة في الإرادة تنزع بها إلى اختيار ما هو خير وصلاح [إن كان الخلق حميداً] أو إلى اختيار ما هو شر وجور [إن كان الخلق ذميماً]"(٣)، ويرى أنه بهذا تتميز الحقيقة الخلقية عما عداها من الصفات النفسية.

ومعنى ذلك أن الخلق صفة مستقرة في النفس – فطرية أو مكتسبة – ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة، فالخلق منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم والإسلام يدعو إلى محمود الأخلاق وينهى عن مذمومها، والخلق المحمود يدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء، كالأخذ بالحق أو الخير أو الجمال وإن خالف الهوى، وترك الباطل والشر والقبح وإن وافق الهوى أو الشهوة.

---

(١) راجع القاموس المحيط للفيروز أبادي ولسان العرب لابن منظور.
(٢) إحياء علوم الدين، ج٣، ص٥٣، دار المعرفة، بيروت.
(٣) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ص٨٨، دار القلم بالكويت.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والخلق المذموم يدفع إلى سلوك إرادي مذموم عند العقلاء كالأخذ بالباطل أو الشر أو القبح، وترك الحق أو الخير أو الجمال اتباعاً للهوى أو الشهوة(٤).

وهذا تعريف الأخلاق من حيث كونها صفة نفسية للإنسان يصدر عنها سلوكه.

المطلب الثاني: تعريف علم الأخلاق

أما عن تعريف الأخلاق كعلم له مبادئه وأصوله وقواعده فقد عرفه البعض بأنه "علم العادات" وعرفه البعض الآخر بأنه "علم الخير والشر" وهناك من عرفه بأنه "علم القواعد التي تحمل مراعاتها المرء على فعل الخير وتجنب الشر، ويصل بالعمل بها إلى المثل الأعلى للحياة".

أما التعريف الشامل فهو "علم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان، وعلم الرذائل وكيفية اجتنابها ليتخلى عنها، والإلمام التام بجميع القواعد التي بإتباعها يكون عمل الإنسان خيراً، وتكون حياته سعيدة"(٥).

وعلم الأخلاق في الإسلام لا يهتم فقط بتقييم السلوك الإنساني ووضع المقاييس والمعايير التي يقوم على أساسها، ولكنه يهتم أيضاً بإصلاح السلوك وعلاجه إذا انحرف، حيث تعتبر الرذائل عند علماء الإسلام أمراضاً نفسية تتطلب العلاج، ومن أجل هذا كان علم الأخلاق عندهم صناعة تستهدف علاج الأمراض وحفظ الصحة وغايته تحقيق السعادة.

ولا يقتصر علم الأخلاق في الإسلام على تنظيم السلوك وتوجيهه لنيل هذه السعادة وتحقيقها في الدنيا، وإنما يهدف إلى الفوز بالسعادة في الدارين: الدنيا والآخرة.

كذلك فإنه يعتمد بالدرجة الأولى على مصادر الإسلام الأساسية: القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرهما من مصادر المعرفة الإسلامية.

---

(٤) راجع الأخلاق الإسلامية وأسسها للأستاذ عبد الرحمن حبنكة، ج١، ص١٦، ١٠ دار القلم بدمشق.

(٥) راجع العقيدة والأخلاق للدكتور بيصار منشورات المكتبة العصرية، بيروت، والأخلاق بين الفلسفة والإسلام للدكتور عبد المقصود عبد الغني، ص١٣، ودراسات في فلسفة الأخلاق للدكتور محمد نصار.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني
الفائدة من دراسة الأخلاق

هناك من يرى أن دراسة الأخلاق لا تفيد شيئاً ولا تحقق نفعاً في تقويم السلوك وإصلاح النفوس حيث يرون أن الأخلاق غير قابلة للتغيير وأن ما يطبع عليه الإنسان يستعصي عليه التحويل والتبديل.

وقام الإمام الغزالي بتخطئة هؤلاء، وانتقد رأيهم، ورماهم بالقعود والكسل والتواكل، لأنهم يستثقلون تزكية النفوس وتزكية الأخلاق مستدلين على ذلك بعدم تغيير خلقة الإنسان حيث اعتقدوا أن الخلق كالخلق لا يقبل التغيير ظناً منهم أن المطمع في تغيير الأخلاق إنما هو طمع في تغيير خلق الله عز وجل.

وهذه حجتهم الأولى وهي مقايسة نظرية حيث بينوا أنه لا يمكن للإنسان تحويل خلقته الظاهرية من الدمامة إلى الوسامة، كذلك لا يمكنه تغيير طبيعته الباطنة من الشرية إلى الخيرية، إذ لا فرق بين فطرة وفطرة: كلاهما من صنع الله الذي لا تبديل لخلقه.

وقد بين الغزالي بطلان حجتهم بأنه لو كان تغيير الأخلاق مستحيلاً وتبديل الطباع غير ممكن لما كان هناك جدوى للنصح والإرشاد، فقال: "لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ: «حسنوا أخلاقكم»".

واستدل على أن تغيير طباع الإنسان أمر ممكن ميسور بتغير طباع الحيوان بالتدريب والتهذيب فقال: "وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد"(٦).

ومعنى ذلك أن الدليل التجريبي قائم على عكس ما ذهبوا إليه، فقد وفق الإنسان في كل عصوره إلى نقل طباع الحيوان من النفور إلى الإلف. ومن الصعوبة والحزونة إلى السلاسة والانقياد، ومن اعوجاج السير واضطرابه إلى اعتداله وانتظامه، حتى إن الإنسان ليرقص الخيل ويلاعب الطير ويعلم الجوارح.

---

(٦) راجع إحياء علوم الدين، ج٣، ص٥٥-٥٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذا كان هذا هو الشأن في غرائز العجماوات فكيف بالغرائز الإنسانية التي أثبت علم النفس المقارن أنه أسلس قياداً، وأعظم مرونة[٧].

أما حجتهم الثانية فتقوم على التجربة العلمية حيث إن كثيراً من أهل المجاهدة والرياضة حاولوا في أنفسهم تحطيم قوتي الشهوة والغضب، وإسكات غريزتي الأمل والألم فباءوا بالفشل، وإذا كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة لاكتساب الخلق الحميد وقد ثبتت استحالتها كانت غايتها محالة كذلك.

ويكفي في الرد عليهم وإبطال حجتهم هذه أن نشير إلى أنه ليس المطلوب هنا قمع هذه الشهوات ومحو الطباع الإنسانية وإنما المقصود تهذيبها وتنظيمها فلا يستطيع الإنسان أن يبدل عناصر روحه تبديلاً ولكن يمكنه أن يتعهد عناصر الخير فيها إمداداً بماء العلوم والمعارف، ورفداً بالعمل الصالح، وصقلاً وجلاء بالندم على السقطات والزلات وبما شاء من تزكية وتنمية كما قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾[التوبة: ١٠٣].

والخلاصة أن النفس وإن كانت خلقت ناقصة بالفعل لكنها منطوية على إمكانيات الكمال، قابلة بالقوة لما شاء الله من درجات الترقي والتدني، فعلى الإنسان أن يجاهد ويبذل قصارى جهده في التزكية والتطهير، يقول تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ٧-١٠] فجعل الله ﷻ تسوية النفس من فعل البارئ المصور، ولكنه جعل تزكيتها أو تدسيتها من عمل الإنسان[٨].

فدراسة الأخلاق إذن وحدها ليست كفيلة بأن تجعلنا أخياراً صالحين ولكن ينبغي أن نكون ميالين بطبعنا إلى الخير والتقوى والصلاح، بجانب مجاهداتنا المستمرة في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

فحسن الخلق كما يقول الشيخ محمد الغزالي: "لا يؤسس في المجتمع بالتعاليم المرسلة، أو الأوامر والنواهي المجردة، إذ لا يكفي في طبع النفوس على الفضائل مجرد التعليم، وإنما التأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة، ويتطلب تعهداً مستمراً[٩].

(٧) راجع دراسات إسلامية للدكتور دراز، ص٩٤، ولمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة راجع فطرية الأخلاق واكتسابها بين مسكويه والغزالي للدكتور فتحي محمد الزغبي: حولية كلية أصول الدين بالزقازيق، ٢٠٠٢م.
(٨) راجع دراسات إسلامية للدكتور دراز، ص٩٤-٩٥، وفطرية الأخلاق واكتسابها المبحث الرابع.
(٩) راجع خلق المسلم، ص١٥.

الجديد طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث

أهمية الأخلاق وضرورتها للحياة الإنسانية

لا شك أن الأخلاق تعتبر على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للحياة الإنسانية، بل إنها تمثل ركناً أساسياً في هذه الحياة سواء كان ذلك على مستوى الفرد أم على مستوى المجتمع.

المطلب الأول: الأخلاق ضرورة فردية

سوف تظل الأخلاق حاجة أساسية للإنسان وبدونها يصبح الإنسان ذئباً لأخيه الإنسان مما لا يتيسر معه إقامة حياة اجتماعية سليمة وترجع هذه الحاجة إلى أن غرائز الإنسان متعددة ومتنوعة، معقدة غير سهلة، مركبة غير بسيطة فمنها الفردي الذي يدفع إلى الأثرة والأنانية والبخل، ومنها الاجتماعي الذي يدعو إلى التعاون والإيثار والكرم، ومنها ما يهبط إلى حضيض المادة، ومنها ما يسمو به إلى أفق الروح؛ ذلك أن الإنسان نفسه مخلوق مركب، في كيانه جزء أرضي وجزء سماوي، هو جسد وروح، شهوة وعقل، وإنسان وحيوان، وملاك وشيطان، ولذا عرفه بعض الفلاسفة - نظراً لاتصاله بعالم الروح وعالم المادة - فقال: "الإنسان مواطن في عالمين".

ويذكر الفيلسوف البريطاني المعاصر "برتراندرسل" أن الإنسان أكثر تعقيداً في نزعاته ورغباته من أي حيوان آخر، فهو ليس اجتماعياً تماماً مثل النمل والنحل، ولا هو انفرادي تماماً مثل الأسود والنمور، ولأننا لسنا اجتماعيين تماماً فنحن في حاجة إلى أخلاق لتوحي لنا بالأهداف، وإلى قواعد أخلاقية لتفرض علينا قواعد التصرفات، بخلاف النحل فإنه - كما يبدو - ليس في حاجة إلى شيء من هذا فهو يتصرف بما تمليه عليه مصلحة الجماعة، ومعنى ذلك أن الإنسان في حاجة إلى الأخلاق، لأنها توائم بين غرائزه وتهذب طبيعته، وتوجهه إلى السلوك اللائق به في الحياة كأفضل مخلوق اختصه الله تعالى بالخلافة عنه في الأرض، وجعل رسالته عبادته وطاعته عز وجل(١٠).

المطلب الثاني: الأخلاق ضرورة اجتماعية حضارية

وإذا كان الإنسان في حاجة إلى الأخلاق، فإن المجتمع لا يقل عنه في حاجته إليها، فكما أن الفرد يضيره ويفسده أن يكون كاذباً مرائياً حسوداً خائناً ماكراً ظالماً، كذلك يفسد المجتمع بشيوع هذه الصفات في أفراده، فالأخلاق هي الدعامة الأولى في بناء

---

(١٠) راجع تفصيل ذلك في الأخلاق بين الفلسفة والإسلام، ص٢٠-٢١، والإيمان والحياة للدكتور القرضاوي، ص١٧١-١٧٢.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل مجتمع سليم، وهي ضرورة إنسانية لازمة لحياة المجتمع لأنها توضح أساليب التعامل الاجتماعي مثل العدالة والمساواة والتعاون والإخلاص والصدق والوفاء والعفة، ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الأخلاق ألزم للإنسانية من العلم، فلا توجد أمة سعيدة مترابطة بدون الأخلاق مهما بلغت من التقدم العلمي، وها هي الحضارة الغربية ركزت على العلم وأهملت الأخلاق والقيم، ولذلك فإن أبناءها يعانون كثيراً من الأمراض النفسية والعصبية، والإحصائيات تشير إلى ارتفاع معدلات الانتحار وخاصة بين الشباب.

فالأخلاق هي سر بقاء الأمم، ولا بقاء لأمة تفرط في أخلاقها وتتهاون في قيمها ومبادئها الروحية وصدق الشاعر في قوله:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولكي يتبين لنا مدى ضرورة الأخلاق لدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحيتين المادية والروحية فعلينا أن نتصور حياة مجتمع أهملت فيه الأخلاق الفاضلة، وسادت بين أفراده الخيانة والفسق والكذب والغش والسرقة وسفك الدماء، والتعدي على الحرمات والحقوق، كيف يمكن أن تكون هذه الحياة؟ لا شك في أن هذه الحياة تكون جحيماً لا يطاق، ويتحول الناس إلى وحوش ضارية بعد أن تخلوا عن كل المعاني الإنسانية، ويشقون شقاء ما بعده شقاء، لأن الإنسان سيكون في هذا المجتمع أداة هدم وتدمير، سيكون وحشاً ضارياً لا يهمه إلا تحقيق أطماعه وإشباع غرائزه ونزعاته؛ نزعات التسلط والتجبر والأنانية والانتقام والكبر والطغيان، وإذا استخدم هذه القوى في الفساد أهلك الحرث والنسل، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وهكذا فإن الأخلاق ضرورة فردية وضرورة اجتماعية فهي ملاك الفرد الفاضل، وقوام المجتمع الراقي، يبقى ويستقر ما بقيت، ويذهب ويتلاشى إن ذهبت، بل لا حياة له بغيرها يقول الشاعر:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم   فأقم عليهم مأتماً وعويلا

ويقول آخر:

وليس بعامر بنيان قوم   إذا أخلاقهم كانت خرابا[11]

---

(١١) راجع تفصيل ذلك في علم الأخلاق الإسلامية للدكتور مقداد يالجن، ص١٠٨-١٢٢، وكتابه الآخر "التربية الأخلاقية الإسلامية"، ص١٦٢-١٨٣، والأخلاق بين الفلسفة والإسلام، ص٢١-٢٣، والإيمان والحياة، ص١٧٣.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الرابع
منزلة الأخلاق في الإسلام

حينما نتأمل قول النبي ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١٢) ندرك تمام الإدراك منزلة الأخلاق وأهميتها في نظر الإسلام حيث جعل ﷺ أهداف بعثته مقصورة على إتمام مكارم الأخلاق، وأن مجيئه بالإسلام يتلخص في إتمام البناء الأخلاقي الذي شيده من سبقه من الأنبياء والمرسلين حيث يقول في حديث آخر: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله – وفي رواية: بنى داراً فأتمها وأكملها – إلا موضع لبنة فجعل يطوفون به ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»(١٣).

ومعنى ذلك أن هدف الرسالات الإلهية التي جاء بها هؤلاء الأنبياء هدف أخلاقي في المقام الأول، لأنها تستهدف إرشاد الإنسان إلى طريق الخير وإبعاده عن الشر في الدنيا وسوء العاقبة في الآخرة.

وقد تجمعت مكارم الأخلاق، وأمهات الفضائل فيما جاء به النبي ﷺ حيث أمره الله عز وجل بأن يقتدي بالأنبياء السابقين وأن يهتدي بهداهم فقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام: ٩٠]، وهذا الهدى المأمور به ليس هو معرفة الله، وليس هو الشرائع لأن شريعته مخالفة لشرائعهم، فتعين أن يكون المراد منه أمره عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بكل واحد من الأنبياء المتقدمين فيما اختص به من الخلق الكريم فكان كل واحد منهم مختصاً بنوع واحد، فلما أمر محمد عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بالكل فكأنه أمر بمجموع ما كان متفرقاً فيهم، ولما كان ذلك درجة عالية لم تتيسر لأحد من الأنبياء قبله لا جرم وصفه الله بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤](١٤) وإذا علمنا أن الله عز وجل لم يصف أحداً من أنبيائه السابقين بالخلق العظيم، وإنما وصف كل واحد بأوصاف أخرى مثل رشيد وتقي وحليم وما إلى ذلك علمنا السر في ذلك، والذي أدركه أكثم بن صيفي أحد حكماء العرب الذي قال عندما دعا قومه إلى الإسلام: "إن الذي يدعو إليه محمد لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق الناس حسناً"(١٥).

---

(١٢) رواه الإمام مالك في الموطأ، وفي رواية (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد.

(١٣) رواه البخاري ومسلم.

(١٤) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي، ج٣٠، ص٨٠.

(١٥) راجع التربية الأخلاقية الإسلامية للدكتور مقداد يالجن، ص٩٦.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن أجل ذلك بين رسول الله ﷺ أن الدين يتمثل في حسن الخلق، وأخبر أن حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان، وأن صاحبه أحب الناس إلى الله وأقربهم من النبيين مجلساً حيث يقول عليه الصلاة والسلام: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»[رواه أبو داود والترمذي]، ويقول: «ألا أخبركم بأحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، قالوا: بلى، قال: أحسنكم خلقاً»[ابن حبان ومسند أحمد]، وقال: «أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق»(١٦).

وإذا كان نبي الإسلام دعا إلى عبادات شتى، وأقام دولة ارتكزت على جهاد طويل ضد أعداء كثيرين، وإذا كان مع سعة دينه، وتشعب نواحي العمل أمام أتباعه يخبرهم بأن أرجح ما في موازينهم يوم الحساب الخلق الحسن، فإن دلالة ذلك على منزلة الخلق في الإسلام لا تخفى.

وهكذا فإن للأخلاق في نظر الدين عامة والإسلام خاصة محلاً رفيعاً ومكاناً فسيحاً، ولا عجب أن رأينا من محققي علماء الإسلام رجلاً مثل ابن القيم يقول: "الدين هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"(١٧).

المبحث الخامس
مفهوم النظام الأخلاقي في الإسلام

إذا نظرنا إلى النظام الأخلاقي في الإسلام سوف يتبين لنا أنه ليس جزءاً من نظام الإسلام العام فحسب، شأنه في ذلك شأن غيره من النظم الإسلامية، وإنما نجد أن الأخلاق تمثل جوهر الإسلام وروحه السارية في جميع جوانبه، فالنظام الإسلامي عموماً مبني على فلسفته الخلقية أساساً.

ففي جانب العقيدة: يرتبط حسن الخلق بالإيمان، ويتضح ذلك من قول الرسول ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً»(١٨) حيث جعل حسن الخلق أكمل خصال الإيمان، وقوله أيضاً: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(١٩) وحينما

---

(١٦) راجع جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص١٩٥.
(١٧) راجع خلق المسلم، ص١٤، والإيمان والحياة، ص١٧٣-١٧٤.
(١٨) أخرجه الترمذي، رقم (١١٦٢) وقال: حسن صحيح ٣/ ٤٦٦، وأبو داود وصححه الألباني.
(١٩) متفق عليه، رواه البخاري (١٣)، باب من الإيمان ١/ ٢٤، ومسلم (٤٥)، ١/ ٦٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سئل: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»[٢٠].

والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ويسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها[٢١].

وفي جانب العبادات: التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركاناً في الإيمان به نجد أنها كما يقول الشيخ محمد الغزالي: تمارين مكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة، وأن يظل مستمسكاً بهذه الأخلاق، مهما تغيرت أمامه الظروف[٢٢].

لو نظرنا إلى الصلاة مثلاً نجد أن حقيقتها تتمثل في الإبعاد عن الرذائل، والتطهير من سوء القول وسوء العمل حيث بين الله الحكمة من إقامتها فقال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وجاء في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول: (إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب)[٢٣].

فلا تقبل الصلاة إلا ممن أثمرت فيه الصلاة تواضعاً ورحمة وخلقاً طيباً، أما ذلك الشخص الذي لم يستفد من صلاته خلقاً كريماً فلا يزداد من الله إلا بعداً لأن الصلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ[٢٤].

وكذلك الأمر في بقية العبادات: فالزكاة تطهير من الأخلاق الذميمة وتزكية بالأخلاق الحسنة وغرس لمشاعر الألفة والرحمة وتنمية لروح التضامن والتكافل بين المسلمين، والصيام تربية وتهذيب للنفس، ورقي للروح، ووقاية من الرذائل الخلقية بتحقيق ثمرته وهي التقوى، والحج تطهير وتنقية من الرفث والفسوق حتى يكون مبروراً لا جزاء له إلا الجنة.

---

(٢٠) رواه مسلم في صحيحه، رقم (٣٨) ١/ ٦٥.
(٢١) راجع جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ص٢١٧-٢١٨.
(٢٢) راجع خلق المسلم، ص٧.
(٢٣) الترغيب والترهيب (٧٧١) ١/ ٢٠٤، وقال: رواه البزار من رواية عبد الله بن واقد وبقية رواته ثقات.
(٢٤) راجع أخلاقنا للدكتور محمد ربيع جوهري، ص٤٢.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهكذا باختصار شديد يتبين لنا من خلال هذه النظرة المجملة للعبادات متانة الأواصر التي تربط الدين بالخلق فهي مدارج الكمال المنشود، وروافد التطهير الذي يصون الحياة، ويعلي شأنها فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكي قلبه، وينقي لبه، ويهذب نفسه فقد خسر خسراناً مبيناً(٢٥).

وكذلك الأمر في جانب المعاملات والتشريعات حيث نجد أن مقاصد الشريعة مقاصد أخلاقية حيث إنها تكمن في تحقيق الخير ودفع الشر وقد اختصرت قواعدها الأصولية في قاعدتين: جلب المصلحة ودفع المفسدة(٢٦).

وهكذا نجد أن الإسلام قد ربط بين جوانب الإسلام برباط أخلاقي لتحقيق غاية أخلاقية ويدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقد روي أن النبي ﷺ سئل عن الإيمان فتلا هذه الآية، فالبر بهذا المعنى يدخل في جميع الطاعات الباطنة والظاهرة وقد يكون قول النبي ﷺ: «البر حسن الخلق» شاملاً لهذه الخصال كلها، لأن حسن الخلق قد يراد به التخلق بأخلاق الشريعة، والتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه، كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]، وقالت أم المؤمنين عائشة: «كان خلقه القرآن، يعني أنه يتأدب بآدابه، فيفعل أوامره، ويتجنب نواهيه، فصار العمل بالقرآن له خلقاً كالجبلة والطبيعة لا يفارقه، وهذا أحسن الأخلاق وأشرفها وأجملها، وقد قيل: إن الدين كله خلق»(٢٧).

والخلاصة أن النظام الأخلاقي في الإسلام شامل لكل جوانب هذا الدين: عقيدة وعبادة وشريعة، فمن لم يتخلق بالأخلاق الحسنة لا يقبل الله منه الإيمان والدين حيث يقول رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»(٢٨).

---

(٢٥) راجع تفصيل ذلك في المصدر السابق، ص٤٢-٤٨.

(٢٦) راجع تفصيل ذلك في علم الأخلاق الإسلامية للدكتور مقداد يالجن، ص٥٥-٥٦.

(٢٧) راجع جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص٢٧.

(٢٨) صحيح ابن حبان (١٩٤)، ومجمع الزوائد عن أنس ١/ ٥٦، وقال رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٢٤٧٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث السادس
ارتباط الأخلاق بالعقيدة في الإسلام

من أهم الأسس التي يقوم عليها النظام الأخلاقي في الإسلام – إن لم يكن أهمها وأخطرها على الإطلاق – أساس الإيمان أو العقيدة أو كما سماه البعض "الأساس الاعتقادي"، وهذا الأساس يعتبر السند الذي يعتمد عليه في إقامة النظام الخلقي وفي عملية الالتزام به، فبدون هذا الأساس تفقد الأخلاق قدسيتها وعظم تأثيرها في الإنسان، ولا يمكن أن تطبق الأخلاق تطبيقاً عملياً دقيقاً في السر والعلن إلا إذا اتخذ هذا الأساس في قلوب البشر مكاناً وآمنوا به إيماناً صادقاً.

ذلك لأن العقيدة التي يقوم عليها الدين هي التي تجعل للأخلاق فعالية وإيجابية مؤثرة إذ أن الفكرة المجردة كما يقول الكسيس كاريل " لا تصبح عاملاً فعالاً إلا إذا تضمنت عنصراً دينياً، وهذا هو السبب في أن الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية إلى حد تستحيل معه المقارنة، ولذلك لا يتحمس الإنسان في الخضوع لقواعد السلوك القائم على المنطق، إلا إذا نظر إلى قوانين الحياة على أنها أوامر منزلة من الذات الإلهية"(٢٩).

ويرجع ذلك إلى القداسة التي تضفيها العقيدة على النظام الأخلاقي في الإسلام، وهذه القداسة تجعل لها في النفوس مهابة تتحكم في تصرفات الإنسان في السر والعلن، تولد لديه إحساساً يجعل من نفسه رقيباً داخلياً يدفعه إلى مراعاتها حتى ولو كان في مأمن من أعين الرقباء. وهذا ما لا يتوفر في القوانين الوضعية، فالتحايل عليها ميسور، والهرب من عقوباتها ممكن، وسلطانها على الظاهر لا على الباطن.

يذكر أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز أن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيتين وحدهما لإقامة مدينة فاضلة تحترم فيها الحقوق، وتؤدي الواجبات على وجهها الكامل، فإن الذي يؤدي واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية، لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون، ويرى أنه من الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضماناً للسلام والرخاء، وعوضاً عن التربية والتهذيب الديني والخلقي: ذلك أن العلم سلاح ذو حدين؛ يصلح للهدم والتدمير، كما يصلح

(٢٩) راجع علم الأخلاق الإسلامية، ص١٢٦، والأخلاق بين الفلسفة والإسلام، ص١٧٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للبناء والتعمير، ولا بد من حسن استخدامه من رقيب أخلاقي يوجهه لخير الإنسانية، وعمارة الأرض، لا إلى نشر الشر والفساد.

ذلك الرقيب هو العقيدة والإيمان، معنى ذلك أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين والعقيدة أو تدانيها في كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه. فليست كل مهمتها أنها المبعث القوي لتهذيب السلوك ، وتصحيح المعاملة، وتطبيق قواعد العدل ومقاومة الفوضى والفساد، بل إن لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً في كيان الجماعة، ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الحوار أو المصالح المشتركة[٣٠].

المبحث السابع
مظاهر الارتباط بين العقيدة والأخلاق في الإسلام

ويتمثل هذا الارتباط بين العقيدة والأخلاق في الإسلام في أن الأخلاق المحمودة دليل على قوة الإيمان حيث تنبعث منه وتندفع به فكلما زاد المؤمن قوة كلما ترقى في أخلاقه، وازداد في التزكية والتهذيب، وأن الأخلاق السيئة دليل على انعدام الإيمان أو على ضعفه، وعلى ذلك يمكننا أن نعرف مدى إيمان الشخص بمقدار ما يتحلى به من مكارم الأخلاق، ونعرف مدى ضعف إيمانه بمقدار ما يتصف به من ذميم الأخلاق.

فالإيمان قوة عاصمة عن الدنايا، دافعة إلى المكرمات، ومن ثم فإن الله سبحانه عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر، يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم، وما أكثر ما يقول في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا. ... ﴾ ثم يذكر – بعد – ما يكلفهم به ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ مثلاً.

بل إن كثيراً من أحاديث النبي ﷺ تبين أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتماً، وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه، بحسب تفاقم الشر أو تفاهته فالرجل الصفيق الوجه، المعوج السلوك الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد يقول ﷺ في وصف حاله: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»[٣١].

(٣٠) راجع الدين، ص٩٨-١٠١، دار القلم بالكويت.
(٣١) الترغيب والترهيب (٣٩٩٧)٣/ ٢٦٩، وقال رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء، يحكم الدين عليه حكماً قاسياً حيث يقول فيه رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»!![٣٢].

وعندما يعلم أتباعه الإعراض عن اللغو، ومجانبة الثرثرة والهذر - يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٣٣].

وهكذا يمضي رسول الله ﷺ في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها، معتمداً على صدق الإيمان وكماله، فلم يكن يكتفي في إجاباته على الأسئلة العارضة من أصحابه بالإبانة عن ارتباط الخلق بالإيمان الحق، وارتباطه بالعبادة الصحيحة، وجعله أساس الصلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة، فإن أمر الخلق أهم من ذلك، لا بد من إرشاد متصل، ونصائح متتابعة ليرسخ في الأفئدة والأفكار أن الإيمان والصلاح والأخلاق، عناصر متلازمة متماسكة، لا يستطيع أحد تمزيق عراها. حيث بين في كثير من الأحاديث أن الخلق الحسن ينمي الإيمان ويقويه، وأن الخلق السيئ ينقص الإيمان ويفسد العمل: فإذا نمت الرذائل في النفس، وفشا ضررها، وتفاقم خطرها، انسلخ المرء من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه، وأصبح ادعاؤه للإيمان زوراً، فما قيمة دين بلا خلق؟!! وما معنى الإفساد مع الإيمان؟!![٣٤].

المبحث الثامن

من أخلاق النبوة

لقد أدب الله تعالى حبيبه وصفيه ﷺ فكان كثير الضراعة والابتهال إلى الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق، فكان يقول في دعائه: «اللهم حسن خلقي وخلقي»[٣٥] ويقول: «اللهم جنبني منكرات الأخلاق»[٣٦]، فاستجاب الله دعاءه وأنزل عليه القرآن، فأدبه بكثير من التأديبات التي لا تحصر فكان خلقه القرآن، لقد أدبه الله

---

(٣٢) رواه البخاري (٥٦٧٠)، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ٥/ ٢٢٤٠.

(٣٣) متفق عليه، البخاري (٥٦٧٢) ٥/ ٢٢٤٠، ومسلم (٤٧) ١/ ٦٨.

(٣٤) راجع تفصيل ذلك في خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي، ص١٠-١٢، وأخلاقنا للدكتور محمد ربيع جوهري، ص٣٧-٤١.

(٣٥) قال العراقي على هامش كتاب الإحياء رواه أحمد من حديث ابن مسعود وحديث عائشة ولفظها «اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي» وإسنادها جيد، وفي مجمع الزوائد ٨/ ٢٠، وقال رجال أحمد رجال الصحيح.

(٣٦) رواه الحاكم في المستدرك (١٩٤٩) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعالى بالقرآن وأدب الخلق به عليه الصلاة والسلام ولذلك قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(٣٧) وفي كثير من الأحاديث النبوية رغب الخلق في محاسن الأخلاق.

وبعد أن أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

ولعل أحسن ما يفسر هذا الخلق العظيم ما ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت حينما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ: كان خلقه القرآن(٣٨).

وقد أورد ابن كثير عدة روايات عن الأئمة أحمد وأبي داود والنسائي وغيرهم وكلها تفيد أن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها حينما سئلت عن خلق النبي ﷺ قالت لسائلها: أتقرأ القرآن فأجاب بنعم فقالت كان خلقه القرآن(٣٩).

ويذكر الدكتور عبد الحليم محمود أن رسول الله ﷺ كان يمثل القرآن الكريم، وكان تطبيقاً للقرآن، لقد لبس القرآن ظاهراً وباطناً لقد "تقرآن" إذا أمكن هذا التعبير – أو بتعبير آخر – لقد كان قرآناً، حيث امتزج بالقرآن روحاً وقلباً وجسماً وامتزج القرآن به عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً فكان صلوات الله وسلامه عليه قرآناً يسير في الناس وكان القرآن روحاً ينتقل، وكان قلباً ينبض، وكان لساناً ينطق بالهداية والإرشاد(٤٠).

ويذهب الإمام الماوردي إلى أن رسول الله ﷺ كان مهيئاً لأشرف الأخلاق وأجمل الأفعال، ومؤهلاً لأعلى المنازل وأفضل الأعمال لأنها أصول تقود إلى ما ناسبها ووافقها، وتنفرد مما باينها وخالفها، ولا منزلة في العالم أعلى من النبوة التي هي سفارة بين الله تعالى وعباده، تبعث على مصالح الخلق وطاعة الخالق، فكان أفضل الخلق بها أخص، وأكملهم بشروطها أحق بها وأمس، ولم يكن في عصر الرسول وما دانى طرفيه من قاربه في فضله ولا داناه في كماله خلقاً وخُلُقاً وقولاً وفعلاً وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] فرسول الله ﷺ – وحده – هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة.. إنه – وحده – هو الذي يبلغ قمة الكمال الإنساني المجانس لنفخة الله في الكيان الإنساني، إنه – وحده – هو الذي يكافئ هذه

(٣٧) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٩١، مجمع الزوائد ٨/ ١٨٨، باب مكارم الأخلاق وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣٨) صحيح ابن خزيمة (١١٢٧) ٢/ ١٧١، ورواه أحمد (٢٤٦٤٥) ٦/ ٩١.

(٣٩) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٤٠٢، راجع سنن ابن ماجه، باب (١٤) كتاب الأحكام (١٣) حديث رقم ٢٣٣٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الحديث وفيصل عيسى الحلبي، راجع أيضاً سنن أبي داوود في باب صلاة الليل من كتاب الصلاة، حديث رقم ١٣٤٢، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٤٠) الرسول ﷺ: ص٦، ٧، نشر دار التراث العربي القاهرة.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرسالة الكونية العالمية، حتى لتتمثل في شخصه حية، تمشي على الأرض في إهاب إنسان إنه — وحده — الذي علم الله منه أنه أهل لهذا المقام. والله أعلم حيث يجعل رسالته — فأعلن أنه على خلق عظيم[٤١].

وقد أدبه ربه إذ قال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، ولا شك أن هذه الآية تحتوي على مجموعة من الأخلاق الكريمة، بل إن الإمام جعفر الصادق يذكر أن الله أمر نبيه بمكارم الأخلاق وأنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية[٤٢].

فقد تضمنت هذه الآية المكونة من ثلاث كلمات، قواعد الشريعة في المأمورات، والمنهيات، حتى لم يبق حسنة إلا أوضحتها، ولا فضيلة إلا شرحتها، ولا أكرومة إلا افتتحتها، وأخذت الكلمات الثلاث أقسام الإسلام الثلاثة:

فقوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ تولى بالبيان جانب اللين، ونفى الحرج في الأخذ والإعطاء والتكليف، وقوله: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ تناول جانب المأمورات والمنهيات، وإنهما ما عرف حكمه، واستقر في الشريعة موضعه، واتفقت القلوب على علمه، وقوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ تناول جانب الصفح بالصبر الذي به يتأتى للعبد كل مراد في نفسه وغيره، ولو شرحنا ذلك على التفصيل كما قال ابن العربي لكان أسفاراً[٤٣].

وروى البخاري عن عبد الله بن الزبير أنه قال: ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس وروى سفيان بن عيينة عن الشعبي أنه قال: إن جبريل نزل على النبي ﷺ بهذه الآية فقال له النبي ﷺ: «ما هذا؟» فقال: لا أدري حتى أسأل العالم وفي رواية (لا أدري حتى أسأل ربي) فذهب فمكث ساعة ثم رجع فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك.

وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى في قوله:

مكارم الأخلاق في ثلاثة ... من كملت فيه فذلك الفتى[٤٤]
إعطاء من يحرمه ووصل من ... يقطعه والعفو عمن اعتدى

وإذا كان العلماء قد حاولوا باجتهاداتهم أن يتصوروا وصف الحق سبحانه لرسوله الكريم بأنه على خلق عظيم، فإن محاولاتهم ستبقى دون ما يريده الله العظيم

---

(٤١) سيد قطب: في ظلال القرآن المجلد السادس، ج٢٩، ص٣٦٥٧، دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٩٨٢م.
(٤٢) تفسير الفخر الرازي، ج١٥، ص٩٦، تفسير النيسابوري على هامش الطبري، ج٩، ص٩٩.
(٤٣) أحكام القرآن، ج٢، ص٨٢٦، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل ببيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
(٤٤) راجع تفسير ابن كثير، ج٢، ص٢٧٧، تفسير القرطبي، ج٧، ص٣٤٥.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

لرسوله ذي الخلق العظيم، ولن يصلوا ببشريتهم إلى حقيقة هذا الوصف وتصور ذلك الخلق وتلك العظمة.

ويذكر الأستاذ سيد قطب أن أرجاء الوجود تتجاوب بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم، ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود! ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور، عن وصف قيمة هذه الكلمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، في ميزان الله، لعبد الله يقول له فيها: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[القلم: ٤] ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين!(٤٥).

ويذكر أن دلالة هذه الكلمة العظيمة، على عظمة سيدنا محمد ﷺ تبرز من نواحٍ شتى:

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، ويسجلها ضمير الكون وتثبت في كيانه، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله، وتبرز من جانب آخر، من جانب إطاقة سيدنا محمد ﷺ لتلقيها، وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة، ما هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته، ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة التي يدرك هو منها ما لا يدركه أحد من العالمين(٤٦).

ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر، أعظم بصدورها عن العلي الكبير، وأعظم بتلقي سيدنا محمد ﷺ لما هو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتاً راسخاً مطمئناً لا يتكبر على العباد ولا ينتفخ ولا يتعاظم وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير!(٤٧).

ونكتفي هنا بعرض موجز لأخلاقه ﷺ ويتمثل فيما يلي:

أولاً: كمال الخَلْق

وقد تحقق كمال خلق المصطفى ﷺ بعد اعتدال صورته من خلال أربعة أوصاف:

الوصف الأول: يتمثل في أنه ﷺ كان يتمتع بسكينة تبعث على الهيبة والتعظيم، وتدعو إلى التقديم والتسليم، فكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين أتوه، مع ارتياضهم بصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة،

(٤٥) في ظلال القرآن، نج٢٩، ص٣٦٥٦.
(٤٦) المصدر السابق.
(٤٧) المصدر السابق.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فكان في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم، وإن لم يتعاظم بأهبة، ولم يتطاول بسطوة، بل كان بالتواضع موصوفاً، وبالوطاء معروفاً.

الوصف الثاني: كان ﷺ يتسم بطلاقة موجبة للإخلاص، ومحبة باعثة على المصافاة والمودة، فكان عليه الصلاة والسلام محبوباً، واستحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله مصاحب، ولم يتباعد منه مقارب، وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب البارد على الظمأ(٤٨).

الوصف الثالث: كان ﷺ يتميز بحسن القبول الجالب لمايلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته، وتذعن بموافقته، وكان قبول منظره مستولياً على القلوب، ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم يفر منه معاند، ولا استوحش منه مباعد، إلا من ساقه الحسد إلى شقوته، وقاده الحرمان إلى مخالفته.

الوصف الرابع: ميل النفوس إلى متابعته، وانقيادها لموافقته وثباته على شدائده ومصابرته، فما شذ عنه معها من أخلص، ولا ند عنه فيها من تخصص.

وهذه الأوصاف الأربعة كما يقول الماوردي من دواعي السعادة وقوانين الرسالة، وقد تكاملت فيه فكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها(٤٩).

وقد أطلق القاضي عياض على هذه الأوصاف أنها خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جبلة الخلقة، وأشار إلى أن المصطفى ﷺ حائز لجميعها، ومحيط بشتات محاسنها، وجاءت بها الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع، مثل ما ورد في صورته وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها، إلى ما ورد عن نظافة جسمه، وطيب ريحه وعرقه، ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد، حيث خصها الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره، ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر(٥٠).

ثانياً: كمال الخُلُق

تحدث القاضي عياض عن الصفات التي بلغ بها ﷺ كمال الخلق فذكر أنها هي الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة، والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على

(٤٨) أعلام النبوة، ص١٨٥.

(٤٩) أعلام النبوة، ص١٥٨-١٥٩.

(٥٠) راجع تفاصيل هذه الخصال والنصوص الواردة في الشفا، ج١، ص٨١-٩١، ص١٩٨-٢١٤، وقد أورد عدداً من الآثار الصحيحة والمشهورة التي تعرضت لهذه الأوصاف، ولعل أشهرها حديث أم معبد وحديث هند بن أبي هالة وغيرهما، راجع أيضاً دلائل النبوة للبيهقي، ج١، ص٢١٤-٣٠٧، البداية والنهاية لابن كثير، ج٦، ص١-٣٥، شرح الشفا، ج١، ص٣٥١-٣٥٧، نسيم الرياض، ج١، ص٣٢٤-٣٦٦.

الجديد
NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تفضيل صاحبها، وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما فوقه، وأثنى الشرع على جميعها، وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها»(٥١).

الخصلة الأولى: رجاحة عقله، وصحة وهمه، وصدق فراسته، وقد دل على وفور ذلك فيه – كما يقول الماوردي صحة رأيه وصواب تدبيره، وحسن تألفه، وأنه ما استغفل في مكيدة، ولا استعجز في شديدة، بل كان يلحظ الإعجاز في المبادئ فيكشف عيوبها، ويحل خطوبها، وهذا لا ينتظم إلا بأصدق وهم وأوضح حزم(٥٢).

ففيما يتعلق بوفور عقله، وذكاء لبه، وقوة حواسه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله، فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبير أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة، مع عجيب شمائله وبديع سيره، فضلاً عما فاضه من العلم، وقرره الشرع دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه.

ومن تأمل كل ذلك – كما يقول القاضي عياض – لم يمتر في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه(٥٣).

الخصلة الثانية: شجاعته وثباته عند الشدائد وصبره على البأساء

تحدث الماوردي في هذا عن ثباته في الشدائد وهو مطلوب، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، وبين أن نفسه كانت في اختلاف الأحوال ساكنة، لا يخور في شديدة، ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة، فقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي، وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي(٥٤).

وذكر القاضي عياض أن رسول الله ﷺ كان من الشجاعة والنجدة بالمكان الذي لا يجهل، فقد حضر المواقف الصعبة، وفر الكمأة والأبطال عنه غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما من شجاعة إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه(٥٥).

---

(٥١) الشفا، ج١، ص١٢٥-١٢٦، شرح الشفا للملا على القاري، ج١، ص٢٢١-٢٢٢.
(٥٢) أعلام النبوة، ص١٥٩.
(٥٣) راجع تفاصيل ذلك وأدلته في كتاب الشفا، ج١، ص٩١-٩٥، شرح الشفا، ج١، ص١٦٦-١٧٥، نسيم الرياض، ج، ص٣٦٧-٣٦٩.
(٥٤) راجع تفاصيل ذلك في أعلام النبوة، ص١٥٩.
(٥٥) راجع كتاب الشفا، ج١، ص١٤٧-١٤٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول الإمام علي ﷺ: "كنا إذا حمي الوطيس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً"(٥٦).

وحينما سئل البراء بن عازب أفررتم يوم حنين عن رسول الله ﷺ قال: نعم، لكن رسول الله ﷺ لم يفر، ثم قال: لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها والنبي ﷺ يقول: «أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب»، قيل: فيما رئي يومئذ أحد كان أشد منه(٥٧).

وتحدث القاضي عياض عن هاتين الخصلتين بأن جمعهما تحت الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره، ثم ذكر أن بين هذه الألقاب فرقاً فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات، والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات، ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة، وأما العفو فهو ترك المؤاخذة(٥٨).

ثم بين أنه لا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله، وأن كل حليم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً(٥٩).

روي عن سيدنا عمر ﷺ أنه قال في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦] ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وطئ ظهرك، وأدمي وجهك، وكسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلا خيراً، فقلت: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون(٦٠).

والحديث عن حلمه ﷺ وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن يؤتى عليه، وحسبنا ما ورد في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ المتواتر مبلغ اليقين: من

---

(٥٦) أخرجه البخاري (٦٥٤) عن علي ﷺ ١/ ٨٦، مجمع الزوائد، ٩/ ١٢، باب في شجاعته ﷺ، ومصنف ابن أبي شيبة (٦٤٥) ١/ ٨٦، عن علي بن أبي طالب أيضاً.

(٥٧) هذا الحديث رواه البخاري في الجهاد، (٢٧٠٩) ٣/ ١٠٥١، ورواه مسلم في المغازي (١٧٧٦) ٣/ ١٤٠٠، (راجع تفاصيل الكلام عن رواياته هذا الحديث في نسيم الرياض، ج٢، ص٤٤-٤٩).

(٥٨) راجع الشفا، ج١، ص١٣٥-١٣٦. شرح الشفا، ج١، ص٢٣٤-٢٣٧، نسيم الرياض، ج٢، ص٨-١٤.

(٥٩) راجع الشفا، ج١، ص١٣٦.

(٦٠) هذا القول فيه ما فيه من جماع الفضل ودرجات الإحسان، وحسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر ﷺ عن السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم، ودعا وشفع لهم، فقال: اغفر، أواهد، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: لقومي، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: فإنهم لا يعلمون. راجع الشفا، ج١، ص١٣٧-١٣٨.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صبره على مقاساة قريش، وأذى الجاهلية، ومصابرته الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم، وحكمه فيهم، وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم، وإبادة خضرائهم، فما زاد على أن عفا وصفح، وقال: ما تقولون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء»(٦١).

الخصلة الثالثة: تواضعه في رفعته

تحدث الماوردي عن تواضع رسول الله ﷺ للناس وهم أتباع، وخفض جناحه لهم وهو مطاع، فذكر أنه كان يمشي في الأسواق، ويجلس على التراب، ويمتزج بأصحابه وجلسائه، فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه فصار بالتواضع متميزاً، وبالتذلل متعززاً، ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته فقال: «خفض عليك أو هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة»(٦٢)، وهذا من شرف أخلاقه، وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها، وجبلة طبع بها، لم تندر فتعد، ولم تحصر فتحد(٦٣).

وتحدث القاضي عياض عن هذه الخصلة فقال: "وأما تواضعه ﷺ، على علو منصبه، ورفعة رتبه – فكان أشد الناس تواضعاً، وأقلهم كبراً"(٦٤).

وحسبك أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً فقيل له عند ذلك: إن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق الأرض عنه، وأول شافع(٦٥).

وكان ﷺ يركب الحمار، ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حيثما انتهى به المجلس جلس.

وكان في بيته في مهنة أهله، يحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويقم البيت، ويعقل البعير، ويعلف ناضحه، ويأكل مع الخادم، ويعجن معها، ويحمل بضاعته من السوق(٦٦). وحينما دخل مكة ظافراً منتصراً كان في قمة تواضعه لربه شكراً

---

(٦١) راجع الشفا، ج١، ص١٤٢، سيرة ابن هشام، ج٤، ص٤١٢، دلائل النبوة للبيهقي، ج٥، ص٥٧-٥٨، البداية والنهاية لابن كثير، ج٤، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٦٢) راجع دلائل النبوة للبيهقي، ج٥، ص٦٩، أعلام النبوة، ص١٦٢، الشفا، ج١، ص١٧١، الشفا، ج١، ص٢٩٣-٢٩٤، نسيم الرياض، ج٢، ص١٠٤، الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي، ج٢، ص٤٣٧.

(٦٣) أعلام النبوة، ص١٦٢.

(٦٤) وفي نسخة وأعدمهم كبراً، وفي نسخة بالجمع بينهما وهو أفعل تفضيل من العدم وهذا أنسب بمقامه ﷺ لأن اللائق به عدم الكبر لا قلته وهناك من فسر قلة الكبر بنفي الكبر (راجع تفاصيل ذلك في نسيم الرياض، ج٢، ص٩٣-٩٤).

(٦٥) الشفا، ج١، ص١٦٨، شرح الشفا، ج١، ص٢٨٧-٢٨٨، نسيم الرياض، ج٢، ص٩٤-٩٥.

(٦٦) راجع الأحاديث الواردة في ذلك في الشفا، ج١، ص١٦٨-١٧٢، شرح الشفا، ج١، ص٢٨٧٨-٢٩٤، نسيم الرياض، ج٢، ص٩٣-١٠٦، الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي، ج٢، ص٤٣٤-٤٣٩.

الجديد و طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على ما أنعم به عليه من فتح ونصر، حيث طأطأ رأسه على رحله حتى كـاد عثنونـه أن يصيب واسطة الرحل[٦٧].

الخصلة الرابعة: حفظه للعهد، ووفاؤه بالوعد

يذكر الماوردي أن رسول الله ﷺ ما نقص لمحافظ عهداً، ولا أخلف لمراقب وعداً، يرى الغدر من كبائر الذنوب، والإخلاف من مساوئ الشيم فيلتزم فيهما الأغلظ، ويرتكب فيهما الأصعب حفظاً لعهده، ووفاء بوعده، حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه، فيجعل الله له مخرجاً، كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير، وكفعل قريش بصلح الحديبية فجعل الله تعالى له في نكثهم الخيرة[٦٨].

(٦٧) راجع دلائل النبوة للبيهقي، ج٥، ص٦٨، البداية والنهاية، ج٤، ص٢٩٢.
(٦٨) أعلام النبوة ص١٦٣، راجع الشفا، ج١، ص١٦٤-١٦٧. ولمزيد من التفصيل راجع بحثنا: خلق النبي العظيم من دلائل نبوته وبراهين رسالته، منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا – جامعة الأزهر، العدد الثاني ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوحدة الثالثة

تحديات الثقافة الإسلامية

الفصل الأول: الغزو الفكري
الفصل الثاني: العلمانية
الفصل الثالث: العولمة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول

الغزو الفكري

تمهيد : تعريف الغزو الفكري

المبحث الأول : من دوافع الغزو الفكري

المبحث الثاني : عوامل نجاح الغزو الفكري

المبحث الثالث: ميادين الغزو الفكري

المبحث الرابع : شبهات المستشرقين ومطاعنهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تمهيد
تعريف الغزو الفكري

بالرجوع إلى كتب اللغة يتبين لنا أن كلمة "الغزو" تدل على القصد والطلب والهجوم على الناس وقتالهم في عقر دارهم، وانتهابهم، وقهرهم، والتغلب عليهم ولم تكن كلمة "الغزو" تطلق في القديم إلا على الغزو العسكري من خلال الحروب والمعارك بين الجيوش في ميدان القتال حتى كان العصر الحديث وظهر مصطلح "الغزو الفكري" والمقصود به بشكل عام إغارة الأعداء على أمة من الأمم بأسلحة معينة، وأساليب مختلفة، لتدمير قواها الداخلية وعزائمها ومقوماتها، وانتهاب كل ما تملك، وبهذا يظهر ما بين المصطلح واللغة من صلة، حيث إن كلمة "الغزو" استعملت بمعنى الإغارة للاعتداء والنهب ولكن عن طريق الفكر وتدمير القوى المفكرة في الأمة المغزوة وما يصحب ذلك من تخريب وسيطرة(١).

أما إذا قصد به الغزو الذي قام به الغرب تجاه العالم الإسلامي في العصر الحديث فيعرف بـ"الوسائل غير العسكرية التي اتخذها العدو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط وسلوك"(٢).

ولا شك أن مصطلح "الغزو الفكري" تعبير دقيق بارع، يصور خطورة الآثار الفكرية التي قد يستهين بها كثير من الناس، لأنها تمضي بينهم في صمت ونعومة، مع أنها حرب ضروس لا تضع أوزارها حتى تترك ضحاياها بين أسير وقتيل أو مسيخ، كحرب السلاح أو هي أشد فتكاً(٣).

ولذلك فإن "الغزو الفكري" أخطر بكثير من "الغزو العسكري" ويتجلى ذلك فيما يلي:

أ- **الغزو العسكري بغيض إلى النفوس**؛ لأنه مرتبط بسفك الدماء وإزهاق الأرواح، ويهدف إلى القهر والسيطرة والغلبة على الشعوب المستعمرة بالإكراه والقوة المسلحة، ومن أجل ذلك فإنه يقابل بالكراهية الشديدة، ويلقى المقاومة المستمرة والمستميتة بكل أنواع الكفاح المسلح، أما الغزو الفكري فهو موجه لتصفية

---

(١) راجع مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية للدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، ص٩-١٠، مركز الكتاب للنشر - مصر.

(٢) واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب، ص١٨٢، دار الشروق، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) راجع الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام للدكتور عبد الستار سعيد، ص٦، دار الأنصار - القاهرة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العقول والأفهام لتكون تابعة للغازي، ويتسلل إليهم في صمت ونعومة، فيقبلون عليه عن طواعية ورضا وحب واقتناع، دون أن تظهر منهم مقاومة أو تمرد على الغزاة.

ب- الغزو العسكري قد يكلف كثيراً من الأنفس والأموال، وقد ينتهي أثره بعد أن تضع الحرب أوزارها، أما الغزو الفكري فإنه بالرغم من أنه قليل التكلفة إلا أن أثره أعمق وأشمل، ويمتد تأثيره إلى عشرات أو مئات السنين في كثير من الأحيان، حيث يتميز بالشمول والامتداد، فهو حرب دائمة دائبة، لا يحصرها ميدان، بل تمتد إلى شعوب الحياة الإنسانية جميعاً، وتسبق حروب السلاح وتواكبها، ثم تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته حتى يلين ويستكين، أو تنقض تماسكه النفسي حتى يذوب كيانه، فيقبل التلاشي والفناء في بوتقة أعدائه، أو يصبح امتداداً ذليلاً لهم، بل ربما تبلغ حداً من الإتقان يصل بها إلى أغوار النفس، فتقلب معاييرها ومفاهيمها، وتشكل لها أنماطاً جديدة في السلوك والأخلاق والأذواق إلى الدرجة التي تجعل المهزوم يفخر فيها بتبعيته، ويراها شرفاً خليقاً بالرضا والشكران.

ج- يتميز الغزو الفكري بالخداع والتمويه والتخدير، فإذا كان العدو في الغزو العسكري يعتمد على المواجهة في الميدان، وتكشف أسلحته عن نفسها سواء كانت بالسيوف أو القنابل، فإن العدو في الغزو الفكري يأتيك متخفياً من وراء حجاب، ويداهمك بدون شعور منك، فقد يأتيك في صورة مقال جذاب أو كتاب بغلاف براق أو برنامج إذاعي أو تلفزيوني أو فيلم أو مسلسل أو مسرحية.

حيث يستخدم الغزاة أسلحة تعتمد على الفكرة والكلمة والرأي والحيلة، والنظريات والشبهات وخلابة المنطق وبراعة العرض، وشدة الجدل، ولدادة الخصومة، وتحريف الكلم عن مواضعه، وغير ذلك مما يقوم مقام السيف والصاروخ في أيدي الجنود، والفارق بينهما هو نفس الفارق بين وسائل وأساليب الغزو الفكري قديماً وحديثاً[٤].

(٤) راجع الغزو الفكري والتيارات المعادية، ص٧-٨، واحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام للدكتور سعد الدين صالح، ص٤٢-٤٣، مكتبة الصحابة الشارقة، ط٧، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. ومواجهة الغزو الفكري ص٩.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول
من دوافع الغزو الفكري

هناك دوافع حملت الغرب على اللجوء للغزو الفكري وأسباب أدت إليها منها ما يلي:

أ. عداوة الغرب للإسلام

لم يعد خافياً على أحد مدى العداوة المستحكمة التي يكنها الغرب للإسلام، وقد حاول الغربيون أن يوهموا المسلمين بأن العداوة أو الصراع بينهما عداء سياسي لا ديني حتى لا يلتفت المسلمون حول دينهم، ويتحدوا في وجههم، وقد خدع البعض من المسلمين فاعتقدوا أن هذا العداء يرجع إلى أسباب سياسية واقتصادية.

وإذا سلمنا بذلك من الناحية الشكلية فإننا نرى أن جوهر الصراع ومحوره إنما هو الدين.

يذكر الدكتور أحمد أمين أن العالم النصراني على اختلاف أممه وشعوبه هو عدو قاس مناهض للشرق على العموم وللإسلام على الخصوص، فجميع الدول النصرانية متحدة معاً على دك الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، والروح الصليبية كامنة في صدور النصارى كمون النار في الرماد، وروح التعصب لم تنفك حية معتلجة في قلوبهم حتى اليوم كما كانت في قلب بطرس الناسك من قبل، فالنصرانية لم يزل التعصب مستقراً في عناصرها، متغلغلاً في أحشائها، متمشياً في كل عرق من عروقها.

وجميع هذه الشعوب النصرانية مجتمعة متفقة على عداء الإسلام، وروح هذا العداء متمثلة في جهد هذه الشعوب جهداً خفياً مستتراً لسحق الإسلام، ومما يقوم شاهداً على أن العداء ديني ما جاء في النشيد الإيطالي من قوله:

أماه صلي ولا تبكي... بل اضحكي... ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني؟... أنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً ومسروراً... لأبذل دمي في سحق الأمة اللعينة، ولأحارب الديانة الإسلامية... سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن... إن سألك أحد عن عدم حدادك علي... فأجيبيه: إنه مات في محاربة الإسلام(٥).

ومما يؤكد على أن العداء ديني أيضاً ما شاهدناه ولا نزال نشاهده من أحداث الصراع بين الغرب والشرق، حيث نجد روح القسوة والتشفي من المسلمين التي بدت واضحة في انتصارات الغربيين، فقد نكلوا بهم وشردوا كثيراً منهم، وحاربوهم

(٥) راجع كتابه "يوم الإسلام" ص١٠٩-١١١، مكتبة النهضة المصرية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في أعمالهم وأرزاقهم في كل ميدان، بينما لم يفعلوا ذلك بمن يعيش معهم في وطن واحد.

ويتضح هذا بصورة جلية فيما فعله الإنجليز في الهند مع جماعة الهندوس والمسلمين فبينما كانوا يعاملون الجماعة الأولى بشيء من اللين إذ بهم يسيئون إلى المسلمين ويقسون في معاملتهم ومحاربتهم في شتى المجالات(٦).

ب. عداوة الغرب للإسلام عميقة الجذور

وقد أشار محمد أسد – وهو من الأوروبيين الذين أسلموا – إلى أن موقف الأوروبي من الإسلام ليس موقف كره في غير مبالاة فحسب كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات، بل هو كره عميق الجذور، يكون في الأكثر على صدود من التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقلياً فحسب، ولكنه يصطبغ أيضاً بصبغة عاطفية قوية.

ويذكر أنه قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوسية، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ومبني على التفكير، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب، حتى إن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر، كما أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته(٧).

ج. العداوة ترجع إلى الحروب الصليبية

ويذكر محمد أسد أن هذا التحامل من المستشرقين على الإسلام غريزة موروثة وخاصية طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوروبيين، حيث أحدثت هذه الحروب أثراً من أعمق الآثار وأبقاها في نفسية الشعب الأوروبي، وأثارت حمية جاهلية عامة لا يمكن أن تقارن بشيء خبرته أوروبا من قبل ولا اتفق لها من بعد.

بل إن الصليبيين قطعوا الصلات التي كادت أن تقوم بين الإسلام والغرب من قبل بين هارون الرشيد وبين الإمبراطور شارلمان، ولم يكن ذلك لأنهم راموا الحرب، فإن حروباً كثيرة كانت قد نشبت بين الشعوب، ثم نشبت فيما بعد على مدى التاريخ الإنساني، وكم من عداوة انقلبت بعد ذلك إلى صداقة إلا أن الشر الذي بعثه

---

(٦) راجع دراسات الفكر الإسلامي الحديث للدكتور عبد المقصود عبد الغني، ص٩٥-٩٦.

(٧) راجع الإسلام على مفترق الطرق، ص٥٢-٥٣.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح، ولكنه كان قبل كل شيء وفي مقدمة كل شيء شراً ثقافياً.

لقد نشأ تسميم العقل الأوروبي عما شوهه قادة الأوروبيين من تعاليم الإسلام ومثله العليا أمام الجموع الهائلة في الغرب[٨]، وقد كان هذا التشويه الخطير من أخطر جنايات الكنيسة حيث قامت بدعايتها الكاذبة ضد الإسلام طوال الحروب الصليبية وبعدها، وتصويرها له بصورة الدين الوثني المتخلف المنحرف، مما عبأ النفس الأوروبية عامة بعقدة الكراهية العارمة، والمقت البالغ للإسلام والمسلمين، يتوارثونها كأنها من المسلمات البدهية بلا فهم ولا تمييز، ولا تزال هذه الروح سارية في أغوار النفس الأوروبية إلى يومنا هذا[٩].

ويرد محمد أسد على من يتعجب من استمرار هذا النفور القديم والذي انبعث من الدين بالرغم من فقدان الأوروبيين الشعور الديني في هذا العصر، فيذكر أنه من المشهور في علم النفس أن الإنسان قد يفقد جميع الاعتقادات الدينية التي تلقاها أثناء طفولته بينما تظل بعض الخرافات الخاصة – والتي كانت من قبل تدور حول تلك الاعتقادات المهجورة – في قوتها تحت كل تحليل عقلي في جميع أدوار ذلك الإنسان وهذه هي حال الأوروبيين مع الإسلام.

فعلى الرغم من أن الشعور الديني الذي كان السبب في النفور من الإسلام قد أخلى مكانه في هذه الأثناء للاستشراف على حياة أكثر مادية، فإن النفور القديم نفسه قد بقي عنصراً من الوعي الباطني في عقول الأوروبيين.

وينتهي محمد أسد إلى أن روح الحروب الصليبية – في شكل مصغر على كل حال – ما زال يتسكع فوق أوروبا، ولا تزال مدنيتها تقف من العالم الإسلامي موقفاً يحمل آثاراً واضحة لذلك الشبح المستميت في القتال[١٠].

وإذا كان العداء – كما رأينا – عداءاً دينياً في المقام الأول فإن الغرب المستعمر قد حرص منذ أول الأمر على القضاء على الإسلام وبخاصة، وأنه يعتبر الأساس الأول

---

(٨) راجع المصدر السابق، ص٥٦، راجع أيضاً التبشير والاستعمار في البلاد العربية: مصطفى الخالدي وعمر فروخ، ص٣٦.

(٩) ولعل هذا أحد الأسباب التي حالت بين أوروبا والإسلام، حتى بعد تمردها على الكنيسة، فارتدت إلى أصولها الوثنية، وأحيت تراث الرومان القائم على إلحادية مادية، فصارت أوروبا بذلك أعجب مركب حضاري، أخذ من الإسلام روحه الحضارية، ومن اليونان والرومان مثله وقيم حياته الجديدة، التي قامت على أنقاض مجتمع الكنيسة ودينها المهزوم. (راجع الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص٢٦-٢٧).

(١٠) راجع المصدر السابق، ص٦١.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في القومية الإسلامية، فكان لا بد من إزاحته من طريقهم فكان اللجوء إلى الغزو الفكري حتى يضمنوا سيطرته على المسلمين وتبعيتهم له في جميع الميادين.

د. فشل الغرب عسكرياً وتخوفه من الإسلام

لا شك أن من أهم الدوافع التي حملت الغرب على اللجوء للغزو الفكري هو ما باء به الصليبيون من فشل وإخفاق في حملاتهم الصليبية، حيث انتهت الحروب التي خاضوها في القرنين الخامس والسادس الهجريين بالهزيمة الساحقة، وحينما أسر لويس التاسع "ملك فرنسا" في المنصورة أخذ يتفكر فيما حل به وبقومه، وبعد أن فك أسره عاد يقول لقومه إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم، فهي مكمن القوة فيهم.

ووعى قومه نصيحته، فلما عادوا لغزو العالم الإسلامي مرة أخرى لم يكتفوا بالسلاح وحده، ولكنهم استصحبوا معهم تلك الوسيلة الخبيثة التي نطلق عليها اسم "الغزو الفكري"(١١).

يذكر المؤرخ النصراني "جوانفيل" الذي رافق لويس التاسع: أن خلوة لويس في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة؛ ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعوها إزاء المسلمين، وقد انتهى تفكيره إلى أن النعرة الدينية في الغرب لم تعد كافية لإثارة الحروب ضد الإسلام والتغلب على المسلمين، وأنه لم يعد في وسع الكنيسة وفرنسا وحدها مواجهة الإسلام، وأن هذا العبء لا بد أن تقوم به أوروبا كلها وتضييق الخناق عليه، وقام بوضع خيوط المؤامرة الجديدة والتي تقوم على الأسس التالية:

١- تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف ذات الغرض.

٢- تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره وضرورة دراسة أحوال المسلمين عن طريق المستشرقين.

٣- العمل على استخدام مسيحيي الشرق لتنفيذ سياسة الغرب.

(١١) راجع ذلك في واقعنا المعاصر، ص١٨٢-١٨٣.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ - العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الإسلامي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز لقواته الحربية، ولدعوته السياسية والدينية، وقد اقترح لويس لهذه القاعدة الأماكن الساحلية في لبنان وفلسطين.

وقد سار الأوربيون بالفعل في طريق تنفيذ وصية "لويس" حيث أعدوا جيوشاً من المستشرقين والمنصرين الذين قاموا بحركة تشويه للإسلام بهدف تشكيك المسلمين فيه، انطلاقاً من شعورهم تجاهه بالمرارة والكره العميق.

كما قاموا بإنشاء قاعدة نصرانية لهم في لبنان، ويهودية في فلسطين، بالإضافة إلى ما قاموا به من تمزيق وحدة العالم الإسلامي عن طريق إشاعة النعرات العصبية في العالم الإسلامي.

يذكر المستشرق "هانوتو" - وهو مستشار سياسي لوزارة المستعمرات الفرنسية في أواخر القرن التاسع عشر - أن أهداف الحروب الصليبية ترتكز قديماً في استرداد بيت المقدس من المسلمين، وينبغي أن ترتكز حديثاً في نقل المسلمين إلى الحضارة الأوروبية، ويرى أن أفضل طريق لتثبيت ولاية المستعمر الأوروبي على البلاد الإسلامية هو تشويه الدين الإسلامي، وتمجيد القيم الغربية والنظام السياسي والسلوك الفردي للشعوب الأوروبية(١٢). ومن أجل ذلك أخذ المستعمرون يوهمون المسلمين ويحاولون إقناعهم بأن الإسلام هو سبب تخلفهم وأن عليهم التخلص منه والابتعاد عنه إذا أرادوا اللحاق بركب التقدم والمدنية، فقد زعم "كرومر" مثلاً أن الإسلامي مناقض للحضارة ولا يصلح لغير البيئة البدوية التي نشأ فيها، وأن المسلم لا يرجى منه أن يساير الحضارة الحديثة إلا إذا ترك دينه، وخرج بذلك من ربقة التعصب والجمود.

وهو بهذا الافتراء على الإسلام أراد أن يلقي على الدين الإسلامي كل اللوم في مقاومة الاحتلال، وكأنه يعتذر عن إخفاقه في ترويض الحركة المناهضة للاستعمار.

ولا شيء غير التعصب الأعمى يسول لكرومر أن يرى هذا الرأي ويفتري ذلك الافتراء، فكان من اليسير عليه أن يعلم أن المسلمين لا يضيقون ذرعاً بالحضارة الحديثة وهم في القرن العشرين، لولا أنه مصاب بعسرين يصدانه عن ذلك النظر اليسير وهما - كما يقول العقاد - عسر التعصب، وعسر الاستعمار(١٣).

---

(١٢) راجع احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص٤٠-٤٢.
(١٣) راجع الإسلام والاستعمار ص٢٤٣، المجلد الثامن من المجموعة الكاملة لعباس العقاد.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

والحق أن المستعمرين كانوا يدركون قيمة الإسلام، ويعلمون أنه قادر على صنع الحضارة والتقدم مثلما صنع من قبل، وكان للمسلمين دور كبير في تأسيس الحضارة الغربية، لكنهم كانوا موقنين بأن الإسلام يقف حجر عثرة في طريق خططهم الاستعمارية حيث يذكر "براون" أن الخطر الحقيقي علينا كامن في نظام الإسلامي وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي(١٤).

الخوف من الإسلام: وكلام "براون" هذا يعكس مدى ما يشعر به الغربيون من خوف تجاه الإسلام ويصور مدى ما قاموا به من دراسات للإسلام واهتمامات بحضارته حتى يفهموا مصادر قوته، ويحددوا أسباب تماسكه ومعرفة أسباب الخطر الكامنة فيه.

فهم حينما يقرؤون التاريخ الإسلامي يتوقفون أمام الفتوحات الإسلامية مبهورين يتساءلون: كيف تمكن المسلمون من مواجهة الدولتين الأعظم في ذلك العصر "الفرس والروم" وقاموا بفتح بلادهم والممالك التي كانت خاضعة لهم، كيف امتدت هذه الفتوحات إلى شمال أفريقيا ومنها إلى الأندلس في غرب أوروبا ثم إلى بلاد السند والهند وما وراء النهر حتى حدود الصين، وكيف استظلت برايته حضارات وثقافات وأقبلت على الدخول فيه أمم وشعوب على اختلاف الأجناس والألوان، والأعجب من ذلك أن كل هذا قد تم في فترة وجيزة، وفي سرعة مذهلة تقل عن قرن من الزمان، وهو ما لم يحدث من قبل في تاريخ الأمم والحضارات حتى قال أحدهم: إن العرب فتحوا في ثمانين سنة أكثر مما فتحه الرومان في ثمانمائة سنة، وقال الآخر: إن العرب فتحوا نصف الدنيا في نصف قرن وقال ثالث: لقد تمكن الإسلام من أن ينتصر في جيل واحد في مائة معركة، وأن ينشئ دولة عظيمة في قرن واحد، وأن تبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم.

كذلك فإن الغربيين لا ينسون أنهم هزموا في الحروب الصليبية، ثم حاولوا إخراج المسلمين من الأندلس لكنهم قبل أن يخرجوا منها – بعد أن مكثوا فيها ثمانية قرون – كان العثمانيون قد فتحوا القسطنطينية "حصن المسيحية الشمالية المنيع الشامخ الذي استعصى من قبل على المسلمين الأوائل" واستولوا عليها بقيادة البطل الشاب محمد الفاتح والذي حول كنيسة آياصوفيا إلى مسجد جامع صلى فيه المسلمون، ثم قاموا بنشر الإسلام في بلاد البلقان وشرق أوروبا، وهددوا فيينا عاصمة النمسا أكثر

---

(١٤) راجع التبشير والاستعمار، ص١٨٤، للدكتورين مصطفى الخالدي وعمر فروخ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٩٥م.

الجديد و طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من مرة مثلما كان المسلمون في الأندلس قريبين من باريس التي كانت تغط في نوم عميق وتبيت في ظلام دامس في الوقت الذي كانت فيه قرطبة وطليطلة تضاءان بالمصابيح ليلاً. ومعنى هذا أنه في الوقت الذي بدأ فيه انحسار الإسلام من غرب أوروبا بدأ المد الإسلامي في شرق أوروبا.

وكذلك فإن الغربيين يقفون أمام ما يسمى بالمعجزة التاريخية التي لم تتكرر حيث انفرد الإسلام بها، وهي أن التتار بعد أن هزموا المسلمين في بادئ الأمر، ودمروا بغداد تحولوا إلى الإسلام، ودخلوا فيه فهذه أول مرة يدخل فيها المنتصر دين المنهزم، ولا يعني ذلك إلا أن الإسلام هو سبب قوة المسلمين وسر عزتهم وانتصاراتهم مثلما قال الفاروق "لقد أعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله".

ومن أجل ذلك كله فإن الغربيين يخافون من الإسلام، وأصبح هذا الخوف هاجساً مستقراً في أعماقهم بسبب الفتوحات الإسلامية في الماضي، وبسبب الأخطار المحتملة في المستقبل.

وهذا هو المستشرق الكندي المعاصر "ولفرد كانتول سميث" يقرر أن أوروبا لا تنسى الفزع الذي ظلت تزاوله عدة قرون من الفتح الإسلامي، وأن هذا الفزع لا يدانيه شيء في العصر الحديث.

ويقول المستشرق الأمريكي "روبرت بين": "إن لدنيا أسباباً قوية لدراسة العرب والتعرف على طريقتهم، فقد غزوا الدنيا من قبل، وقد يفعلونها ثانية! إن النار التي أشعلها محمد ما تزال تشتعل بقوة، وهناك ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء"(١٥).

ولكي يتجنب الغربيون خطر هذا الإسلام المخيف رأوا ضرورة سلخ المسلمين عن دينهم، وتحللهم من مبادئهم، وذلك بالغزو الفكري لعقولهم وأفكارهم حتى يتخلصوا من عقائد دينهم التي تدعوهم إلى الجهاد ومقاومة المعتدين، وتبعث في نفوسهم الحمية والأنفة من الخضوع للمستعمر.

ولقد لخص "جلادستون" – رئيس الوزراء البريطاني – كل ذلك في قولته المشهورة "ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق"(١٦).

---

(١٥) راجع مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب، ص٥٩٦-٥٩٧، دار الشروق – مصر، وواقعنا المعاصر، ص٢٨٤.

(١٦) راجع دراسات في الفكر الإسلامي الحديث، ص٩٦.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

محذوف

المبحث الثاني
عوامل نجاح الغزو الفكري

وإذا كانت هذه هي الدوافع القوية التي أدت إلى قيام الغرب ولجوئه إلى "الغزو الفكري" فإن هناك عوامل أساسية ساعدت على نجاح هذا الغزو وأدت إلى سرعة وسهولة انتشاره، ومن هذه العوامل نقتصر على ما يلي:

أ. الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي

بالرغم من أن الأوروبيين قد فشلوا في حروبهم الصليبية ضد المسلمين، وباءت حملاتهم بالفشل بالذريع، إلا أن اتصالهم بالمسلمين طوال قرنين من الزمان - من نهاية القرن الحادي عشر إلى آخر القرن الثالث عشر الميلادي - قد أتاح لهم أن يتعرفوا على ما لديهم من كنوز وثروات، وأن يطلعوا على حضارتهم وثقافتهم التي أسهمت في نهضتهم الحديثة، وأتاح لهم أيضاً أن يدركوا أثر الإسلام في وحدة المسلمين وفي قوتهم الذاتية، ومن ثم فإنهم عادوا إلى بلادهم وهم يفكرون في العودة للثأر والانتقام من المسلمين والقضاء على الإسلام، وراح هذا الاستعمار يبني النهضة الحديثة أولاً في بلاده كي يحقق تقدماً علمياً يتيح له بناء قوة عسكرية، ومضى في طريق النهضة والتقدم العلمي، وبناء جيش قوي مجهز بأحدث الأسلحة حتى إذا ما أحس بتقدمه وتفوقه في مجال القوة العسكرية عاد إلى الشرق لتحقيق أطماعه، والثأر من الإسلام والمسلمين.

وفي خلال قرنين ونصف أي منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تمكن الاستعمار الغربي المسيحي من السيطرة سيطرة تامة على المسلمين في وسط آسيا وشرقيها، واتخذ له نقطة ارتكاز رئيسة في أفريقيا، كما تمكن من نفوذه إلى قلب العالم الإسلامي، وبذلك طوق العالم الإسلامي من الشرق والغرب، وسلط ألاعيبه ودسائسه على بقية المجتمعات الإسلامية الأخرى بين هذين الطرفين، فوهنت هذه التجمعات وانحل عقدها، وسقط بعضها إثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربي، وما جاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى أجلها حتى أصبح العالم الإسلامي كله تحت نفوذ هذا المستعمر(١٧).

وهكذا وقع العالم الإسلامي فريسة للغزو النصراني الحاقد، ورغم محاولات الغزاة تصوير هذه الحروب على أنها حروب استعمارية بحتة تهدف إلى السيطرة الاقتصادية إلا أنها كانت حروباً دينية بالدرجة الأولى.

---

(١٧) راجع الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، ص١٥-١٦/ ٢٣-٢٤، مكتبة وهبة. ودراسات في الفكر الإسلامي الحديث للدكتور عبد المقصود عبد الغني، ص٩٣-٩٤، مكتبة الزهراء - مصر.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويدل على ذلك ما قاله "اللورد اللنبي قائد الجيوش النصرانية في الحرب العالمية الأولى حين دخل فلسطين سنة ١٩١٧": اليوم انتهت الحروب الصليبية، مما يعني أن استعمارهم لبلاد المسلمين امتداد لهذه الحروب التي سبق أن هزموا فيها وأن محركهم الأول لهذا الاستعمار إنما كان الثأر والانتقام من المسلمين، بل إن "لويدجورج" وزير الخارجية البريطاني أطلق على الحرب العالمية الأولى اسم "الحرب الصليبية الثانية" كما أن "الجنرال غورو" بعد أن تغلب على جنود "ميسلون" عند دمشق توجه فوراً إلى قبر صلاح الدين – الذي أذلهم في الحروب الصليبية – وركله بقدمه قائلاً: "ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين"(١٨).

ومعنى ذلك أن العداوة بين الاستعمار والإسلام – كما يقول العقاد – عداوة تاريخية جغرافية نفسية، وتلك هي أصعب العداوات وأعمقها وأعصاها على التوفيق والنسيان(١٩)، وقد تتلخص العداوة بينهما في سطرين:

فالاستعمار الأوروبي يطمع في القارتين الآسيوية والأفريقية وفي هاتين القارتين يسكن المسلمون بمئات الملايين... ولو كان هؤلاء قوة سياسية فقط لهان خطبهم على الاستعمار بجميع أنواعه ولكنهم قوة روحية تندفع كالسيل إذا اندفعت، وتستقر كالصخر إذا سكنت، وتفارقها قدرتها على الغلبة والسيادة حيناً، فلا تفارقها قدرتها على الصمود والثبات.

وشاء القدر للإسلام أن يكون حارس الإنسانية والحرية في وجه الاستعمار، فلم يكن للاستعمار منذ نشأته طريق إلى الشرق إلا من خلال بلاد إسلامية(٢٠).

ولذلك وصف الإسلام بأنه هو الجدار الوحيد ضد الاستعمار الأوروبي، بسبب حيويته البالغة، ودعوته إلى الجهاد، حيث نهض بالدور الأكبر في حشد جميع طاقات الأمة، حتى استطاعت اقتلاع الكيانات الاستيطانية الصليبية التي زرعها الغزاة الصليبيون في قلب وطننا العربي والإسلامي قرابة القرنين من الزمان.

ولقد تعلم الاستعمار من ذلك الحدث درساً نسيناه نحن المسلمين، فمنذ بدء الهجمة الاستعمارية الحديثة على بلاد المسلمين كانت عين كل دول الاستعمار على الإسلام تسعى لعزله، وتجريد الأمة منه كي لا تتسلح في مقاومة الغزوة الإمبريالية كما تسلحت به قديماً في صراعها ضد الصليبيين(٢١).

---

(١٨) راجع احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام للدكتور سعد الدين صالح، ص٢٩-٣٠.
(١٩) الإسلام والاستعمار، ص٣٤٩، المجلد الثامن من مجموعة العقاد.
(٢٠) راجع المصدر السابق، ص٣٤٧-٣٤٨.
(٢١) راجع الإسلام والمستقبل للدكتور محمد عمار، ص٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن أجل ذلك تعاون المستعمرون في مختلف البلاد المستعمرة مع المنصرين والمستشرقين حيث اتفقوا فيما بينهم على إخراج المسلمين من الإسلام، وإذا لم يتيسر ذلك فيكفي تمييع علاقاتهم به، واستخفافهم بأحكامه، وهجرهم لقرآنه، واهتمامهم بمظاهره وأشكاله، فعلى سبيل المثال يقول اللورد كرومر أول معتمد بريطاني في مصر: "إن مهمة الرجل الأبيض الذي وضعته العناية الإلهية على رأس هذه البلاد (يقصد مصر) هو تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن بحيث تصبح هي أساس العلاقات بين الناس، ولكن كان من الواجب – منعاً من إثارة الشكوك – ألا يعمل على تنصير المسلمين، وأن يرعى من منصبه الرسمي المظاهر الزائفة للدين الإسلامي كالاحتفالات الدينية وما شابه ذلك"!(٢٢).

ب. شدة الانبهار بحضارة المستعمر

بعد أن تبين لنا دور الاستعمار الأوروبي ومساهمته في نجاح الغزو الفكري يحق لنا أن نتساءل: هل ما حققه الاستعمار وما قام به كفيل بإحداث هذا التأثير العجيب في الأمة الإسلامية والذي وصل إلى فقدانها للمناعة، والقدرة على المقاومة، وهي الحالة التي عبر عنها المفكر الإسلامي مالك بن نبي بـ"قابلية الاستعمار" هل هي الهزيمة العسكرية أمام الغرب الظافر، وولع المغلوب بتقليد الغالب؟ إن هذا وحده لا يكفي لتفسير ما حدث خلال ذلك القرن من الزمان، الذي تغرب فيه العالم الإسلامي، ونسي أصوله كأنه لم يعايش الإسلام من قبل ثلاثة عشر قرناً متوالية بلا انقطاع.

إن الهزيمة العسكرية وحدها لا تكفي لتفسير هذا التحول الهائل، بل هذا الانهيار الهائل في الأمة صاحبة العقيدة، فقد هزم المسلمون في غزوة أحد، ولقنهم القرآن درساً بليغاً يحولون هذه الهزيمة إلى انتصارات مستمرة، وهزم المسلمون كذلك أمام التتار والصليبيين، فعلى الرغم مما فعله التتار من تدمير وتخريب إلا أنهم كانوا في نظر المسلمين مجموعة من الهمج المتبربرين، وعلى الرغم مما فعله الصليبيون من سفك الدماء وإزهاق الأرواح إلا أن المسلمين قد انتصروا عليهم وردوهم على أعقابهم مدحورين، والأهم من ذلك أنهم كانوا في نظرهم هم المشركين عباد الصليب، وكانوا يحتقرونهم احتقاراً شديداً من أجل شركهم وفساد أخلاقهم(٢٣).

والذي يربط بين ما فعله الاستعمار الأوروبي الحديث وبين ما قام به الصليبيون والتتار، ويظن أنه مشابه لهم في الوسائل والأساليب لا بد أن يقع في هذه الحيرة، وأن

---

(٢٢) مصر الحديثة، ج١، نقلاً عن واقعنا المعاصر لمحمد قطب، ص٢٠٢.

(٢٣) راجع تفصيل ذلك في واقعنا المعاصر، ص١٩٦-١٩٨، وفي الفكر والثقافة الإسلامية للدكتور عدنان زرزور، ص٢٦-٢٨.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكثر من هذا التساؤل، لكن الذي يدرك أن الهجمة الاستعمارية الحديثة تختلف تمام الاختلاف عن تلك التي رفعت أعلام الصليب في العصور الوسطى يذهب عنه العجب، فأولئك كانوا فرسان إقطاع جهلة ليس لديهم سوى العنف والدمار - كما يقول مؤرخنا أسامة بن منقذ -: "فلقد كانوا لعنهم الله بهائم ليست لديهم فضيلة سوى القتال؟!".

ولذلك عندما هزمنا جيوشهم لم يخلفوا وراءهم أثراً فكرياً يشكك في أمتنا في هويتها المتميزة عن الغزاة، فقد استيقظت أمتنا على خطر الغزوة الاستعمارية والتي بدأها بونابرت بحملته على مصر ١٧٩٨م، وتنبهت على وقع أقدام الجيوش التي جاءت إلينا هذه المرة مسلحة بحضارة حديثة منتصرة، وحققت إنجازات رائدة ورائعة في ساحات العلوم والفنون والآداب، واقتحمت هذه الجيوش بلادنا ونحن نعيش في حالة من الركود والتخلف لا يمكن أن تصمد في معرض المقارنة بينه وبين التقدم الأوروبي الحديث[٢٤].

فلم تكن أوروبا إذن في هذه الغزوة الجديدة مجرد قوة هوجاء، متهوسة كأسلافها، وإنما جاءت ومعها حضارة جديدة براقة ومؤثرة، وانساحت على امتداد الرقعة الإسلامية كلها تقريباً، ومهدت طريقها بغزو فكري واجتماعي غلاب، وأخذت مراكز الحكم والتوجيه.

وقد وافق ذلك كله جسداً منهكاً، ضعفت مناعته، فزادته العلة الوافدة ضعفاً وإنهاكاً، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا كله في حديثه الذي يقول فيه: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثر ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن» فقال قائل: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[٢٥]، وهذا الوهن الخطير كان من أكبر الأسباب التي مكنت للغزاة من بلاد الإسلام بعد انحلال الشخصية الإسلامية نوعاً ما، ثم استطاعوا بعد ذلك تبديل وجهتها ومسارها، وتنفيذ مخططهم الرهيب في اقتلاع هذا الدين من نفوس أتباعه، أو تفريغهم من مضمونه الصحيح[٢٦].

وقد برعت هذه الحضارة الغازية في أساليب الغزو الفكري وتأصيل المناهج الضالة وعرضها عرضاً مغرياً، واستخدام كل تجارتها العلمية وطرائقها الحضارية في

---

(٢٤) راجع الإسلام والمستقبل للدكتور محمد عمارة، ص٤٨-٤٩.
(٢٥) رواه أحمد (٢٢٤٥٠)، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، ورواه أبو داود (٤٢٩٧) ٤/ ١١.
(٢٦) راجع الغزو الفكري والتيارات، ص٥٩-٦١.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بهرجة ذلك وتدعيمه، حتى لتعدو وسائل الأمم والحضارات السابقة فنوناً ساذجة إذا قيست بما استخدمته – ولا تزال تستخدمه – هذه الحضارة الغازية من فنون المكر والخداع والتضليل، والتي تقف وراءها أجهزة مدربة عاتية لتأصيلها، وفلسفتها والتخطيط لها، وإعداد برامجها ومناهجها، ومتابعتها بالتنفيذ والرصد والتعديل والإحصاء والتحليل والمقارنة، حتى ليصدق عليهم تماماً ما وصف به الشاعر حافظ إبراهيم الاحتلال الإنجليزي بقوله:

لقد كان هذا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلماً منظماً

وهذا الغزو المنظم المدروس يستخدم القصة، والتمثيلية، والمسرح والسينما والإذاعات بأنواعها والكتب والمجلات، والصورة والمقالة حتى الطرائف والملح الشائعة لا يتأخر في استعمالها لكسب قضاياه، وتحقيق أهدافه، والوصول إلى ما يسمونه هم أنفسهم بعمليات (غسيل المخ) وزرع ذاكرة جديدة في رؤوس الأجيال، لتنشأ على ولاء فكري ونفسي للغرب ومثله وحضارته.

وكان من المنتظر أن يقف المسلمون في وجه هذا الزحف المخيف معتصمين بعقيدتهم مستمسكين بشريعتهم، مثلما وقفوا من قبل ضد التتار والصليبيين، لكنهم في هذه المرة انبهروا بما عند الغرب، ذلك الانبهار الذي يؤدي إلى الانهيار أمام القوة الغالبة وتسليم القيادة لها بلا تحفظ، والرضى بالتبعية الكاملة لها، بل الامتنان والاغتباط إذا قبلت القوة الظافرة أن تعتبرها من بين الأتباع!!، ولم يحدث ذلك إلا بالهزيمة الداخلية للمسلمين، الناجمة من التخلف العقدي، حيث فقدوا الروح الإيمانية التي جاهدوا بها من قبل حملات التتار والصليبيين، لذلك فإنهم لم يصمدوا طويلاً أمام هذا اللون من الغزو، وكان انهيارهم عنيفاً غير معهود من قبل، وانهارت معه الأمة وأسلمت نفسها للتيار.

يذكر الدكتور عبد الستار سعيد أن نتائج هذا الغزو الفكري الحديث كانت ضارية ومروعة، وإذا نجحت في تنشئة الأجيال على حب الغرب، والتسبيح بحمده، والفناء العميق في مناهجه وأساليبه "وطريقة عيشه" في الحياة كما يقول المؤرخ الإنجليزي "توينبي": وما كان لأوروبا أن تصل إلى معشار هذه النتائج، ولو ظلت ألف سنة تحمل السلاح، وتقذف بالجيوش، وتنتصر في الحرب.

وينتهي إلى أن ما وصلت إليه هذه الحروب الخبيثة كان أكبر وأشد مما فعله فرعون ببني إسرائيل، لأنها فتنت أجيالاً متتابعة من المسلمين فتنة عارمة، وتركتهم على الردة الصامتة، البالغة غاية الكفر حين دثروها لهم بثوبى زور، ودلسوها عليهم باسم التقدم والحضارة، ثم بلغت الغفلة غاية مداها حين قابل المسلمون ذلك بالإقبال، وكان خليقاً أن يستثير فيهم عزائم النزال والقتال، والتأبي والاستعصام[٢٧].

---

(٢٧) راجع المصدر السابق، ص٢٨-٣٠، وواقعنا المعاصر، ص١٩٩-٢٠١.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث

ميادين الغزو الفكري

قام المستعمرون بالغزو في ميادين كثيرة، ومجالات متنوعة نقتصر منها على ميدانين فقط وهما: ميدان التعليم، وميدان الثقافة.

أولاً: ميدان التعليم

لقد أدرك المستعمرون أثر التعليم في تكوين الشخصية وتشكيل فكرها وعاداتها وتقاليدها، وذلك لأن روح التعليم تعتبر ظلاً للعقيدة والفكر والنظرة إلى الحياة والكون هذا هو الذي يجعل لنظام التعليم في كل أمة شخصية مستقلة، وروحاً متميزة، ومن ثم فإنهم حاولوا أن يسيطروا على التعليم في البلاد الإسلامية ويخضعوه للنظام الغربي حتى تكون الروح المسيطرة عليه ظلاً لفكرهم وعقيدتهم وعاداتهم ونظرتهم إلى الحياة، ولم يكتفوا بتوجيه الشباب المسلم توجيهاً مغرضاً عن طريق المدارس والجامعات التبشيرية، واستعانوا بالتنصير الذي لجأ إلى الأساليب المباشرة في دعوة التلاميذ والطلاب إلى النصرانية، لكن المستعمرين عدلوا بعد ذلك عن أسلوبهم الصريح في التبشير إلى أسلوب آخر أعمق وأخبث يقوم على إضعاف التعليم الديني وتدعيم التعليم اللاديني (أو المدني)[٢٨].

فعلى سبيل المثال حينما تولى المستر "دانلوب" الكسيس الذي عينه اللورد كرومر مستشاراً لوزارة المعارف ترك الأزهر على ما هو عليه ولم يتعرض له مثلما فعل نابليون بحماقته التي استثارت المسلمين وإنما قام بضربه بأسلوب بطيء أكيد المفعول حيث فتح مدارس جديدة تعلم "العلوم الدنيوية" ولا تعلم الدين إلا تعليماً هامشياً هو في ذاته جزء من خطة إخراج المسلمين من الإسلام[٢٩].

وبذلك أوجد الاستعمار هذه الثنائية في التعليم – والتي لا تزال قائمة في كثير من البلاد الإسلامية – وقام المستعمرون بتدعيم التعليم المدني والإغداق عليه، في الوقت الذي قاموا بالتضييق على التعليم الديني والتنفير منه، ونجحت سياستهم في تحقيق أهدافهم من ذلك، حيث تم حصر أصحاب الثقافة الإسلامية في المساجد، ومنعهم من احتلال مراكز تتصل بتوجيه المجتمع، وتنفير الناس منهم عن طريق تخفيض مرتباتهم، مما يؤدي إلى أن يستشعروا الذلة والنقص، وتزدريهم الأعين وتنفر منهم

---

(٢٨) راجع المدخل إلى الثقافة الإسلامية للدكتور محمد رشاد سالم، ص٥٠-٥١، دار القلم بالكويت. ودراسات في الفكر الإسلامي الحديث للدكتور عبد المقصود عبد الغني، ص١٠٣-١٠٤.

(٢٩) راجع تفصيل ذلك في واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب، ص٢٠٣-٢١٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النفوس نتيجة لفقرهم، كما يؤدي في الوقت نفسه إلى انصراف الناس إلى ألوان التعليم التي تجر المغانم وتوصل للجاه، وهذه مؤامرة قديمة، حاك الاحتلال خيوطها منذ وضع يده على الأزهر، وهي ذات شقين: يستهدف أولهما عزل الأزهر عن الحياة، ويستهدف الآخر إخضاع برامجه لرقابة تضمن إفناء شخصيته بل وفرنجته، بحيث يصبح الدين تبعاً للحياة وذيلاً لها، يتبعها ويتشكل بها، بدل أن يقودها ويقومها"(٣٠).

أما التعليم المدني الذي توسعوا فيه بعد أن أخضعوه ورجاله لنظامهم الغربي، حيث سرت روح الغرب في جميع العلوم الأدبية والعلمية، وبثوا فيها كثيراً من أفكارهم التي تشوه الإسلام وتمجد الحضارة الغربية، مما أدى في كثير من الأحيان إلى صراع عقلي، وأفضى إلى زعزعة الثقة لدى كثير من الشباب المسلم في ماضيهم ودينهم وحضارتهم، فاستهانوا بأمتهم وتاريخهم، واعتزوا بكل ما هو غربي.

يذكر المستشرق النمساوي محمد أسد: "أن الغرب بصرف النظر عن عقليته المثقفة إلى درجة قصوى ذو استعداد مادي، وهو من أجل ذلك مناهض للدين في مدركاته وفي افتراضاته الأساسية، وكذلك نظام التربية الغربية على وجه العموم، وليست دراسة العلوم الأساسية، وكذلك نظام التربية الغربية على وجه العموم، وليست دراسة العلوم الحديثة التجريبية هي المضرة بالحقيقة الثقافية في الإسلام، وإنما المضر هو روح المدنية الغربية التي يقترب المسلم بها إلى تلك العلوم"(٣١).

أما مناهج الدين والتاريخ الإسلامي بالذات فقد قاموا بعرضها عرضاً منفراً مغرضاً وجعلوها على هامش المنهج الدراسي، مما يغرس في نفوس الأطفال والتلاميذ عامة عدم الاهتمام بهما، ويطبعهم على الاعتقاد بعدم جدواهما دراسياً، مما يرسب في نفوسهم الاستخفاف بالدين من حيث هو سلوك وعبادات، وبالتاريخ الإسلامي من حيث هو سجل لأمجاد الأمة الإسلامية والعربية!!

فقد صيغ التاريخ في قالب غربي مقسم إلى ثلاثة عصور كبرى: العصور القديمة، والعصور الوسطى، والعصور الحديثة، وكلها تبين أهمية الحضارة الأوروبية وتغفل الحضارة الإسلامية المميزة، كما تخفي هذه المناهج خطورة الاستعمار الأوروبي وخاصة في العالم الإسلامي، والعالم الجديد، وتظهر الأوروبيين بمظهر رسل الحضارة، وأهل الفكر والعلم، وأن الحضارة الأوروبية هي خلاصة الحضارات وأهمها، ولا تتقدم الأمم إلا باحتذائها وأخذها.

---

(٣٠) راجع المدخل إلى الثقافة الإسلامية، ص٥١-٥٣.
(٣١) راجع الإسلام على مفترق الطرق، ص٧٢، ودراسات في الفكر الإسلامي الحديث، ص١٠٤.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كما حشيت مقررات التاريخ بدسائس المستشرقين وسموم المنصرين، وكتبت بأسلوب شديد التأثير بالأساليب الغربية التي تفسر التاريخ تفسيراً مادياً أو فلسفياً خاصاً أو اقتصادياً، وكتب التاريخ الإسلامي على شكل سلسلة عنيفة من الصراعات والدسائس والفتن، وأغفلت الدعوة الإسلامية تماماً، ودور المسلمين في الرقي البشري وما قدمته الحضارة الإسلامية في انتشال الأمم من وهدة الجهل والانحطاط والجاهلية(٣٢).

والخطير أنهم في نفس الوقت كانوا يقومون بإحياء النعرات الإقليمية والجاهلية، وتسريبها إلى مناهج الدراسة، وعرضها من زواياها البراقة التي تغري باعتناقها والاعتزاز بها والاهتمام بمعرفتها، كما حدث بالنسبة لتاريخ الفراعنة في مصر، والآشوريين والبابليين في العراق والفينيقيين في الشام.

وأخطر من هذا أن الاحتلال كان يقوم بنصب مثل عليا جديدة أمام أجيال المتعلمين، فيعرض لهم تاريخ أوروبا، وحياة أبطالها، وعلمائها، ومذاهبها الفلسفية والاجتماعية ونظرياتها العلمية، كل ذلك يعرض بطريقة لامعة جذابة ليتم صرف المسلمين عن دينهم بأحد الطريقين:

(أ) طريق الاعتزاز بما قبل الإسلام، وفي هذا فرقتهم وتباعدهم!

(ب) أو طريق الفناء في الحضارة الغازية، وفي هذا محوهم وردتهم!

وكلاهما شر محض، واستبدال للوجهة الإسلامية، في صمت قاتل أو في جلبة براقة، وأسلحة خفيفة لا تفيق فيها الضحية إلا بعد فوات الأوان(٣٣).

يذكر محمد أسد أن الأوروبيين قد عرضوا التاريخ عرضاً فيه هدف خفي وهو أن يدلل على أن الشعوب الغربية ومدنيتها أرقى من كل شيء جاء أو يمكن أن يجيء إلى هذا العالم، ويجعل القارئ يستسلم للتوهم بأن عظمة ما بلغ إليه الأوروبيون في النواحي الاجتماعية والعقلية لا يمكن أن يقاس بها شيء مما حدث في العالم أجمع.

ولا شك أن تدريس التاريخ على هذا النمط يؤدي إلى شعور الشعوب الإسلامية وغير الأوروبية بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصة وبماضيهم التاريخي الخاص

---

(٣٢) راجع تفصيل ذلك في واقعنا المعاصر، ص ٢١٠-٢١٥، واحذروا الأساليب الحديثة، ص ٢٠٠-٢٠٥، وحاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة للدكتور جميل المصري، ص ١٩٧-١٩٨، مكتبة العبيكان.

(٣٣) راجع الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٧٠-٧١.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبالفرص السانحة لهم في المستقبل، وهكذا يتربون تربية منظمة على احتقار ماضيهم ومستقبلهم اللهم إذا كان مستقبلاً مستسلماً للمثل العليا الغربية(٣٤).

ولعل من أهم العناصر التي أدت إلى نجاح سياسة الاستعمار الغربي التعليمية نظام الابتعاث إلى المعاهد العلمية في الغرب، فقد اختار الاستعمار المبتعثين من بين أفضل وأنجب الطلاب والخريجين، وأحاطهم برعاية خاصة وبتوجيه قوي، وكان نتيجة ذلك أن أكثر هؤلاء المبتعثين يعودون إلى بلادهم وقد تأثروا تأثراً بالغاً بالحضارة الغربية في أخلاقهم وأفكارهم وعاداتهم، ثم يتولى هؤلاء المناصب الهامة في بلادهم، فيقبلون من خلالها على توجيه إخوانهم ومواطنيهم توجيهاً غربياً، فيحققون بذلك – عن عمد أو بلا وعي – أهداف الغزو الفكري الغربي(٣٥).

وهكذا كان للتعليم على النظام الغربي دور كبير وأثر خطير في تحقيق الغزو الفكري، وإعداد قادة التغريب في العالم الإسلامي، حيث انبهروا بكل ما في الفكر الغربي من قيم، وتبنوا الدعوة إلى تقليد الحضارة الغربية بكل ما تنطوي عليه.

ثانياً: ميدان الثقافة

لقد كان المستعمرون الغزاة يهدفون من وراء غزوهم الفكري للمسلمين إلى تحقيق هدفين أساسيين:

الهدف الأول: إنشاء جيل متجانس لهم في ثقافتهم ليسهل عليهم الاتصال به والتفاهم معه.

الهدف الثاني (وهو أخطر الهدفين): أن تخلو الأجيال المقبلة من الدين ومن الثقافة الإسلامية، ومن الحمية الدينية(٣٦).

ومن أجل تحقيق هذين الهدفين ركزوا غزوهم الفكري في ميدان الثقافة بجانب ما يقومون به من غزو في ميدان التعليم – الذي سبق الحديث عنه – والمقصود بميدان الثقافة: كل ما يتعلق بالفكر الغربي، وفلسفة حياته، وأنماط سلوكه، وعاداته وتقاليده الخاصة، التي تغاير في جوهرها الكلي أنماط الحياة الإسلامية.

ولا شك أن هذا الميدان يزيد على ميدان التعليم حيث يمتد مع مجالات الحياة المختلفة، وفي هذا المجال العريض والواسع، انطلق الغربيون يغزون المسلمين غزواً

---

(٣٤) راجع الإسلام في مفترق الطرق ص٧٦.

(٣٥) راجع المدخل إلى الثقافة الإسلامية، ص٥٤، والغزو الفكري والتيارات، ص٧٣-٧٤.

(٣٦) لا شك أن الغزاة قد نجحوا إلى حد كبير في تحقيق الهدف الأول، لكنهم لم يتمكنوا بفضل الله من تحقيق الهدف الثاني، بدليل ما نراه من مظاهر الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي والأمة الإسلامية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

مركزاً، حتى يحققوا ما يهدفون إليه من صرف المسلمين عن دينهم صرفاً تاماً، وقد تعددت أساليب هذا الغزو الثقافي وتنوعت ونقتصر منها على ما يلي:

١- قيام الغزاة بطبع ونشر سيل من الكتب والمطبوعات المتنوعة من المقالات والبحوث التي تمجد أوروبا، وتصف حضارتها وتطورها، وكيف وصلت إلى هذا كله عبر الصراع مع الكنيسة ورجال الدين، وعزلهم عن الحياة، والدعوة - تصريحاً أو تلميحاً - إلى سحب هذا المعنى على كل دين، باعتباره طوراً متخلفاً من أطوار الحياة أدى دوره في القرون الوسطى، ولا يصلح لمجاراة العصر الحاضر بتقدمه العلمي إلى آخر ما يزعمون.

لكن هذه المطبوعات لن يتحقق لها الانتشار إلا بعد أن يتم الترويج لها والكتابة عنها في وسائل الإعلام، ولم يكن هناك أجدى من الصحافة في هذا الوقت، وكانت الصحافة من أخطر الأدوات العصرية التي اعتمدوا عليها باعتبارها أكثر شيوعاً وأبعد تأثيراً، سواء كانت محلية أو مستوردة مجلوبة من وراء البحار والحدود، تحمل للمسلمين قيماً جديدة، وتحفل بضروب من الأفكار المخربة، وأحاديث الجنس الفاضحة، والصور العارية، والقصص البذيئة، والمقالات والبحوث التي تتناول كثيراً من المقدسات الدينية بالنقض والتجريح في غير ما حرج[٣٧].

وإذا كانت الكتابة بصفة عامة زاد المثقفين، فإن الصحافة زاد شامل، يشمل المثقفين وأنصاف المثقفين، كما يشمل العامة حتى الذين لا يقرؤون منهم حيث كانوا يتحلقون حول من يقرأ لهم الصحيفة في أعماق الريف بمصر.

ففي مصر بالذات قامت الصحافة بدور خطير لعله أخطر الأدوار، إذ كانت مصر في نظر الغزاة هي مركز التوجيه الروحي والثقافي؛ بسبب موقعها الجغرافي ومكانتها التاريخية، وبسبب وجود الأزهر فيها، فإذا أمكن إفسادها من الناحية الإسلامية كان ذلك عوناً كبيراً للذين يخططون لإفساد العالم الإسلامي كله، وليس من قبيل الصدف أن تنشأ الصحافة في مصر - قلب العالم الإسلامي وبلد الأزهر - على يد الموارنة النصارى:

فدار الأهرام على يد آل تقلا، ودار الهلال على يد آل زيدان، ودار المقطم على يد آل صروف وقد لقي القائمون على هذه الدور الحماية الكاملة على يد المستعمرين حتى ذاع صيتها وانتشرت، وقامت بدور كبير في تشويه وإفساد القيم الإسلامية[٣٨].

---

(٣٧) راجع الغزو الفكري والتيارات المعادية، ص٦١، ٨٣-٨٤.
(٣٨) راجع تفاصيل ذلك في واقعنا المعاصر، ص٢٢٠-٢٣٤.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وليس معنى ذلك أن كل دور الصحافة في فترة الاحتلال البريطاني في مصر كانت عميلة للاستعمار الغربي، وإنما كانت هناك صحف يطلق عليها الصحافة الوطنية الإسلامية مثل جريدة (اللواء)، وجريدة (المؤيد)، وجريدة (العروة الوثقى)، وقد حاولت هذه الصحف أن تقاوم أثر الصحف المأجورة، لكن الاستعمار قام بمصادرتها واضطهاد كتابها وأصحابها(٣٩).

وليس من شك في أن الصحافة وأمثالها أسلحة عظيمة في نهضات الأمم وتطورها في العصر الحاضر، ولكنها في ظل الاحتلال وعلى يد تلاميذه تحولت إلى أسلحة فاسدة، مرتدة إلى صدور أمتنا اجتماعياً وفكرياً ودينياً.

فقد لعبت الصحافة دوراً كبيراً وخطيراً في إفساد العقيدة وتدمير الأخلاق، وتزوير التاريخ، وعلى سبيل المثال: قد أصدرت "دار الهلال" عدداً كبيراً من المجلات التي أثرت تأثيراً كبيراً في المصريين والعرب، ويكفي أن نتذكر الدور الذي قام به مؤسس تلك الدار "جورجي زيدان" من تشويه لتاريخ الإسلام وطعن فيه، وذلك في "روايات تاريخ الإسلام"، حيث قدم فيها جوانب من التاريخ الإسلامي معروضة بأسلوب قصصي يغري بالقراءة والمتابعة، ولكنه يحوي قدراً كبيراً من المغالطة والافتراء.

ولندع الحديث لراصد أوروبي خبير، يشهد على قومه، لتتضح لنا أبعاد المعركة، وأنها عداوة شاملة للإسلام، يذكر المستشرق الإنجليزي "جب" حين يستعرض أنجح الوسائل لتغريب المسلمين تغريباً حقيقياً، يهضمون فيه الحضارة الغربية، حتى تصبح فيهم شيئاً ذاتياً لا مجرد تقليد للغرب أنه: "للوصول إلى هذا التطور الأبعد... الذي تصبح الأشكال الخارجية بدونه مجرد مظاهر سطحية، يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى رأي عام، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة" ويبين "أن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوروبية، وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي".

ويستطرد "جب" في إبراز ما حققه الغزاة من نتائج رهيبة فيقول: "إن النشاط التعليمي والثقافي – عن طريق المدارس العصرية والصحافة – قد ترك في المسلمين – من غير وعي منهم – أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لادينيين إلى حد بعيد "ويعقب على ذلك بقوله: "وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار، إن الإسلام كعقيدة لم يفقد إلا

---

(٣٩) راجع المدخل إلى الثقافة الإسلامية للدكتور محمد رشاد سالم، ص٥٥-ص٥٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قليلاً من قوته وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانته، فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه وهي – في كثير من الأحيان – تتعارض مع تقاليده وتعاليمه تعارضاً صريحاً، ولكنها تشق طريقها بالرغم من ذلك إلى المجتمع الإسلامي في قوة وعزم... وبذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محدودة".

ويقرر "جب" بأنه قد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، وقد يبدو الآن من المستحيل – مع تزايد الحاجة إلى التعليم، ومع تزايد الاقتباس من الغرب – أن يصد هذا التيار"، وينتهي إلى القول: بأن "العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لادينياً في كل مظاهر حياته، ما لم يطرأ على الأمور عوامل ليست في الحسبان فتغير اتجاه التيار"[٤٠].

٢ – الشبهات الدينية والطعن في الإسلام

في سبيل تحقيق الهدف الذي وضعه "الغزاة" نصب أعينهم تعاونت أطراف عديدة من سياسيين واقتصاديين ومنصرين ومستشرقين، وتلاقت دول الاستعمار المتنافسة رغم ما بينها من اختلاف، وتصارع في كل الميادين إلا ميدان الكيد للإسلام، بل تناست الطوائف النصرانية من كاثوليك، وأرثوذوكس، وبروتستانت – ما بينها من خلافات عقدية، وتجمعوا فيما بينهم في مواجهة المسلمين[٤١].

ومن أجل ذلك قام المنصرون، ومعهم المستشرقون، ويساندهم المستعمرون بإثارة الشبهات، والمطاعن في الإسلام، ولا شك أن كلاً من التنصير والاستشراق يحتاج إلى مجلد خاص، ولكن المقام يقتضي أن نشير في اختصار إلى شبهات المستشرقين وطعنهم في الإسلام.

---

(٤٠) راجع المصدر السابق، ص٥٣-٥٤، والغزو الفكري والتيارات، ص٨٥-٨٧، ولمزيد من التفصيل راجع نص كلام هـ. أ. ر. جب من كتابه (وجهة الإسلام) ترجمة محمد عبد الهادي، أبو ** ، ص٢١٤-٢٢٠. المطبعة الإسلامية – القاهرة، ١٩٣٤م.

(٤١) ينبغي أن يفيد المسلمون من هذا الأمر وأن يوحدوا كلمتهم وينظموا صفوفهم وأن يتعاونوا فيما اتفقوا عليه ويعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

حذف رت

المبحث الرابع
شبهات المستشرقين ومطاعنهم

تعددت أهداف المستشرقين وتنوعت أساليبهم ووسائلهم، حيث سلكوا طرقاً عديدة في الوصول إلى أغراضهم منها التدريس الجامعي وجمع المخطوطات العربية، والتحقيق والنشر والترجمة، بالإضافة إلى الاشتراك في المجمعات اللغوية والمجامع العلمية في العالم الإسلامي، ولكن أخطر وسائلهم على الإطلاق كانت هي التأليف، حيث ألفوا كثيراً من الكتب التي تطعن في الإسلام، بجانب ما قاموا به من تأليف دائرة المعارف الإسلامية، والتي امتلأت بالأباطيل، وبالرغم مما تميزت به مؤلفاتهم ودراساتهم بالصبر والجلد، إلا أنها احتوت على أخطاء جسيمة عمداً أو جهلاً، ولم يقصدوا بها في الغالب خدمة العلم والفكر، وإنما كانت في جملتها خدمة مباشرة للدول الاستعمارية، والمؤسسات التنصيرية، بغرض تطويق الإسلام والقضاء عليه.

ولذلك فإنها حفلت بضروب التشكيك والنقد الجائر، وانطلقت منها الشبهات المدروسة واحدة تلو الأخرى، طعناً في كل نواحي الإسلام بدءاً بالقرآن العظيم ذاته، وانتهاء بسنة النبي ﷺ ورواتها وما بين ذلك ثم اتهام للنبي ﷺ وأصحابه، وطمس لكل معالم المجد والخير في التاريخ الإسلامي.

ويمكننا تلخيص هذه الشبهات فيما يلي:

١- التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي، وترديد الشبهات القديمة حول القرآن الكريم رغم تهافتها وسقوطها في الميزان العلمي الصحيح.

٢- التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون، بحجة ما دخل عليه من وضع ودس، متجاهلين ما بذله علماؤنا من جهود لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبيت والتحري.

٣- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله بجميع الأمم في جميع العصور.

٤- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري.

٥- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا؛ ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم، فيكونوا عبيداً لهم، وتضعف روح المقاومة في نفوسهم.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم، عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم[٤٢].

وهكذا تبين لنا أنه لم تسلم ناحية واحدة من نواحي الإسلام: عقيدة ومنهجاً ونظاماً وتطبيقاً، وتاريخاً وأمة، من شبهاتهم ومطاعنهم، مستغلين في ذلك ما كان عليه أغلب المسلمين في هذا الوقت من تخلف مادي وحضاري، وما كانوا يشعرون به من انهزام سياسي ونفسي، حيث حرموا من التربية الدينية الصحيحة، والتعليم الإسلامي السليم.

وقوف العلماء في وجه المستشرقين

وإذا كانت جهودهم قد أثمرت في تحقيق الغزو الفكري، بظهور حركة التغريب، وطائفة المستغربين، الذين قاموا بالدعوة إلى الأخذ بالفكر الغربي بكل نظمه وتقاليده وعاداته، والإشادة بقيمه وحضارته، والنيل من الإسلام، وتشويه مبادئه، فإن علماء الإسلام في كل أنحاء العالم الإسلامي قد وقفوا لهم بالمرصاد، وقاموا بدحض مفترياتهم، ودرء شبهاتهم، في الوقت الذي قاموا فيه بالدعوة إلى الإسلام وإحياء تعاليمه، والعودة به إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ومقاومة الاستعمار بكل طوائفه وأشكاله، والوقوف في وجه حملاته وغزواته، وذلك بتقوية العقيدة في النفوس، وتحصين المسلمين ووقايتهم من الوقوع في حبائل الغزاة من المنصرين والمستشرقين وذلك بتزويدهم بالثقافة الإسلامية الصحيحة، وإبراز حقائق الإسلام وما يتميز به من كمال وشمول، ويبقى أن تتحول أعمالهم الفردية إلى أعمال جماعية منظمة وذلك بالعمل داخل مؤسسات إسلامية منظمة، ويتم التعاون فيما بينهم عن طريق الجامعات الإسلامية، أو منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي، مثلاً، فتتوحد الجهود، وتتكامل الأعمال، وتتحقق الأهداف.

(٤٢) راجع تفاصيل ذلك في الاستشراق والمستشرقين: ما لهم وما عليهم للدكتور مصطفى السباعي، ص٢٠-٢٤، واحذروا الأساليب الحديثة، ص١٢٠-١٢١. والغزو الفكري والتيارات، ص٨٨-٩٠.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني

العلمانية

المبحث الأول : تعريف العلمانية وأسباب نشأتها
المبحث الثاني : نتائج العلمانية في الغرب
المبحث الثالث: أسباب ووسائل انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي
المبحث الرابع : آثار العلمانية في العالم الإسلامي
المبحث الخامس : الموقف من العلمانية
المبحث السادس : الردود على شبهات العلمانيين

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

تعريف العلمانية وأسباب نشأتها

المطلب الأول: تعريف العلمانية

أصل كلمة (العلمانية) ترجمة غير دقيقة لكلمة (Secularism) اللاتينية وهي تعني اللادينية، وقد ترجمها المعربون إلى العربية بنسبتها للعلم تمويهاً وتجنباً لإثارة ردة فعل المسلمين تجاه هذه الكلمة.

لذا نجد أن دائرة المعارف البريطانية تعرف (Secularism) بأنها: "حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها".

إذن لا صلة للاسم العربي (العلمانية) بالعلم، ومن عرفها بأنها فصل الدين عن الحياة لم يكن دقيقاً أيضاً في بيان مفهومها.

وتعريفها الصحيح: (إقامة الحياة على غير الدين)[1].

المطلب الثاني: أسباب نشأة العلمانية في الغرب

كانت هناك أسباب وراء نشوء العلمانية في أوروبا، ويرجع ذلك إلى هيمنة الكنيسة على الحياة العامة في أوروبا، واستبدادها في السلطة والحكم، ومناصرة الملوك والأمراء الذين يدورون في فلكها وتبرير مظالمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الرعية، وفرض العشور والضرائب في أموال الناس، ومحاربتها للعلم وقتلها العلماء، مع فساد خلقي وإداري في طبقة رجال الدين.

ومارست الكنيسة أقصى درجات القمع الفكري والبدني على معارضيها، وجنت على الدين حيث صورته للناس دين الخرافة والدجل والكذب، بسبب إصرارها على أن تنسب إليه ما هو منه براء، وساعدها على ذلك دقة تنظيم المؤسسة الدينية من القاعدة العريضة الممتدة في كل الأقاليم إلى قمة الهرم الذي يتربع عليه البابا في روما.

---

(١) انظر "العلمانية" د. سفر الحوالي، ص٢٤.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وحين انكشف للناس الحقائق، وقدمت البراهين القاطعة على صحة أقوال أهل العلم، انحازوا للحقيقة ونبذوا الكنيسة ودينها[٢].

وظهرت مؤلفات لمفكرين يعادون الكنيسة، ويدعون إلى إحلال مبادئ أخرى مكان المبادئ الكنسية مثل: كتاب السياسة والحكم لمكيافيلي الذي يقرر فيه مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)، وكتاب العقد الاجتماعي لـ(جان جاك روسو) الذي يدعو فيه إلى أن السلطة عقد بين الشعب والحكام، كما ظهرت كتابات تدعو إلى التحرر من سلطان الكنيسة من أمثال كتابات (مونتسكيو، وفولتير، وليم جودين) وغيرهم، كما ظهرت نظرية (التطور) لتشارز داروين التي عرفت بالداروينية، فاستغلها أعداء الدين استغلالاً كبيراً.

هذه الحركة الفكرية أوجدت تياراً اجتماعياً سياسياً يطالب بالحريات والمساواة ويرفع شعار حقوق الإنسان، ويدعمها العلم وحقائقه وتطور الحياة وسننها... فالتفت الشعوب والجماهير حول القوى الجديدة ضد القوى القديمة المتمثلة في الإقطاع وطبقات النبلاء المدعومة من الكنيسة.

دور الماسونية واليهود في إثارة الجماهير ضد نفوذ الكنيسة

فقد طرحت الماسونية شعارها (الحرية والمساواة والإخاء) لتتبناه الثورة الفرنسية، ضد نفوذ الكنيسة ثم تحول الشعار إلى معول هدم لنقض الدين كله.

واتصلوا بالمسلمين عن طريق (الأندلس) وصقلية، وعن طريق الحروب الصليبية واطلعوا على ما يتمتع به علماء المسلمين في العلوم التطبيقية (الفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلوم الطب والفلك والعمران...) من الحرية، بل الدعم من مختلف مؤسسات الدولة وعدم وجود طبقة رجال دين، مما كان له أشد الأثر على توجه العلماء للتخلص من جمود الكنيسة وتضييق الخناق على البحث العلمي الموضوعي في المستقل.

---

(٢) العلمانية: التاريخ والفكرة، عوض محمد القرني، ص٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني
نتائج العلمانية في الغرب

عندما تخلص الغرب من نفوذ الكنيسة، وكسرت الأطواق والأغلال التي كانت تفرضه على حرية البحث وإبداء الرأي والممارسات السياسية والاجتماعية تحقق للغرب جوانب إيجابية، ورافق ذلك جوانب سلبية.

المطلب الأول: الجوانب الإيجابية

تتمثل في:

(أ) التقدم العلمي الهائل: عندما تخلص الغرب من أساطير الكنيسة وخرافاتها حول البحث العلمي – متأثراً بمناهج البحث العلمي التجريبي لدى المسلمين – انطلق انطلاقة كبيرة، فأبدع في هذا المجال، وحقق تقدماً لم تعرفه البشرية من قبل.

(ب) الرخاء الاقتصادي الذي تحقق نتيجة التقدم الصناعي، حيث وظفت المنجزات العلمية لتحقيق رفاهية الإنسان بعد تحقيق الضروريات في حياته من الغذاء والسكن والدواء، إلى توفير الكمالية من الخدمات والمرافق.

(ج) احترام حقوق الإنسان، حيث وضعت دساتير وقوانين تنص على حرية المعتقد والتعبير عن الرأي ووضع ضمانات لحماية تلك الحريات والممارسات، بحيث تكبح جماح السلطة من تجاوزها – وإن كانت تلك الحريات حسب المفهوم الغربي ليست المفاهيم الصحيحة بسبب منطلقاتها المادية غير الأخلاقية – إلا أنها حققت تقدماً كبيراً بالنسبة لما كان عليه الأمر في ظل تسلط الكنيسة وأمراء الإقطاع.

المطلب الثاني: السلبيات، وأهمها

أ- انتشار الإلحاد في حياة الغرب: نتيجة ردة الفعل على ممارسات الكنيسة، وقع الغرب فريسة لدعاة الإلحاد، فأقاموا دولهم وأنظمتها على الابتعاد عن كل ما له صلة بالدين ومعطياته، وتبنوا النظريات والأفكار الأشد تطرفاً وغلواً ومادية التي تصادم فطرة الإنسان، وتعارض البحث عن الدين الحق الذي يكرم الإنسان، ويحترم العقل، ويضمن الحريات الحقيقية للإنسان ألا وهو الإسلام.

ب- السيطرة الغربية على مقدرات شعوب العالم: وكان ذلك نتيجة للثورة الصناعية والقوة الاقتصادية لدى الغرب، فقد بدأت دوله تتسابق للاستيلاء على الممالك

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والأقاليم؛ لتنهب ثرواتها، واستغلت شعوبها فجعلتها أسواقاً استهلاكية لمنتجات مصانعها، ورافق ذلك فرض نموذجها الإلحادي على العالم متجاهلة ثقافة تلك الشعوب وعقائدها وقيمها، مما تسبب في نشوب الحروب، وإراقة الدماء، لتتحرر من ربقة الاستعمار الغربي، وكانت النتيجة قيام حربين عالميتين، أزهقت نفوس الملايين ودمرت المدن وأهلكت الحرث والنسل، في أكثر دول العالم.

ج- الفشل في تحقيق الطمأنينة والسكينة للإنسان: لقد رفع العلمانيون شعارات براقة كثيرة عن حقوق الإنسان، وتحقيق السعادة له، وأنهم سيصلون بالعلم إلى الإجابات الشافية لتساؤلاته عن الغاية من وجوده ودوره في الحياة ومآله ومصيره، ولكن الحضارة الغربية المبنية على الإلحاد عجزت عن تحقيق الطمأنينة في نفس الإنسان، وغرس اليقين في عقله... وأصبح الإنسان في ظلها وحشاً كاسراً لا يعرف إلا إشباع ملذاته، وتدمير كل ما يعترض طريقه إلى ذلك، وإلى اليوم وبعد أن مر على الحضارة الغربية أكثر من ثلاثة قرون في ظل العلمانية، نرى الإنسان الغربي يعيش مأزقاً نفسياً روحياً فكرياً أشد عمقاً وتأزماً من أي وقت مضى، على الرغم من التقدم المادي وتوفير سبل الاستمتاع، وتيسير طرق الوصول إلى إشباع الشهوات.

وما ظاهرة الانتحار وانتشار العيادات النفسية، وكثرة المشردين التائهين... كل ذلك وغيره دلالات واضحة على فشل العلمانية ومؤسساتها في تحقيق إنسانية الإنسان وتوفير السعادة له. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤].

مطلوب

المبحث الثالث

أسباب ووسائل انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي

١- تخلف المسلمين عن ركب التقدم الصناعي

عندما بدأت بوادر النهضة الصناعية تظهر في الغرب في القرن الثامن عشر الميلادي، كان الجمود والتخلف بدأ يدب في أوصال الدولة العثمانية التي كانت تتربع على عرش الخلافة الإسلامية وتهيمن على أقاليمه وأقطاره.

ولقد سجل التاريخ للسلاطين العثمانيين الأوائل جهوداً مشكورة في الدفاع عن الإسلام، والحفاظ على بيضته، ولكن المتأخرين منهم، ولم يكونوا على المستوى الذي يمكنهم من مجاراة ركب الحضارة، اطمأنوا إلى الحياة الدنيا وزينتها واستبدوا بالحكم،

الجديد طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وحرصوا على عروشهم ودب التنافس بينهم للبقاء والاستيلاء، فنزلت بهم سنة الله ﷻ، وفتن بعض السلاطين المتأخرين بالدساتير والقوانين الغربية، فحاولوا تطوير الدولة حسب المفاهيم الغربية فكان "ضغثاً على إبالة"(٣).

كما كان ليهود الدونمة(٤)، دور في تشكيل الجمعيات والأحزاب السرية، والتي تدعو إلى تقويض الأساس الإسلامي الذي قامت عليه الدولة، والجمعيات والأحزاب التي تدعو إلى القومية، والمحافل الماسونية التي رفعت شعاراتها التي رفعتها في أوروبا (الحرية، المساواة، العدالة) كل ذلك كان معاول هدم في جسم الدولة العثمانية إلى أن توجوا تلك الجهود بإلغاء الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩٢٤م.

٢- الاحتلال العسكري الاستعماري للعالم الإسلامي

بعد التقدم الصناعي الهائل في الغرب تنافست دول أوروبا في استعمار العالم المتخلف للحصول على المواد الخام لصناعاته، وإيجاد الأسواق الدائمة لمنتجاته، ونقل أيديولوجياته وبرامجه إلى العالم لضمان تبعيتهم الفكرية وإلى الأبد، وقد كافح الغرب الاستعماري طويلاً لفرض نموذجه على بلاد الشرق عامة وبلاد المسلمين خاصة وذلك "لأن الشرط الحضاري الاجتماعي التاريخي الذي أدى إلى نجاح العلمانية في الغرب مفقود في الشرق، بل في الشرق الإسلامي نقيضه تماماً(٥).

وعلى الرغم من أن أغلب الأقطار الإسلامية تحررت من الاحتلال العسكري الغربي بعد إعلان الجهاد ضده، إلا أن الغرب العلماني ربى صنائعه على عينه، وسلم إليهم زمام السلطة، وبلغ الأمر ببعض من رباهم الغرب أن يضعوا في دساتير دولهم المحررة من الاستعمار "أن الدولة دولة علمانية، والجيش حامي العلمانية فيها، وعليه التدخل كلما تعرضت العلمانية للخطر". لقد كان الأتباع أكثر وفاء للعلمانية من الأسياد، حيث حموها ولا يزالون يحمونها بقوة السلاح وبالحديد والنار.

٣- البعثات التي أرسلت إلى الغرب لتلقي العلوم

في أغلب دول العالم المتخلف - منذ بروز القوة الصناعية والاقتصادية والتكنولوجية في الغرب وإلى اليوم - يعتبر الغرب قبلتهم في كل شيء، فأرسلوا

---

(٣) مثل عربي يقصد به إضافة سوء إلى سوء وبلية إلى أخرى، والضغث حزمة القش، والإبالة الحزمة من الأعواد أو العشب اليابس المهشم، انظر المعجم الوسيط، ١/ ٣، ٥٤٠.

(٤) يهود الدونمة الذين فروا من محاكم التفتيش من الأندلس بعد سيطرة النصارى عليها، ولم تقبلهم الدول الأوروبية وقبلتهم الدولة العثمانية لأنهم تظاهروا بالإسلام، للحصول على حماية المسلمين لهم.

(٥) انظر العلمانية: التاريخ والفكرة، عوض القرني، ص٦.

الجديد و طصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فلذات أكبادهم وهم في سن المراهقة وقبل أن يحصنوا عقدياً وفكرياً، بل كثير منهم لا يعلم من دينه شيئاً، ألقوا بهم في أحضان زعماء الفكر العلماني الغربي والشرقي، بعد أن وقعوا فريسة الإباحية والتحلل الخلقي، لقد أرسل كثير منهم لتلقي الفيزياء والكيمياء والطب والأحياء والرياضيات... فعادوا بالأدب والفن واللغات والعلوم الاجتماعية والنفسية، وأصبحوا سفراء للغرب في بلادهم، السحنة واللغة للبلد الذي أوفدهم، والفكر والثقافة والعواطف والمشاعر والدعوة للبلد الذي خرجهم وثقفهم.

وبما أنهم عادوا بالألقاب الأكاديمية الرفيعة من تلك البلاد، فقد استلموا دفة القيادة الفكرية والإدارية في بلادهم؛ ليرسخوا أقدام العلمانية فيها.

٤ - البعثات التبشيرية

مهمة البعثات التبشيرية في العالم الثالث تختلف من منطقة إلى أخرى، فالإرساليات إلى المناطق التي يدين أهلها بالوثنية مثل بعض الدول الأفريقية ودول جنوب شرق آسيا كانت مهماتها تتركز في إدخال السكان إلى النصرانية، أما في بلاد المسلمين لا يتحقق لهم ذلك، وقد أدركوا أنه من المستحيل أن يحولوا المسلمين إلى النصرانية، فاكتفوا بتشكيك المسلمين في دينهم، وزعزعة ثقتهم بصلاحية الإسلام للعصر الحديث وليس أجدى من العلمانية وسيلة لهذا الغرض.

٥ - المدارس والجامعات الأجنبية في بلاد المسلمين

فتحت مدارس وجامعات كثيرة في طول بلاد المسلمين وعرضها في أواخر الدولة العثمانية، تحت إشراف السفارات والبعثات الدبلوماسية، وفي كثير من الأحيان تحت رعاية الإرساليات التبشيرية، وزودت هذه المدارس والكليات والجامعات بأرقى وسائل التعليم وبأمهر المدرسين، ورفعت أقساطها حتى لا يدخلها إلا علية القوم، وكثير منها كانت تفتح أقساماً داخلية للذكور والإناث، لكي يتولوا تربيتهم من جميع جوانبها.

فكانت هذه المؤسسات التعليمية من أمضى أسلحة الغرب في السيطرة على الحياة الفكرية والثقافية في بلدان العالم الإسلامي، وتخرج منها عشرات الألوف ليتولوا مقاليد الأمور السياسية والاقتصادية والإدارية والثقافية في بلدانهم، فكانوا من أمهر دعاة العلمانية وحراسها في بلاد المسلمين.

٦ - التأليف والنشر والدوريات ووسائل الإعلام

لقد أنشأت الجمعيات والأحزاب العلمانية مؤسسات إعلامية ضخمة ونشرت للكتاب من رواد العلمانية نتاجهم الفكري والأدبي، ودارت معارك أدبية بين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحافظين من أبناء المسلمين وبين رواد العلمانية، أشغلت الرأي العام وطبعاً كانت المنابر التي يصعد عليها العلمانيون للإعلان عن آرائهم وبث أفكارهم كانت أعلى قدماً وأكثر ضياء وأوسع انتشاراً، ولا زالت المنابر الإعلامية إلى يومنا تضيق على المسلمين، وتفسح صدورها للعلمانيين.

المبحث الرابع
آثار العلمانية في العالم الإسلامي

لئن كانت آثار العلمانية نتيجة طبيعية في العالم النصراني، لأن ولادتها كانت ولادة طبيعية في عالم لم يكن فيه للدين آثاره العملية على حياة الناس؛ لعجزه عن مواكبة التطور في الحياة، ولأن رجال الدين الذين نسبوا إلى المسيح "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله" لم يجدوا في العلمانية تصادماً مع هذا المبدأ، فتخلوا عن مجالات الحكم والاقتصاد والثقافة والعلم والاجتماع، وانزووا في كنيستهم، ليلتزموا بالقول الآخر الذي نسبوه إلى المسيح أيضاً "مملكتي ليست من هذا العالم" لينصرفوا إلى طقوسهم الدينية، ويتركوا الدنيا للشيطان وأوليائه؛ لأن مملكة الشيطان الدنيا محط الشرور والآثام – كما يزعمون – ومملكة الرحمن الآخرة حيث السعادة والاستمتاع.

والانتقام من الأشرار المفسدين الذين عاثوا فساداً في الحياة الدنيا (مملكة الشيطان) حسب شرحهم للقول المنسوب إلى المسيح.

إلا أن هذا المفهوم بعيد عن حس المسلمين الذي نظم الإسلام حياتهم اليومية من الاستيقاظ من النوم إلى المبيت، ونظم علاقاتهم الاجتماعية التي تبدأ من الأسرة إلى علاقة الراعي بالرعية مروراً بالمؤسسات المدنية والتشريعية والتنفيذية والقضائية ونظم شؤونهم الاقتصادية من الكسب إلى الإنفاق إلى اقتصاد الأمة إلى المعاملات التجارية ما يحل منها وما يحرم، ونظم كذلك أوضاع المسلمين في الحرب والسلم والعلاقات الدولية.

لذا لم تجد العلمانية لها موطئ قدم في بلاد المسلمين إلا من خلال فوهات مدافع البوارج الحربية أو من خلال الدجل والتمويه والنشر بقناعات مزيفة؛ ليحاول أتباعها الظهور بعدم معارضة العلمانية للإسلام، ولأن المسلمين يفهمون أن العلمانية دين ومنهج للحياة، يريد أصحابه أن يحلوه محل دين الإسلام في العقيدة والتشريع والثقافة والاقتصاد والاجتماع، من هذا الفهم للعلمانية كان موقف علماء المسلمين ومفكريهم

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرفض التام للعلمانية ورأوا فيها: (أ) شركاً بالله تعالى، (ب) وردة عن شرائع الإسلام.

وتركت العلمانية آثارها في جميع مجالات الحياة في العالم الإسلامي من أهم هذه المجالات:

أولاً: مجال الثقافة والتعليم

حمل دعاة العلمانية حملة شعواء على ثقافة الأمة وتراثها الحضاري، وبثوا سمومهم وشكوكهم في أصالة التراث الثقافي للمسلمين، وزعموا أنها لم تأت بجديد، وأن جديدها منقول من الأمم الأخرى، ولم تسلم عقائد الأمة وثوابتها من الطعن واللمز والغمز، بل قام من يشكك بالوحي المنزل على رسول الله ﷺ ويشكك في مصدر القرآن ليثيروا من جديد ما سبقهم إليه مشركو العرب: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٤، ٥].

ولما كانت معجزة القرآن واضحة ولا زال تحديه مستمراً ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

ولما كان إدراك معاني القرآن وأسراره لا تفهم إلا باللغة العربية، شنوا هجوماً على اللغة العربية، تارة بدعوى صعوبة قواعدها ونحوها فأرادوا – في زعمهم – تيسيرها بالدعوة إلى العامية وإلغاء قواعد النحو، وتارة بصعوبة إملائها وكتابتها فدعو إلى الاستبدال بها الحروف اللاتينية. ولا زال الناعقون ينعقون بين الحين والآخر بنفايات الفكر العلماني على ثوابت الأمة وعقائدها.

ولكن هذه الهجمات أثرت في طبقة من أبناء الأمة الذين لم يكن لهم رصيد من العقيدة يصونهم، وخلفية ثقافية عن اللغة العربية ودورها في خدمة الإسلام وصيانة وحدة الأمة الإسلامية، وربط الجديد المستحدث بالأصيل القديم.

لقد تعددت مدارسهم التي تشكك في ثوابت الأمة فتارة يرفعون شعار الحداثة وتارة يرفعون شعار التطور والتقدمية، وكل ما فل سلاح شحذوا آخر. أما على مستوى المناهج التعليمية فكان أثر العلمانية أشد، نظراً لتبوأ العلمانيين المناصب التي أسند إليها التخطيط والتوجيه، فكان أن قلصوا ساعات تدريس الإسلام حصروا تدريسه بعقائده وعباداته وأخلاقه وتشريعاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حصروا كل ذلك في ساعتين في الأسبوع وفي بعض الأقطار الإسلامية في ساعة واحدة، بل ألغيت من أساسها في بعض الدول، ولم تحتسب درجات مادة التربية الإسلامية في معدل الشهادة الثانوية في بعضها.

أما المدارس الدينية والجامعات الإسلامية وحلقات تحفيظ القرآن فلا زالت المضايقات عليها، وتغيير مناهجها واتهام القائمين عليها بالرجعية والأصولية وخريجيها بالإرهاب والتطرف ولا زالت الحرب الشعواء على أشدها، وقد اشتد أوارها بعد تبني العلمانية شعار العولمة التي سنتحدث عنها في المبحث اللاحق إن شاء الله تعالى.

ثانياً: المجال الاجتماعي

تبنى العلمانيون مبادئ المدارس الغربية في علم الاجتماع وعلم النفس، ونظرية دارون في التطور وعلى الرغم من انتقاد الغربيين أنفسهم لكثير من هذه النظريات وبيان خطرها إلا أن الناعقين في العالم المتخلف لا يزالون يلوكونها، لأنها نظريات مبنية على الإلحاد والكفر بالله وبالوحي المنزل منه. واتخذ العلمانيون قضية المرأة وحقوقها مطية للقضاء على عفتها وحجابها واهتمامها بأسرتها، ليخرجوها من حصنها الحصين لتنافس الرجل في ميادين العمل والكسب وتسبب من ذلك ضياع الأجيال وكثرة حالات الطلاق وارتفاع نسبة العوانس وكثرة العاطلين عن العمل لحلول المرأة محلها.

وعلى الرغم من ادعاء العلمانية الديمقراطية فكثير من الدول التي يتحكم فيها العلمانيون منعوا حجاب المرأة وحظروا على المحجبة وظائف الدولة بل مدارسها وجامعاتها، واستهدفوا البنية الأساسية للمجتمعات فوجهوا ضربات معاولهم إلى الأسرة فتبنت محافلهم الدولية ما يقشعر له البدن بالسماح بالزواج بين المتماثلين وحرية المرأة في الاتصال الجنسي بمن تشاء، وحرموا تعدد الزوجات بنص الدساتير وأباحوا تعدد الخليلات، وحرموا الزواج المبكر بالفتيات، وأباحوا لها الزنا المبكر... إنها ثمار العلمانية المرة التي تعاني منها الشعوب قاطبة وخاصة المسلمون الذين اتبعوا هذه الأنظمة المظلمة.

ونتج عن كل ذلك تمرد الأبناء والبنات على أعراف الأسرة وتقاليدها، وانتشرت الرذيلة تحت شعار الفن، وكثرت النوادي المختلطة ودور عرض الأجساد العارية باسم الحفلات وعروض الأزياء، وساعدت وسائل الإعلام على وصول كل هذه الصور والمناظر إلى كل بلد وإلى كل بيت.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: مجال الحكم والتشريع

تمكن العلمانيون من إلغاء الخلافة الإسلامية، وتحويل دساتير الدول التي أقامها المستعمر إلى دساتير علمانية بعضها ينص على علمانية الدولة، وبعضها – من باب ذر الرماد في العيون – ينص على أن دين رئيس الدولة الإسلام، وبعضها ينص أن دين الدولة الإسلام، وبعضها يجعل الإسلام مصدراً من مصادر الدستور كالعرف والعادة.

وبالتالي أحلوا الدساتير الأجنبية وقوانينها محل الشريعة الإسلامية في الحكم والقضاء وأنظمة الدولة، ولم يبقوا سوى قانون الأحوال الشخصية المتعلق بالزواج والطلاق والإرث مستمداً من الشريعة الإسلامية، وحتى قانون الأحوال الشخصية عبثت به بعض الدول ليجعلوا قيوداً على الزواج والطلاق والإرث.

إن العلمانين جعلوا الدولة تنخلع من الإسلام وترتدي لباس العلمانية في كل شؤون الدولة، ولم يعيروا اهتماماً للآيات التي تقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[المائدة: ٤٤]، ﴿ ...فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[المائدة: ٤٥]، ﴿ ...فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[المائدة: ٤٧].

بل أطلق العلمانيون العنان لأقلامهم ليشككوا في الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، ويدعون إلى التخلص منه جملة وتفصيلاً كما فعلت أوروبا بالنصرانية.

وكلما ارتفعت أصوات أبناء المسلمين بالعودة إلى الإسلام ونبذ القوانين الغربية الوضعية التي أتت بالويل والدمار على البلاد والعباد من المظالم والانحرافات والتبعية للغرب، تعلل العلمانيون بأن في البلاد طوائف غير إسلامية لا بد من مراعاة أوضاعها ومشاعرها، وكأن هذه الطوائف والأقليات غير الإسلامية لم تكن موجودة قبل مجيء العلمانيين، وكانوا مواطنين في الدولة الإسلامية يتمتعون بجميع حقوق المواطنة، وأحلوا مفهوم الولاء للقومية والوطنية والإقليمية وأي رابطة غير إسلامية، محل الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

رابعاً: مجال المال والاقتصاد

لقد رأى العلمانيون في الغرب قدوتهم في كل شيء، وبما أن الغرب متقدم اقتصادياً فأرادوا أن يحذوا حذوهم في الاقتصاد، فاستوردوا مناهجهم الاقتصادية. ولكنهم لم يدركوا أن الغرب بدأ بناءه الاقتصادي من القاعدة الأساسية، وكان نموه

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتطوره طبيعيا، أما العالم المتخلف فظنوا أن إقامة المصانع برؤوس أموال أجنبية وخبرات أجنبية ستجعل اقتصادهم متقدماً وقوياً، ولكنهم شعروا فيها بعد أنهم أصبحوا تحت رحمة الغرب وسياساته، فلو منعوا قطع الغيار عنهم لتعطلت مصانعهم ومراكبهم وجميع صناعاتهم، ولو سحبوا الخبراء لتوقف العمل في مصانعهم. والدول التي تحررت عن الغرب واحتلالها العسكري وقعت تحت الاستعمار الاقتصادي.

وانتقل داء الغرب المزمن (التعامل الربوي) وسيطرة رؤوس الأموال على الحياة الاقتصادية والسياسية إلى العالم الثالث فأقاموا المؤسسات الربوية في جميع أنحاء العالم الإسلامي وربطوا حياة الناس ومشاريعهم الزراعية والصناعية وتجارتهم كلها بالبنوك الربوية، التي تمص مدخرات الشعوب وكدح العاملين فيها لتصب في النهاية في أرصدة اليهود حيث يمسكون بزمام المؤسسات الربوية العالمية.

شنع الله سبحانه وتعالى على اليهود في كتابه الخالد لأنهم أكلوا أموال الناس بالباطل وتعاملوا بالربا ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦١].

وحذر هذه الأمة بسلب الإيمان عنهم وإعلان الحرب عليهم إن لم يتركوا التعامل بالربا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩] ولعن رسول الله ﷺ خمساً في كل عملية ربوية: «**الآكل والموكل والكاتب والشاهدين**»(٦)، ومع كل ذلك على الرغم من شعورهم بمحق بركة الأموال وعدم وجود السعادة والرخاء الحقيقي في اقتصاد هذه الدولة، لكنهم لا يرعوون ويلهثون خلف سراب حلم مجتمع الرفاه، ويقولون في قرارة أنفسهم ﴿ ...إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ... ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ولم يدركوا أن البركة والنماء فيما أحله الله وأن المحق والنقص فيما حرمه الله ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ... ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وأنه ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

لكن أنى للملاحدة أن يرتدعوا وأنى للعلمانيين أن يعودوا إلى أحكام شرع الله ليبنوا اقتصاداً قوياً سليماً مباركاً وفق هدايات دينهم الحنيف.

---

(٦) رواه مسلم، رقم (١٥٩٨) باب لعن آكل الربا وموكله، ٣/ ١٢١٩.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خامساً: مجال الإعلام والفن

ورد في بروتوكولات حكماء صهيون: أن الإعلام والاقتصاد، هما الوسيلتان اللتان تتحكمان في الرأي العام. واتخذ زعماؤهم قراراً بالسيطرة على بناء الإعلام في العالم وعلى المؤسسات الاقتصادية الدولية والمحلية. كان ذلك في نهاية القرن الثامن عشر.

ومنذ عصر النهضة الصناعة في أوروبا، ودهاقنة الصهيونية يستولون على دور النشر العظمى في العالم، ويوجهون من خلالها الرأي العالمي، ولو نظرنا في المؤسسات الإعلامية في العالم الإسلامي عامة وفي العالم العربي خاصة لوجدنا أن أوسعها انتشاراً، وأقدرها كتاباً وأكثرها إمكانات مادية وتطوراً في الوسائل، بيد غير المسلمين وقد اتخذها العلمانيون منابر لنشر أفكارهم والترويج لها، وإفساح المجال لدعاة العلمانية ليصولوا ويجولوا، ويشككوا ويطعنوا فيمن شاءوا وكيف شاءوا، وكان التضييق على الكتاب المسلمين، وقلة الإمكانات واستخدام نفوذ السلطة إذا اقتضى الأمر لإبعادهم عن الساحة الإعلامية.

ومن ناحية أخرى، فقد استخدم الإعلام – تحت عنوان الترفيه – لهدم أخلاق الأمة ونشر الرذيلة بدعوى الحرية الشخصية وباسم الفن، وكلما تقدمت وسائل الإعلام وتطورت كلما اتسعت دائرة الإفساد. ومن يلقي نظرة عاجلة على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في عالمنا الإسلامي، وإلى البرامج التي تنشرها وتبثها الإذاعات والفضائيات على مدار الساعة، تجد أن أكثر من تسعين بالمئة منها تدعو إلى الإباحية ونشر الفساد الخلقي.

إن العلمانيين يأخذون بمقولة بعض المنصرين: "ليس بالضرورة أن توجه المسلمين إلى طريق الكنيسة، ولكن المهمة أن تصرفوهم عن طريق المسجد"(٧) ووجدوا أن أجدى وسيلة لصرف المسلمين – وبخاصة الشباب منهم – عن المسجد وسائل الإعلام التي توجههم إلى دور الفساد واللهو والفجور.

ومن اللافت للنظر أن الأفلام والمسلسلات والمسرحيات وغيرها كلها توجه لترسيخ مفاهيم معينة في أذهان الناس، تمرد الشباب والفتيات على العادات والتقاليد والقيم الخلقية، الخيانة الزوجية وجعلها نوعاً من الحرية الشخصية، التعدد جريمة وخيانة للزوجة...، إطلاق الألقاب الجذابة على أهل الفسق بوصفهم بالأبطال والنجوم... وغيرها.

(٧) انظر الغارة على العالم الإسلامي.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الخامس
الموقف من العلمانية

أولاً: إن العلمانية تريد الهيمنة على مجالات الحياة كلها

الحكم والتشريع، الاقتصاد والسياسة، الأخلاق والاجتماع، الثقافة والعلم، الأدب والفن، السلوك والعلاقات، ولا يكون ذلك إلا بإقصاء الإسلام عن تلك المجالات كلها، ولا يغرن أحداً أن العلمانيين لا يمنعون من أداء الفرد المسلم شعائره التعبدية في دور العبادة أو ممارسة أعماله وفق أخلاقه الإسلامية. ذلك لأنه منسجم مع مبدأ العلمانية فصل الدين عن الحياة. أما الحياة العامة في القوانين والأنظمة والتعليم العام وبناء اقتصاد الأمة... كل ذلك ينبغي إبعاد أحكام الشريعة الإسلامية عنه.

ومن المعلوم أن الإسلام كل لا يتجزأ فمن أنكر حكماً من أحكام الشريعة المعلومة من الدين بالضرورة فقد ارتد عن الإسلام. والإسلام لا يقبل التجزئة، فإما إسلام أو كفر[٨]. يقول عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ويقول جل جلاله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة: ٥٠] إن أي مثقف مسلم، وأي طالب علم شرعي ناهيك عن علماء المسلمين يدرك أن العلمانية والإسلام على طرفي نقيض، وأن الذي لا يعارض بينهما إما جاهل لا يعلم حقيقة الإسلام، أو مخادع يريد خداع المسلمين وتلبيس الأمر عليهم[٩].

ثانياً: العمل على استئناف الحياة الإسلامية

لا يكفي إصدار أحكام على العلمانية والعلمانيين، ثم الوقوف سلباً تجاه ما يقومون به من محو الأمة وطمس معالم شخصيتها الإسلامية، والعمل الإيجابي الذي ينبغي اللجوء إليه هو البناء:

---

(٨) انظر: العلمانية نشأتها وتطورها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر الحوالي، ص٦٨٠، وما بعدها. وكذلك العلمانية وموقف الإسلام منها، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص٣١، وما بعدها بتصرف.

(٩) صدرت فتاوى كثيرة عن علماء المسلمين نصت على العلمانيين بالردة، منهم الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي السعودية الأسبق، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمهم الله تعالى، وكذلك من مشيخة الأزهر، تطلب فتاواهم من مظانها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(أ) بناء الفرد المسلم كما بناه رسول ﷺ، ابتداء بالعقيدة الصحيحة، ثم الواجبات الفردية والالتزام بها، ثم العمل وفق المنهج الإسلامي لإعادة الحياة العامة وإخضاعها لأحكام الشرع الشريف. وهذا يقتضي تضافر الجهود في جميع المستويات، وأول مجال ينبغي الالتفات إليه الأسرة والمدرسة والمؤسسات التعليمية على مختلف مستوياتها.

(ب) إيجاد البدائل الإسلامية في الإعلام المرئي والمسموع والمقروء، تكون منطلقاته من مبادئ الإسلام وتصوراته لشؤون الحياة، وأهدافه توفير الحصانة الفكرية والسلوكية للمسلمين، والجمع بين الدعوة إلى الالتزام بأخلاق الإسلام وسلوكياته وبين المتعة والتسلية في إطار جمالي لا يقل في الكفاءة عن الإعلام المنحرف في جاذبيته وتسليته، والألوان التي يقدمها للمشاهدين والمستمعين والقراء. وهذا مطلوب في الدرجة الأولى من الكتاب والتربويين وأثرياء المسلمين، لتتكاتف جهودهم في إخراج إعلام هادف.

(ج) إقامة مؤسسات اقتصادية تلتزم بالتعامل وفق مبادئ الاقتصاد الإسلامي وإبعاد الربا والمعاملات غير المشروعة عن ساحات عملها، ولا شك أن التكنولوجيا والوسائل الحديثة في إجراء معاملاتها ضرورة لا يستغنى عنها، وهي أمور علمية لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وأحكامه. كما هو الحال في استخدام التقنيات المتطورة في جميع مجالات الحياة في الإعلام والتربية والتعليم وغيرها.

(د) وضع تشريعات وقوانين مستمدة من أحكام الشرع الشريف وثوابت الإسلام وتنظيمها وفق متطلبات العصر وسهولة تطبيقها، بحيث إذا رغب الحاكم أو القاضي أو أي راغب في الوصول إلى حكم قضية ما وصل إليها من غير مشقة[10].

إننا إن لم نخاطب الناس بلغة العصر، ولم توجد البدائل الصالحة لما هو المطبق الآن تكون أقوالنا "صرخة في واد، أو نفخة في رماد".

---

(١٠) لجأ الكثير من الحكام في العالم الإسلامي منذ أواخر الخلافة العثمانية إلى أخذ الدساتير والقوانين من دول الغرب وخاصة القانون السويسري والفرنسي لحسن تنظيمها وسهولة تطبيقها.

الجديد طهري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث السادس
الردود على شبهات العلمانيين

الشبهة الأولى:

قالوا: لا تعارض بين العلمانية والإسلام، فالعلمانية وخاصة العلمانية الغربية الديمقراطية لا تنكر وجود الله ولا تمنع الناس من أداء شعائرهم التعبدية من صلاة وزكاة وصوم وحج...

الرد: نقول إن فهم هؤلاء العلمانيين للإسلام فهم قاصر وخاطئ، فالإسلام ليس إيماناً بوجود الله تعالى وعبادات فقط، بل هو شامل لكل مجالات الحياة بحيث تمارس أوجه النشاطات الإنسانية كلها على وفق شرع الله، فهو منهج حياة كامل فكما جاء الأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج جاء الأمر بالتحاكم إلى أمر الله، والرضوخ لقضاء رسول الله ﷺ، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكما جاء النهي عن الشرك وعقوق الوالدين والكذب والسحر... جاء النهي عن الربا والزنا والخمر والرشوة وأكل المال بالباطل.

إن العلمانيين يريدون حصر الإسلام في الشعائر التعبدية، والإسلام منهج للحياة متكامل في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات والاقتصاد والسياسة والحكم وفي الآداب والفنون وسائر مجالات الحياة.

والإسلام لا يقبل نظاماً آخر شريكاً له في تنظيم حياة المسلمين، بل يريد أن يستمد المجتمع شرائعه وقوانينه وأنظمته من الوحي الإلهي المتمثل في القرآن وسنة رسول الله ﷺ، ليكون مجتمعاً ربانياً لا مجتمعاً جاهلياً.

الشبهة الثانية:

قالوا: الشريعة ثابتة ونصوص القرآن والسنة محدودة، والحياة متطورة وأحداثها لا تنتهي، فكيف نجد حلول مشكلات الحياة في نصوص الشريعة؟! وبالتالي لا بد من إيجاد مصدر آخر للتشريع يعتمد على تجارب الأمم، مع الاحتفاظ للدين بدائرة التوجيه الروحي للأفراد.

الرد: لا يقول هذه المقولة إلا جاهل بالإسلام وشرائعه وحقائقه، فإن الإسلام اشتمل على الثوابت التي لا تتغير بتغير الأزمان والأماكن والأجيال، وهناك المتغيرات التي تتغير حسب مقتضيات الأزمنة والأمكنة وتقدر فيه الفتوى زماناً ومكاناً وأشخاصاً، ولكن هذه المتغيرات تحتاج إلى المجتهدين الذين يقدرون هذه المتغيرات.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن الله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان هو العليم بما يصلحه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك: ١٤]، لقد عالجت شريعة الله المشكلات الإنسانية بموضوعية ووضعت لها قواعد وضوابط عامة، وفي كثير منها ترك وسائل تطبيقها لعرف الناس وحسب تطور وسائلهم، فمثلاً من الأصول الثابتة:

أ- أن يكون الحكم بما أنزل الله، وأن يكون شورياً قائماً على جلب المصالح ودرء المفاسد، ولكن الوصول إلى تطبيق الشورى من المتغيرات التي تراعى فيها طريقة اختيار أعضاء مجلس الشورى والأمر فيه متسع سواء كان عن طريق الانتخاب المباشر أم عن طريق النقابات والحرف، أم عن طريق التجمعات والأحزاب أم عن طريق أهل الاختصاص.

ب- وإقامة العدل بين الناس من الثوابت التي نزل بها القرآن الكريم وأمر بها رسول الله ﷺ، أما تنظيم القضاء فهو من المتغيرات: هل يكون درجة واحدة أو يكون على مراتب بأن تكون المحاكم بدائية استئنافية ومحاكم تمييز...؟ فالأمر يعود إلى اختيار ممثلي الأمة في تحديد الطريقة التي تحقق بها العدالة.

ج- والاقتصاد في الإسلام يقوم على أصول منها: أن المال كله لله، والبشر مستخلفون فيه، ووجوب تأمين الضروريات - من المطعم والملبس والمسكن والتعليم والعلاج - لكل فرد في الدولة الإسلامية، والنهي عن أن يكون المال دولة بين الأغنياء، والحث على الإنفاق في مصالح الأمة.

هذه كلها من الثوابت، أما وضع الخطط الاقتصادية طويلة المدى أو قصيرة المدى، وإقامة المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي تحقق ذلك فهذا كله من المتغيرات التي تخضع لتطور الزمن واجتهادات أهل الاختصاص وأهل الخبرة من أبناء الأمة. وقل مثل ذلك في المجالات الأخرى: الاجتماعية والثقافية والإعلامية... وغيرها.

إن نصوص الشريعة من الكتاب والسنة محدودة ولكنها اشتملت على القواعد الثابتة، وتركت لاجتهاد المجتهدين ما يستطيعون به إيجاد حلول لكل مشكلات الحياة المتطورة؛ لهذا وصف الله سبحانه وتعالى دينه بالكمال والتمام فقال عز من قائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

أما النشاط البشري الذي لا يتعلق بالحلال والحرام، كالسعي لاكتشاف أسرار الكون، والضرب في الأرض لمعرفة أسرار الطبيعة، والتعرف على سنن الله فيها لتسخيرها لمصلحة الإنسان، فلم يضع الإسلام قيوداً عليها، وهي ملك للبشرية كلها

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهي من الحكمة التي قال عنها رسول الله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها»(١١).

الشبهة الثالثة:

قالو: إن أوروبا كانت مكبلة بقيود الدين، ولم تستطع التطور والتقدم إلا عندما حطمت تلك القيود، وانطلقت في البحث العلمي، وأعطت حرية الفكر والقول للعلماء والمفكرين. فسر نهضة أوروبا وتقدمها كان بالتخلص من نفوذ الكنيسة. ولا يمكن التقدم والنهوض في العالم الإسلامي إلا بالتخلص من الدين الإسلامي وإلغائه من مجالات الحياة العلمية وحصره في دور العبادة كما فعل الغرب.

الرد: إن المطلع على تاريخ العالم الدارس لتطور الحضارات، إذا كان منصفاً لا يسوقه الهوى. يدرك بجلاء، الاختلافات الجوهرية بين ما كان عليه حال أوروبا مع رجال الكنيسة – وقد تقدمت الإشارة إلى جملة أمور، ولا داعي لتكراره – وبين واقع علماء المسلمين في الدولة الإسلامية منذ أن أسسها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة العام الأول للهجرة النبوية الشريفة الموافق للعام ٦٠٠م، إلى أن أسقطها العلمانيون الملاحدة بالتعاون مع الماسونية العالمية ومن ورائهم اليهود عام ١٣٤٠هـ – ١٩٢٤م.

لم يسجل التاريخ الإسلامي حادثة واحدة أن عالما من علماء الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء أو الطب أو الرياضيات... اضطهد أو ضيق عليه أو حكم عليه بالموت أو السجن بسبب أبحاثه أو نظرياته العلمية، سواء كانت النتائج التي وصل إليها خطأً أو صواباً، بل كانت مراكز البحث العلمي، التي كانت تسمى (دور الحكمة) في العصر الأموي والعصر العباسي، مجال اهتمام الخلفاء وتخصيص الميزانية الضخمة لها وكان العلماء المختصون يتسابقون إلى اكتشاف الجديد في مجال تخصصاتهم ويؤلفون الكتب في ذلك، ويقدمونها هدايا للخلفاء لينالوا عليها الجوائز والمكافآت السخية.

ومن أحكام الإسلام المتفق عليها بين الفقهاء أن أي حرفة أو صناعة أو علم من العلوم التجريبية التطبيقية – يحتاج إليه المسلمون، فتحقيقه وإيجاده في بلاد المسلمين فرض كفاية، إن قصر في تحقيقه المسلمون أثموا جميعاً، ومعنى هذا أن ممارسة هذه العلوم والعمل على تحقيقها في بلاد المسلمين عبادة يؤجر عليها الممارسون لها عند الله تعالى، ويحاسبون عليها يوم القيامة إن هم قصروا في ذلك.

---

(١١) رواه الترمذي رقم (٢٦٨٧)، وقال حديث غريب، ٥/ ٥١، ورواه ابن ماجه رقم (٤١٦٩)، باب الحكمة ٢/ ١٣٩٥.

الجديد حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهل يقارن هذا بما كان عليه حال رجال الكنيسة من قتل العلماء وحرقهم إذا قالوا في الفلك أو غيره ما يخالف رأيهم.

وأمر آخر ينبغي التنبيه عليه، وهو أن المراكز العلمية في الدولة الإسلامية ما كانت تفصل بين العلوم التطبيقية كالفيزياء والكيمياء والرياضيات والهندسة والفلك وبين علوم الشريعة كالتفسير والحديث والفقه وبين علوم اللغة العربية كفقه اللغة والنحو والصرف والبلاغة... فالمدرسة الظاهرية في بغداد ونيسابور وسمرقند ودمشق ومسجد قرطبة، والزيتونة والأزهر... كانت مراكز إشعاع ومنارات هدى لكل هذه العلوم. ونقرأ في سيرة كثير من علماء السلف الأفذاذ، أنه كان موسوعة علمية يجمع بين اختصاصات كثيرة من هذه العلوم: في الطب والفلك والرياضيات وحديث رسول الله ﷺ وعلم القراءات والتفسير...

ولم تفصل هذه العلوم عن هذه الجوامع والمساجد ودور العلم إلا عندما دخلت العلمانية مع جيوش المستعمر لتقضي على آخر هذه المعاقل تحت مسمى التطوير فأبعدوا عنها العلوم التجريبية التطبيقية كما فعلوا في الزيتونة والقيروان وأخيراً في الأزهر.

إن تاريخ المسلمين يعطينا مؤشرات واضحة ودلالات بينة أن المسلمين كلما التزموا بهدايات الإسلام وطبقوه حق التطبيق، كلما كانوا في مقدمة الأمم في جميع مجالات العلوم والصناعات والحرف، وكانت دولتهم أقوى دولة وشعوبهم أسعد الشعوب وكانت حواضرهم قبلة طلاب المعرفة.

وكلما ابتعدوا عن دينهم وأهملوا هداياته كانوا في مؤخرة الركب الحضاري وأصبحوا تبعاً لغيرهم، كما هو الحال عليه الآن.

فكيف يزعم الناعقون أن الإسلام يشكل عقبة في سبيل التقدم العلمي؟ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٥].

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث

العولمة

تمهيد : في تجدد الشعارات والدعوات

المبحث الأول : نشأة العولمة وتعريفها

المبحث الثاني : مجالات العولمة

المبحث الثالث: الموقف من العولمة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تمهيد
في تجدد الشعارات والدعوات

العصر الحالي عصر التجديد والتحديث في كل شيء، فكما تتجدد الأزياء وتتجدد الديكورات في المنازل وألوان المركبات وأشكالها فإن الأفكار والدعوات والشعارات تتجدد أيضاً، وكما أن لدور الأزياء مصممين مختصين وللصناعات مهندسين، فإن للأفكار والدعوات والشعارات مختصين، وباستعراض سريع للأفكار والشعارات التي رفعت على المستوى العالمي خلال القرنين الأخيرين نجد الشعار الذي رفعته الثورة الفرنسية الحرية المساواة العدالة وأريقت دماء وأزهقت أرواح بين الشعوب الأوروبية وكل يدعو إلى الحرية والمساواة والعدالة، ولم يستطع أحد أن يفهم حقيقة ما يدعو إليه ويطالب به.

وكان قادة الثورة الفرنسية ضحايا لما نادوا به حيث قدم الواحد تلو الآخر قرباناً لفهم غيره لهذا الشعار.

ولما خفت بريق هذا الشعار كانت المناداة بالقومية، وكل قوم يرى أن عنصره أفضل من غيره، واشتد التنافس القومي بين الشعوب مرة أخرى ولم تقتصر الدعوة القومية على الشعوب الأوروبية بل خرجت إلى العالم جميعاً ومنها العالم الإسلامي لتعمل الجمعيات السرية لبث الروح القومية بين شعوب العالم الإسلامي تحركها المحافل الماسونية الخفية، وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية كان يحكمها الأتراك إلا أن الدعوة إلى القومية الطورانية تبنتها جمعية تركيا الفتاة لقطع الصلة بالإسلام والعودة إلى الجاهلية الوثنية، وعلى الرغم من حكم الإسلام الواضح في مثل هذه الدعوات «دعوها فإنها منتنة»[١٢] كما قال عنها رسول الله ﷺ فإن جذوة الدعوة الإسلامية لم تكن مؤثرة في نفوس المسلمين، ولم يستطع العلماء أن يقفوا في وجه هذه الدعوات لأنها كانت تستغل استبداد الحكام وظلم السلاطين لتدعو إلى التحرر باسم القومية. وهكذا انتشرت الدعوة القومية تمزق أوصال الدولة العثمانية إلى أن جرت إلى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل – الحرب العالمية الأولى – بل ليجهز عليها وتقتسم تركتها التي كانت دول الغرب تتلمظ لابتلاعها.

وكالعادة غيبت دول وأنشئت دول وقامت حروب وأريقت دماء واستعمرت أوطان. فكانت الدعوة التي فصلت للبلاد المستعمرة شعار الوطنية للتحرر من نير الاستعمار. والملاحظ أن شعار الوطنية لم يؤثر في العالم الإسلامي وكانت الحركات

(١٢) متفق عليه، رواه البخاري (٤٦٢٢)، باب قوله سواء عليهم، ٤/ ١٨٦١، ورواه مسلم (٢٥٨٤) ٤/ ١٩٩٨.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوطنية ترفع شعار الجهاد الإسلامي ضد الكافر المستعمر، ولما تحررت بلاد المسلمين رجع الوطنيون إلى أصولهم العلمانية ونبذوا اسم الجهاد الإسلامي.

وبعد الحرب العالمية الثانية تحكم في العالم قطبان الولايات المتحدة الأمريكية ومعها الدول التي تدور في فلكها رفعت شعار الحرية وتقرير المصير، والاتحاد السوفياتي ورفع شعار الحرية والاشتراكية، وبطبيعة الحال كانت الدول التي تدور في فلك أحد القطبين ترفع نفس الشعار وتدعو إليه.

واستمرت الحرب الباردة بين القطبين قرابة نصف قرن، وقامت حروب ساخنة بينهما ولكن بالواسطة، وتلقى كل قطب صفعة شديدة من الآخر وهزيمة منكرة بواسطة حلفائها. فالولايات المتحدة الأمريكية تلقت هزيمة منكرة في فيتنام وكان الاتحاد السوفيتي يمد الشيوعيين سراً بالعتاد والخبرات والأموال، وتلقى الاتحاد السوفييتي هزيمة منكرة في أفغانستان، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها يمدون الأفغان بالسلاح والمال سراً، ولما انهار الاتحاد السوفييتي وخرج من حلبة الصراع كان لا بد من شعار جديد للمرحلة الجديدة. فكان شعار الحداثة، ولم يستمر طويلاً حيث داهمه شعار العولمة وبعضهم يعتبر العولمة امتداداً وتكميلاً للحداثة. فما هي العولمة وكيف نشأت؟

المبحث الأول
نشأة العولمة، وتعريفها

المطلب الأول: نشأة العولمة

خرجت دول أوروبا من الحرب العالمية الثانية منتصرة على دول المحور بدعم غير محدود من الولايات المتحدة الأمريكية ومشاركة فعالة منها، ولكن دول أوروبا كانت منهكة القوى مدمرة نتيجة الحرب الضروس التي دمرت المصانع والمواصلات والبنية التحتية فيها.

ورأت أمريكا – التي دخلت الحرب على غير أرضها – أن الفرصة سانحة لبسط نفوذها في الخارج، ولكن ليس عن طريق الهيمنة العسكرية وإنما عن طريق القوة الاقتصادية والتقدم التكنولوجي، فقدمت لأوروبا مساعدات مالية هائلة من خلال مشروع مارشال. وفي نفس الوقت حذرت من تنامي قوة المعسكر الشيوعي، فدعت إلى إنشاء حلف الأطلسي لحماية أوروبا من المد الشيوعي.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد عبر الرئيس الأمريكي – روزفلت – عن سياسة بلاده لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية باختصار إذ قال (إن قدرنا هو أمركة العالم، تكلموا بهدوء واحملوا عصا غليظة وعندئذ يمكن أن تتوغلوا بعيداً).

كانت نشوة الانتصار في الحرب العالمية الثانية، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عسكرية واقتصادية كبرى في العالم يدعوها إلى التفكير في السيطرة على العالم. ولكنها لا تريد حروباً وإنما تريد سياسة العصا الغليظة والجزرة والكلام الهادئ كما قال رئيسها "روزفلت".

ولكن كان لا بد من العمل على إزالة الخصم اللدود عن الطريق أولاً، ولا بد من شعارات يتقبلها المجتمع الدولي، فإن شعار أمركة العالم يشعر الشعوب والأمم بالخضوع والمهانة فهو شعار فج. ورأى دهاقنة السياسة ومصممو الأفكار والشعارات أن مقتل الاتحاد السوفيتي يكمن في أمرين: إطلاق الحريات: على مستوى الأفراد: حرية الرأي وحرية الكلام وحرية التملك والعمل، وعلى مستوى الشعوب حرية تقرير المصير.

والأمر الثاني: الاقتصاد والمستوى المعاشي للشعوب الحاضنة للاتحاد السوفيتي

وبدأ العمل منذ العقد السادس من القرن العشرين لإبراز هذين الموضوعين في المحافل الدولية. وركز الإعلام الغربي على قضية اختراق الستار الحديدي ودعوة السوفيت إلى المناداة بحرياتهم.

وكانت دعوة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية – ريغان – إلى مشروع حرب النجوم(١٣) قاصمة الظهر للاقتصاد السوفيتي، كانت هذه الدعوة في العقد الثامن من القرن العشرين، وكان الاتحاد السوفيتي يلعق جراحه في أفغانستان.

وعندما أطلقت الدعوة إلى مشروع حرب النجوم كان الاتحاد السوفيتي بين خيارين أحلاهما مر:

الخيار الأول: أن يدخل في سباق مع الولايات الأمريكية في حرب النجوم وهذا يعني إنفاقاً مالياً سيؤدي إلى عجز الاتحاد السوفيتي عن دفع رواتب جنوده. وبالتالي الانهيار الاقتصادي التام.

(١٣) يقصد بحرب النجوم إقامة قواعد فضائية حول الكرة الأرضية مزودة بالصواريخ الحاملة للرؤوس النووية وغيرها، يتم التحكم فيها من محطات أرضية، ويستطيع الخبراء توجيه هذه الصواريخ إلى أي مكان على الكرة الأرضية، وكذلك استخدام أشعة الليزر في تدمير القوة العسكرية في الفضاء وعلى الأرض...

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخيار الثاني: أن يتجاهل حرب النجوم ومعنى ذلك هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم وسقوط هيبة الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى.

وأثناء ذلك كانت الدعاية داخل الاتحاد السوفيتي تفعل فعلها في تحميل الحزب الشيوعي - الذي يحكم بالحديد والنار والقضاء على الحريات، وقتل التنافس بين الأفراد والجماعات، ووضع القيود على الممتلكات وهيمنة الدولة على مرافق الحياة كلها - جرائر ما يجري في الاتحاد السوفيتي، والدعوة إلى التحرر من كل ذلك وأخذ النموذج الغربي بل النموذج الأمريكي بالذات في الحياة العامة والخاصة. وكان عملاء الغرب، والمتعطشون للتخلص من أكبال الشيوعية والراغبون في العمل على توسيع ثرواتهم... يعملون ليل نهار لتقويض الاتحاد السوفيتي من الداخل، وما حان عام ١٩٩٤م حتى انهار الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى لينشأ على أنقاضه دول مستقلة ومجموعات يربط بينها مصالح اقتصادية، أو حكومات عميلة تخضع للدول الأكبر مساحة وسكاناً وجيشاً، ومن هنا برز شعار العولمة في العقد التاسع من القرن العشرين. فماذا يقصدون بالعولمة؟

المطلب الثاني: تعريف العولمة:

الكلمة الإنجليزية (Globalization) ترجمت إلى اللغة العربية: بـ(الكوكبة) و(الكونية) و(العولمة)، وكأي شعار يراد به التعمية والتفسيرات المختلفة، فإن العولمة تباينت تعريفات الباحثين حولها. فمنهم من عرفها بالمقصود منها والنتائج التي تترتب عليها فقالوا: إن المقصود منها أمركة العالم، أي الهيمنة الأمريكية. كما قال الرئيس الأمريكي - روزفلت - منذ نصف قرن.

ومنهم من عرفها بأساليبها المستخدمة في الدعوة إليها: فقالوا: العولمة هي المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو بدون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد(١٤).

المبحث الثاني

مجالات العولمة

لقد ساعدت الثورة العلمية والمعلوماتية التي اكتسحت العالم من بداية التسعينيات على تسهيل حركة الأفراد والأموال والسلع والمعلومات والأفكار بين شعوب العالم وأقطاره، حيث تقلصت المسافات وانكمش الزمن، مما دفعت إلى سرعة

(١٤) ينسب هذا التعريف إلى (مالكوم واترز) انظر العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها. د. عبد الخالق عبد الله. ص٥٣، من مجلة عالم الفكر المجلد الثامن والعشرين - العدد الثاني - ١٩٩٩م.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

انتشار مفاهيم العولمة وتداعياتها، ولعل أبرز المجالات التي ظهرت فيها آثار الدعوة إلى العولمة هي:

المطلب الأول: المجال الاقتصادي (العولمة الاقتصادية):

الدعوة إلى العولمة الاقتصادية رفعها دهاقنة العولمة ومصمموها، يمنون فقراء العالم بالرفاهية وارتفاع مستوى المعيشة ودعت إلى حرية السوق، وتيسير سبل انتقال الأموال والسلع والخبرات بين الدول. وذلك من خلال:

١- وضع التخطيط الاقتصادي للدول بيد المؤسسات الدولية: وتنظيم الاقتصاد العالمي عن طريق المؤسسات التي تهيمن عليها الدول الصناعية الكبرى، فأصبح للبنك العالمي، وصندوق النقد الدولي، والمنظمة العالمية للتجارة اليد الطولى في وضع السياسة الاقتصادية لدول العالم وبخاصة الدول النامية والفقيرة.

ولكن سرعان ما تكشف أن الأصابع التي تحرك هذه المؤسسات الدولية أصابع رؤوس الأموال الغربية، وأصبح ٣٥٨ مليارديراً يملكون ما يساوي مجموع ما يملكه نصف سكان العالم، وأن ٢٠٪ من دول العالم هي الأكثر ثراء، وتستحوذ على ٨٥٪ من مجموع مدخرات العالم(١٥).

٢- القضاء على الشركات المحلية: وأدت سياسة العولمة الاقتصادية إلى انتشار الشركات المتعددة الجنسيات، وابتلاعها الشركات المحلية وخاصة في العالم الثالث والاستحواذ على الخامات المحلية، ورفع أسعار السلع المصنعة، وأدى إلى إعلان إفلاس كثير من المصانع والشركات الصغيرة نسبياً وسرح العاملون منها وارتفعت نسبة البطالة في العالم مما أدى إلى أن تتسع الفجوة بين الفقراء الذين ازدادوا فقراً، وبين الأغنياء الذين ازدادوا غنى. إن العولمة الكوكبية تستهدف الشرائح القادرة على الاستهلاك في كل مكان. فلا مكان للفقراء في حساب الشركات المتعددة الجنسيات، وهي تنظر إلى كوكب الأرض وقد جعلته سوقاً واحدة مفتوحة أمام بضائعها(١٦) فأدى ذلك إلى ظهور مشكلات عابرة للقارات: كالمخدرات وجرائم غسيل الأموال، وتلويث البيئة، والأمراض الفتاكة. وإلى عولمة الفقر والقضاء على الطبقة المتوسطة، وتحويل مجتمع الرخاء إلى واحات الثراء.

---

(١٥) انظر فخ العولمة، ص٢٥.

(١٦) انظر العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، د. أحمد مجدي حجازي، مجلة عالم الفكر، ص١٢٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بل أصبحت القوة الاقتصادية سلاحاً فعالاً في أيدي الدول الكبرى لإسقاط نظم الحكم أو الضغط عليها لإتباع سياسات معينة، وذلك بأسلوب إغلاق حنفيات الاستثمارات المالية، أو حض رؤوس الأموال على الهجرة، أو الضغط على عملة معينة لتتدهور وتنهار(١٧).

المطلب الثاني: المجال السياسي (العولمة السياسية)

١- القضاء على الحدود الجغرافية: وتهدف العولمة السياسية إلى القضاء على الحدود الجغرافية بين الدول، وربط المجتمعات بمصالح اقتصادية وثقافية تتخطى الدول وتتجاوز سيطرتها التقليدية على مجالها الوطني المحلي. وبرز دور الشركات العملاقة في التحكم في سياسات الدول، بل هناك أصوات تنادي بأن تحل الشركات محل الدول، واقتصرت مهمة الدولة في زمن العولمة على أن تكون مضيفة للشركات المتعددة الجنسية، وفي الدول الفقيرة حراساً لهذه الشركات.

لقد أعلن رئيس البنك الألماني الفيدرالي صراحة: (إن رجال السياسة أصبحوا من الآن فصاعداً تحت رقابة الأسواق المالية).

لقد أصبح دور أصحاب السلطة أشبه ما يكون بدور رجال المطافي يركضون في كل الاتجاهات لإطفاء حرائق: البطالة، والإرهاب، والعنف، والجريمة، وعصابات المافيا... ليحفظوا لأصحاب رؤوس الأموال الأجواء الهادئة للاستمتاع بثرواتهم والتخطيط للاستزادة منها.

لقد تحول معظم المسؤولين ورؤساء الدول إلى رجال أعمال يعقدون الصفقات ويستجدون القروض، ويحضون الأغنياء على الاستثمار وفق معايير هذه الأيام هنا وهناك، في بلاد الفقراء الواسعة، لقد تحولوا إلى باعة متجولين لصالح الشركات عابرة القوميات(١٨).

٢- المعايير المزدوجة قضت على شعار الديمقراطية وحرية تقرير المصير:

إن الدعوة إلى الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية تقرير المصير التي صاحبت العولمة أو كان من بين شعاراتها السياسية تلاشت على إيقاع الضربات الاقتصادية وأجهز عليها الممارسات العملية للدول الكبرى في تعاملها بمعايير مزدوجة التي طبقتها في أنحاء العالم وبخاصة في العالم الإسلامي في فلسطين والشيشان وكشمير وأفغانستان أما مع غير المسلمين فشأن آخر كما جرى في تيمور الشرقية ودول أوروبا

---

(١٧) يذكر في هذا الصدد ما جرى للمكسيك، وماليزيا، وإندونيسيا، ولما كان يسمى بالنمور الآسيوية، انظر ظاهرة العولمة: الواقع والآفاق، د. الحبيب الجناحي، ص١٩، ٢٠.

(١٨) من مقالة (العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، د. أحمد مجدي حجازي، عالم الفكر، ص١٢٩.

الجديد طرح NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشرقية لاتفيا ولتوانيا... حيث قررت مصيرها وسهلت لها الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة.

٣- العولمة تستهدف الخصوصيات لإحلال النموذج الغربي محلها

لقد كشفت العولمة القناع عن وجهها كأداة للهيمنة، ومن ثم قمع وإقصاء للخصوصيات فهي غزو جديد، وبأسلوب جديد، غزو مدجج بقوة الإعلام، والاقتصاد والسياسة والقانون الدولي، والاتفاقات الدولية(١٩)، وإن احتاج الأمر فبالحصار والتجويع والترويع وقتل الآمنين.

وعلى رأس المستهدفين العالم الإسلامي، لأن الإسلام القوة الوحيدة المستعصية على العولمة، لأنه لم يقبل النموذج الغربي ولم يتخل عن ثوابته العقدية والخلقية..

المطلب الثالث: المجال الاجتماعي (العولمة الاجتماعية)

إن العولمة تهدف بأساليبها وممارساتها من خلال إعلامها الجبار أن تغير البنية الاجتماعية للشعوب والأمم، وتستهدف المقومات الأساسية في بناء المجتمعات لتزيلها وتقيم مكانها روابط جديدة حسب مفاهيم العولمة.

١ - العولمة والأسرة: إن الكثير من المجتمعات تقوم على أساس الأسرة التي تكون نواتها الأساسية من الزوجين الذكر والأنثى يربط بينهما رباط مقدس هو عقد النكاح، وتكون محضن الأولاد يبذلون جهودهم لتربيتهم حسب مبادئ وأسس ومعتقدات كل شعب من شعوب العالم.

إن من أساسيات ما تستهدفه العولمة إزالة هذا الأساس وهذه المقومات في المجتمع بالقضاء على روابط الأسرة ومقوماتها.

عقدت مؤتمرات السكان والمرأة في بكين والقاهرة واستانبول – في العقد الأخير من القرن العشرين – تحت مظلة الأمم المتحدة ومؤسساتها لتدعو إلى تحرير المرأة من جميع القيود التي تحدد سلوكياتها.

لقد ارتفعت أصوات قوية في هذه المؤتمرات تدعو إلى إباحة تكوين الأسرة من ذكرين أو من أنثيين. وإلى إعطاء حق الطلاق للمرأة كما للرجل وإلى حق الإجهاض

---

(١٩) استخدمت الدول التي تبنت (العولمة) صندوق النقد الدولي وسيلة للتحكم في الدول الفقيرة من خلال القروض التي تقدم لها بشروط، ومن أهم هذه الشروط: تخفيض العملة، - تقليص الإعانات والخدمات الاجتماعية، - خصخصة الشركات، - ترك آليات السوق الحرة في العمل. ولا يأبه الصندوق لما يترتب على التزام الدولة بهذه الشروط من اضطرابات اجتماعية، وخلل في التركيبة السكانية والعداء بين السلطة وطبقات الشعب، وزيادة فقر الفقراء، وبعد تقديم الصندوق هذه القروض بفوائدها المعروفة تجد الدولة نفسها أسيرة الصندوق لا تملك لنفسها شيئاً... وتسعى لاهثة لسداد الفوائد التي كثيراً ما تفوق الدين الأصلي أضعافاً مضاعفة.
انظر في ذلك: الإسلام دين العالمية لا العولمة، جمال البنا، ص١٤٩.

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

بل إلى تعدد الأزواج لهن. وإباحة الزنا للمراهقين والمراهقات، واعتبار الزواج من الفتيات قبل سن الرشد الثامنة عشرة جريمة يعاقب عليها القانون.

ولئن كان الشواذ لم يجدوا آذاناً صاغية لمطالبهم في حقبة ما قبل العولمة أما في ظل العولمة فقد خرجوا إلى السطح وبدأوا بتشكيل التجمعات والمطالبة بقوة بحمايتهم وتغيير نظرة المجتمع إليهم، فأصدر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق أمراً بإعادة الاعتبار إليهم وقبولهم في الجيش الأمريكي الذي كان يرفضهم في السابق، ودخل الشواذ ضمن قائمة الفئات في انتخابات الرئاسة الأمريكية. والآن بدأ بالمطالبة أن تفتح المحاكم في الولايات المتحدة الأمريكية أبوابها لزواج المثلين (الذكر بالذكر) أو (الأنثى بالأنثى)، وقد سبقت بعض دول أوروبا إلى هذا العمل الشنيع بعد أن استجابت بعض الكنائس لضغوطهم ومنحت بركتها للشواذ وأجرت مراسم زواجهم في قاعاتها الرسمية.

إنه درك من الهبوط لم تهبط البشرية إليه قط في تاريخها كله، فكل ما ينادون به من القبائح قد حدث في تاريخ الأمم ولكن لم تكن له شريعة، إنما كان يرتكب خفية أو شبه خفية، ثم إنه لم يكن واسع الانتشار، لأن النفس البشرية – التي كرمها الله تعالى – كانت تستبشع أن تمارس الانحطاط الحيواني باسمه الصريح والحالات الشاذة كحالة قوم لوط تعتبر بالنسبة لمجموع البشرية حالة فردية شاذة ملعونة في الأرض والسماء[٢٠].

٢- العولمة والجريمة: وكلما امتد سلطان العولمة امتد سلطان الجريمة، لأن استئثار الشركات الضخمة برؤوس الأموال والسعي وراء الأرباح يدفعها لتقليص النفقات ولا يكون ذلك إلا بإحلال التقنيات الحديثة محل اليد العاملة، فكثر العاطلون عن العمل، وبالتالي تنتشر الجريمة في المجتمعات الجائعة، لقد تباهى رئيس شركة (ميكروسيستمز) أن ستة من الموظفين في مقر الشركة يشغلون من وراء القارات ستة عشر ألف من العمال الهنود، بعد أن استغنى في مقر الشركة عن خدمة عشرات الألوف من الموظفين والعمال، في المستقبل القريب سيتخلى عن هؤلاء ليقللهم إلى نصف العدد[٢١].

٣- العولمة والقيم: إن نتائج العولمة على المجتمعات مدمرة، لأنها تسعى إلى تغيير القيم الاجتماعية وتقدم إلى الناس اللذة بأيسر طريق، فإذا تخلى الناس عن قيمهم سهل انقيادهم وراء شهواتهم إلى ما يريدون.

---

(٢٠) المسلمون والعولمة، محمد قطب، ص١٣.

(٢١) انظر فخ العولمة، ص٢٥.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويسعى أرباب العولمة أن تحل رابطة المصلحة محل رابطة العقيدة والقيم الخلقية بين الناس، فحيثما رأى الناس مصالحهم جروا وراءها. وبالتالي فهم يلوحون للناس باللذة وسراب مجتمع الرفاه الذي لا يصلون إليه أبداً.

لقد رافق الدعوة إلى العولمة فرض الإباحية الغربية، والإلحاد والفساد الخلقي، والفوضى الجنسية، والشذوذ والانحراف، لتكون قانوناً عاماً.

كما رافقها الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل إلى حد إلغاء الفوارق الطبيعية الفطرية.

المطلب الرابع: المجال الثقافي (العولمة الثقافية)

١ – استهداف هوية الأمة وثقافتها: الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يكيف سلوكه وفق معتقداته وثقافته، فإذا أردت إحداث تغيير في مجتمع ما، لا بد من تغيير ثقافته ونظرته إلى الإنسان والكون والحياة وفلسفته في ذلك.

ودعاة العولمة يريدون إحلال ثقافة مكان ثقافة، ومعتقدات مكان أخرى وإحلال فلسفة محل فلسفة.

وأدرك دهاقنة العولمة ومهندسوها ما للإعلام من دور وللصورة الجذابة من تأثير فسخروها لغزو ثقافة المصلحة واللذة العاجلة مكان القيم والأخلاق والعقائد.

وأسندوا إلى هوليود وإلى وكالات الإعلان في نيويورك لتقرير المنتوجات الثقافية الأكثر رواجاً للتسويق في العالم، وبما أن الغرب يدرك طبيعة الإسلام التي تستعصي على التذويب والتمييع فهم يعدون للمنازلة القادمة مع الإسلام ويعتبرونه العدو الأول للحضارة الغربية، يقول روبرت كابلان – الخبير الأمريكي بشؤون العالم الثالث –: في هذا الجزء من العالم سيكون الإسلام بسبب تأييده المطلق للمقهورين والمظلومين أكثر جاذبية، فهذا الدين المطرد الانتشار على المستوى العالمي هو الديانة الوحيدة المستعدة للمنازلة والكفاح(٢٢).

٢ – التعليم ومناهجه: لقد رفع في الغرب شعار صراع الحضارات مع ظهور الدعوة إلى العولمة والتضييق على المسلمين في كل المجالات، ورافقها الضغط على الحكام في العالم الإسلامي بتنفيذ مخططات معينة!، تقليص المدارس الشرعية وإغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم(٢٣).

---

(٢٢) الإسلام والعولمة، محمد إبراهيم مبروك، ص١١٠.

(٢٣) أوردت جريدة الخليج في عددها ٩١٨٢، بتاريخ ٩ يوليو ٢٠٠٤، تحت عنوان (وحدة أمنية أمريكية في باكستان تصور المظاهرات وترصد المدارس الدينية) وفي ثنايا الخبر أن وحدة المراقبة والرصد جاء بأمر من وزراء الخارجية الأمريكية، وتم تعيين ضابط أمريكي ونائبين له إلى جانب خمسة مساعدين، ويعمل معه فريق محلي على رأسهم ضابط جيش باكستاني متقاعد... ومن مهمتها رصد المظاهرات وتصويرها والبحث عن المطلوبين = للعدالة الأمريكية... ومتابعة المدارس الدينية والمساجد. وقالت صحيفة (ديلي تايمز): إن وحدة إدارة الأزمات الوطنية التابعة لوزارة الداخلية الباكستانية انتهت من إعداد سجل الأنشطة الإرهابية والطائفية، الذي مولته

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تغيير مناهج الجامعات الإسلامية وتقليص مجالات الدراسات الشرعية فيها وتطعيمها بالدراسات العلمية العامة والتقنيات الحديثة. تغيير مناهج وزارات التربية والتعليم وحذف النصوص الشريفة من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وخاصة التي تذم اليهود والنصارى وتدعو إلى عدم ولائهم أو عدم الاطمئنان إليهم.

إقامة دورات لخطباء الجمعة والأئمة في المساجد لتلقينهم المبادئ التي ينبغي أن يراعوها في مخاطبتهم للجماهير، وعلى رأسها تجنب إثارة بغض اليهود والنصارى، وفي حال قراءة الآيات التي تتعلق بهم فلا يعلقوا عليها. وكل من يخالف تلك المبادئ يفصل من وظيفته.

٣- ثقافة الاستهلاك: إن الأنماط التي تحملها وسائل الإعلام على مختلف الأصعدة، والتي تدعو إلى اقتفائها بصورة غير مباشرة، تحمل إلينا رسالة العولمة التي تحاول إيجادها في واقع الحياة.

إننا نشاهد دائرة التقليد لهذه الأنماط تتسع يوماً بعد يوم بفعل تأثير الإعلام (المعولم)، فالمظاهر التي تبرز من خلال الملابس وقبعات الرأس ونوعية المآكل والمشارب والوجبات السريعة.

كل ذلك يدل على الثقافة الاستهلاكية التي تبثها وسائل الإعلام لتحل محل أعراف وعادات وتقاليد نشأت عليها الأجيال، وهذا لون من ألوان ثقافة العولمة التي تريد حمل الناس عليها.

إن الفهم الغربي لعولمة الثقافة ينبعث من منطلق سيادة الثقافة الحداثية الغربية على كافة الثقافات. وقد صرح عدد من أعمدة الفكر الغربي المعاصرين مثل (فرنسيس فوكو ياما) أن عولمة الثقافة لا تتأتى إلا بسيطرة ثقافة معينة على الثقافات المتعددة[٢٤].

لقد يسرت وسائل الاتصال صياغة العقول والأفهام حيث حملت أفكار الغرب إلى كل بيت وإلى كل فرد من أفراد المجتمع.

كانوا قديماً يأخذون أولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا، وآسيا إلى عواصم دول أوروبا لتغيير مناهجهم وتلقينهم لغاتهم وعاداتهم وأساليب الحياة الغربية، ثم يعيدونهم إلى بلدانهم ليكونوا حاملي لواء الدعوة إلى التغريب بين بني جلدتهم، وبالرغم من كثرة البعثات التي أرسلت إلى الغرب بطلب من دولها، أو برغبة من دول العالم المتخلف فقد كان أثرهم محدوداً.

الإدارة الأمريكية بـ(٧٠) مليون دولار. ويتضمن أسماء الجماعات الإرهابية والطائفية في باكستان...) هذا نموذج مصغر لما يجري في العالم الإسلامي.

(٢٤) انظر كيفية التعامل... رؤية شرعية، د. ناصر العمر، ص١٠٢، ضمن كتاب رسالة المسلم في حقبة العولمة. منشورات مركز البحوث والدراسات، وزارة الأوقاف القطرية.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما اليوم ونتيجة تطور وسائل الإعلام والاتصال فقد غزت الثقافة الغربية ونمط حياتها كل بيت، وفي كل ساعة، فقد أصبح التلفزيون الذي يبث على مدار الساعة برامجه المختلفة وبأسلوب جذاب يجعل أفراد الأسرة على مختلف مستوياتهم وبمختلف أعمارهم يتلقون هذه البرامج ويتعرضون لهذه المتغيرات بهدوء وبطواعية تامة لينصبغوا الصبغة الغربية معتقداً وثقافة وسلوكيات اجتماعية... أما شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) فلها شأن آخر في عرض الأفكار والقيم والمغريات.

المبحث الثالث

الموقف من العولمة

وقف الناس في العالم الإسلامي منذ أن أطلق دعاة العولمة شعارهم إلى ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: وقفت موقف الاستسلام والخضوع، ورأت في العولمة حتمية تاريخية وإعصاراً مدمراً لا قبل لأحد بالتصدي له أو الوقوف في وجهه.

وعلى شعوب العالم أن يطأطئوا رؤوسهم ويكيفوا أوضاعهم حسب معطيات تيار العولمة ويركبوا قطارها قبل أن يفوتهم فيضيعوا في متاهات الحياة وتنقطع بهم السبل فيتجاوزهم التاريخ.

الفرقة الثانية: وقفت موقف الرفض المطلق للعولمة ودعوتها، ورأت فيها استعماراً جديداً بأساليب العصر، ودعوة إلى هيمنة الغرب وحضارته على مقدرات الشعوب، والقضاء على خصوصيتها وإحلال النمط الغربي محل النموذج المحلي، والجديد في العولمة هو تطوير في أدوات الهيمنة وتقنينها.

الفرقة الثالثة: وقفت وقفة المتدبر إلى دعوة العولمة، المحلل لمعطياتها المقوم لنتائجها وثمراتها.

ومن ثم أعطت لكل حالة حكمها، واتخذت موقفاً يتناسب مع مراحل بروزها وتطور وسائلها وحاولت الإفادة من إيجابياتها والتحذير من سلبياتها.

إننا مع الفرقة الثالثة الداعية إلى الدراسة والتدبر، ثم التحليل والتنظير وبالتالي اتخاذ الموقف المناسب للإفادة من الإيجابيات ورفض السلبيات.

المطلب الأول: الشعارات من الإيجابيات لو رأت لها مكاناً على الواقع

لقد رفع دعاة العولمة شعارات براقة، ولكن الممارسات من الدول الكبرى التي قدمت مصالحها على الشعارات، جعلت شعاراتهم في واد، وواقع التعامل مع غيرهم في واد آخر، ومن تلك الشعارات:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أ- حقوق الإنسان: ومعنى ذلك أن لكل إنسان حق الحياة وحق حرية المعتقد وحق حرية التملك، وحق حرية التعبير عن رأيه، وحق المشاركة في رسم مستقبل دولته وأمته...، إنه شعار رائع ولكن ما مدى إمكانية الوصول إليه في ظل العولمة وضغوطها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية التي تسوقه سوقاً، وتسلب إرادته تجاه مغريات الدعاية المبرمجة، وتفرض عليه سلوكاً محدداً، فإن لم يسر مع التيار الجارف كان مصيره الدمار أو الإهمال.

ب- الاحتكام إلى المؤسسات الدولية والقانون الدولي لحل المنازعات والصراعات في العالم: لو تغلب منطق العقل والحوار على منطق القوة، لما وجدنا في العالم حروباً طاحنة، تستخدم فيها الأسلحة الفتاكة، ولكننا نجد أن الأحكام التي تصدر عن المؤسسات الدولية، لا يرفع لها أهل الجبروت والطغيان رأساً ولا يلقون لها بالاً(٢٥)، وإن اقتضى الأمر إلى تسيير الجيوش، وعقد التحالفات لتعطيل قرارات تلك المؤسسات، وتحقيق مصالحهم فلا يتوانون عنها. بل ربما لجأت بعض الدول الكبرى إلى إهمال دور الأمم المتحدة وتحقيرها إن شعرت بأنها ستكون عقبة في تحقيق مصالحها، وغاياتها التسلطية(٢٦).

ج- التعايش السلمي بين الدول والاحترام المتبادل: إنه شعار براق لو طبقته الدول ذات النفوذ والقوة، ولكن هذا الشعار الذي رفع قبل العولمة، وتبنته الدول الكبرى والصغرى دائماً لم يجد له في أرض الواقع أثراً، فما زالت الدول الكبرى تسعى لبسط نفوذها الاقتصادي والسياسي على الدول الصغرى، وجعلها أسواقاً استهلاكية لمنتجاتها، وتسعى جاهدة - وفي زمن العولمة خاصة - للتأثير عليها بالتخلي عن نهجها السياسي ونمطها الاجتماعي وخصوصياتها العقدية والثقافية، وجعلها تابعاً ذليلاً في كل شيء للدول الصناعية الكبرى...

د- الدعوة إلى حوار الحضارات: وهذا من شعارات دعاة العولمة، وهذا الشعار في حقيقته يقر بالتنوع والاختلاف، ولو طبق لأدى إلى إبراز مزايا الحضارات والتفاعل بينها وإفادة بعضها من بعض.

ولكن الذي يجري هو الدعوة إلى التسلط ومسخ الآخرين وإزالة هويتهم وإخراجهم من ميدان الحوار إلى ميدان الصراع، وبالتالي إلى الدمار والهلاك وليس إلى البناء والتكامل والعطاء.

---

(٢٥) عشرات القرارات صدرت عن مؤسسات الأمم المتحدة بشأن الفلسطينيين وحقوقهم ولم يطبق منها شيء، بل لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى استخدام حق النقض (الفيتو) عشرات المرات لتعطيل القرارات. وآخر القرارات الصادرة ما أصدرته محكمة العدل الدولية بتاريخ ٩/ ٧/ ٢٠٠٤م ببطلان إقامة الجدار الفاصل، وإلزام إسرائيل بإزالته والتعويض على الفلسطينيين المتضررين ومن المحقق لن تمكن الولايات المتحدة الأمريكية من أن يرى القرار النور في أروقة الأمم المتحدة.

(٢٦) كما حدث للولايات المتحدة الأمريكية، عند عدم استجابة الأمم المتحدة لرغبتها في غزو العراق.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الشعارات من إيجابيات العولمة، لو وجدت طريقها إلى التطبيق، ولكن ممارسات الدول الكبرى على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، قضت عليها وجعلتها هياكل فارغة من مضمونها الحقيقي، مما أفقد ثقة الناس بها، فرأوا أن لا إيجابية في العولمة.

المطلب الثاني: سلبيات العولمة

وقبل ذكر الخطوات التي ينبغي اتخاذها تجاه أخطار العولمة وسلبياتها، نقدم التمهيد في بيان سنن الله الاجتماعية التي لا تتخلف، كما أن سننه الطبيعية لا تتخلف إننا نجد دعوة العولمة تتصادم مع أربع سنن من سنن الله الاجتماعية وكل سنة منها كفيلة بدمار ما يعارضها أو يجابهها.

أولاً: سنة التدافع

لقد جرت سنة الله سبحانه وتعالى منذ أن هبط آدم عليه السلام إلى هذه الأرض أن يكون الصراع بين قوى الخير وقوى الشر، وأن لا يمكن واحدة منها في التحكم في مصير العالم.

يقول عز من قائل: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه: ١٢٣ - ١٢٤] ومنذ ذلك الحين تتدافع قوى الخير والشر، فكلما انحرف الناس عن هدي الله المتمثل في الرسالات إلى إتباع الشهوات والأهواء وطغوا وتجبروا في الأرض تنبت لهم نابتة تعمل على إعادتهم إلى فطرة الله التي فطر عليها الناس، وذكرتهم بأيام الله وحذرتهم من المصير المظلم، فإن أبوا تعرضوا لجند الله فدمرتهم، وذلك من السنن الإلهية الكونية.

ولا تتحقق حكمة الله – سبحانه وتعالى – في خلق مخلوقاته من الابتلاء والاستخلاف في الأرض إلا باستمرار هذه السنة ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

لقد مر على تاريخ البشرية من القوى المؤمنة التي أقامت حضارات ربانية حكمت بالعدل وأقامت منارات التوحيد كما حدث في عهد داود وسليمان عليهما السلام وما حققه ذو القرنين في مشارق الأرض ومغاربها، ومع ذلك لم تتفرد بحكم الأرض بمفردها لتعمل ما تشاء، بل وجد من يعاديها ويحاربها.

وكذلك استبدت قوى طاغية في الأرض، وفرضت هيمنتها على أجزاء كثيرة من الأرض، كما فعل نمرود وفرعون وعاد وثمود، ولكن قوى الخير قاومتهم وقضت مضاجعهم إلى أن زالت من الوجود.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واليوم تسعى دول الغرب مجتمعة إلى بسط نفوذها وهيمنتها على العالم لتفرض نموذجها في الثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع على العالم، ونقول إنها لن تتمكن من ذلك وفق سنة الله التي قد خلت ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ثانياً: سنة الله في الطغيان والتكبر والجبروت

لقد مر في تاريخ البشرية من طغي وتجبر بما لديه من المال ووسائل الرفاه والقوة العسكرية وغفل عن الخالق الذي خلقه وأمده بالمال والنفر ويسر له سبل الغلبة والقوة، ولم يدرك عاقبة طغيانه وجبروته، فأنزل الله به عقوبته التي لا ترد ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣-٤٥]

لقد وصل الطغيان العلمي بهذه الدول إلى تكذيب الدعوات الربانية، والكفر باليوم الآخر والاستهزاء بمن يذكرهم بيوم الحساب، وأحلوا علومهم المادية وفلسفتهم الوضعية محل الوحي المنزل من خالق السماوات والأرض، وظنوا – وخاب ظنهم – أن هذه العلوم ستوفر لهم السعادة التي ينشدونها، وقال قائلهم: إن إلهنا هو العلم وإن معابدنا هي المختبرات.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق: ٦، ٧]، يبين الله ﷻ سنته في هؤلاء وأمثالهم ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٢-٨٥].

إن القوة العسكرية المدمرة التي تمتلكها بعض الدول حملتها على الاعتقاد أنها قادرة على فعل ما تشاء بمن تشاء في الوقت الذي تشاء، وغفلت في حال زهوها وجبروتها عن الله الذي خلقها ومكنها وأنه أقوى منها: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت: ١٥ – ١٦].

ثالثاً: سنة الله في المترفين المفسدين

إننا نشاهد في دعوة العولمة اليوم ذاك الفساد الخلقي والانحطاط السلوكي وتلك المتاجرة بإثارة الغرائز الهابطة، التي تحمل جديدها كل يوم وسائل الإعلام إنه التقنين

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المنظم للفاحشة، التي تروج لها كبريات الشركات في الدول الكبرى. وتتخذ من المؤسسات الدولية وسيلة لنشرها وغطاء لغاياتها، وهل يتصور درك من الانحطاط أن تتخذ قوانين تجرم الزواج المبكر، وتبيح الزنا المبكر. وتمنع تعدد الزوجات وتشجع اتخاذ الخليلات...

إن سنة الله التدميرية لمثل هذه المجتمعات بالمرصاد، يقول عز من قائل: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾[الإسراء: ١٦ - ١٧]

رابعاً: سنة الله في الظالمين

إن أصحاب المصانع والشركات التي تسيطر على اقتصاد العالم، وتسرح بين الفينة والأخرى عشرات الألوف من العمال والموظفين، وتبتلع الشركات والمصانع الأصغر والأقل إمكانات، وتوصد أسباب الرزق وأبوابه في وجوه الملايين من العوائل، هؤلاء يتعاملون مع البشر من غير مراعاة لمشاعر البشر وعواطفهم واحتجاجاتهم، إنهم يتعاملون معهم كما تتعامل آلات مصانعهم الصماء التي لا تملك أحاسيس ومشاعر، ولا تحس بمشاعر الآخرين.

إن هؤلاء يتعرضون لدعوات المظلومين في مشارق الأرض ومغاربها التي يقول عنها رسول الله ﷺ: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٢٧] والتي تكفل الله سبحانه وتعالى بنصرها ولو بعد حين.

إن دولة الكفر مع العدل تستمر، ولكن دولة الظلم لا تستمر ولو كانت هذه الدولة لأهل الإيمان. فكيف إذا اجتمع الكفر مع الظلم للعباد والبلاد؟

المطلب الثالث: كيف نجابه أخطار العولمة؟

إن لكل خطر وسيلة خاصة لدرئه والوقاية منه، وبما أن أهم أخطار العولمة تبرز من خلال مجالاتها: الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية. فإننا نستعرض أهم الخطوات التي ينبغي أن تتخذ لدرء تلك الأخطار في كل مجال:

أولاً: أما في المجال الاقتصادي

أ- فينبغي اتباع **استراتيجية الاعتماد على الذات**، وحسن استغلال الثروات الكونية التي منحها الله تعالى ديار المسلمين، وتنميتها وفق خطط بعيدة المدى.

فإن في العالم الإسلامي من المواد الخام والثروات الطبيعية التي لا يستغني عنها العالم، وفيها ما يشكل وحدة متكاملة تغني المسلمين عما لدى غيرهم.

---

(٢٧) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٢٥)، ٢/ ٥٤٤، وصحيح مسلم رقم (١٩)، ١/ ٥٠.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأمر لا يحتاج إلا إلى إرادة سياسية من أصحاب القرار في العالم الإسلامي وإلى تخطيط مدروس، ولا يعدم العالم الإسلامي الخبرات الفنية ولا رؤوس الأموال، فإن العقول المهاجرة إلى العالم الغربي ورؤوس الأموال المتسربة إلى أسواق الغرب سرعان ما تعود إلى العالم الإسلامي إذا رأت المناخ الآمن.

ب- ينبغي أن نبدأ صناعاتنا ومؤسساتنا الاقتصادية وشركاتنا بتمويل إسلامي وبتكنولوجيا محلية، ولو بإمكانات أقل وتطور أقل وإنتاج منخفض في الكم والكيف، وتوضع خطط لتطويرها إلى الأحسن.

وذاك أفضل بكثير من إنشاء صناعات ضخمة بتمويل أجنبي وتكنولوجيا أجنبية يتحكمون فيها، ويستطيعون ضربها متى يشاؤون، ويكون كل ذلك من منطلقات وثوابت الأمة في عقائدها ومصلحتها العليا(٢٨).

ج- ينبغي أن يكون هناك تخطيط مركزي في دول العالم الإسلامي، وسوق إسلامية مشتركة، واتفاقات بين الحكومات تزيل العقبات أمام سرعة تبادل رؤوس الأموال والخبرات الفنية والمنتجات الصناعية بين أقطار العالم الإسلامي.

قد تكون البدايات شاقة على النفوس التي اعتادت الحرص على مصالحها الخاصة وتقديم لذتها الآنية في الحصول على السلع الرخيصة الأعلى جودة على السلع المحلية الأقل جودة وربما الأعلى قيمة إلا أن وعي المسلمين بالمصلحة العليا للأمة، وربط ذلك بنضال الأمة وكفاحها في سبيل سيادتها وامتلاك قرارها، هذا الوعي كفيل بالارتقاء بالمسلمين إلى مستوى المسؤولية ودعمهم للقضايا المصيرية للأمة.

ثانياً: أما في المجال السياسي

فإن امتلاك الإرادة السياسية لدى الحكام في العالم الإسلامي أمر أساسي ومبدئي، وشعورهم بضرورة التحرر في بلادهم عن قيود الدول الكبرى، وعن تدخل المنظمات الدولية المسيرة من قبل أعداء الإسلام في شؤونهم الداخلية، كل هذه الأمور تشكل الخطوات الأولى في مواجهة الهيمنة التي يسعى إليها دعاة العولمة.

ولا بد كذلك من إزالة الحواجز النفسية بين الحكام في العالم الإسلامي من جهة، وبين شعوبهم من جهة أخرى.

---

(٢٨) يقول المحللون إن الغرب تمكن من ضرب التقدم الاقتصادي الذي أحرزه (النمور الآسيوية) وخاصة إندونيسيا وماليزيا لسببين: الأول: أنهم اعتمدوا في صناعاتهم وتخطيطهم الاقتصادي على التكنولوجيا الأجنبية ورؤوس الأموال الأجنبية... والثاني: أنهم تاجروا في البورصة. وهي تعتمد على تحويل الأموال إلى سلعة يتاجر به وهو مخالف لمبادئ الدين الإسلامي الذي حرم الربا وفلسفة الإسلام في ذلك أن المال لا يكون سلعة، فاستغل الملياردير اليهودي (سورس) لضرب البورصة الماليزية، فهبط قيمة عملتها إلى النصف في غضون ساعات.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن استشعار الحكام بمسؤولياتهم أمام الله - سبحانه وتعالى - الذي استرعاهم شؤون الأمة الإسلامية كما قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته...»(٢٩) يحملهم على بذل الجهود لدفع العدوان عن المسلمين أولاً، ورعاية مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية ثانياً، والحفاظ على خصوصياتهم العقدية والثقافية ثالثاً، كما يرعى الراعي غنمه من الذئاب والسباع ويداوي مرضاها ويرتاد لها المرعى الخصيب.

وإذا استشعر حكام المسلمين مسؤولياتهم فلن يعدموا الوسيلة المناسبة التي تجمع كلمتهم، وتقرب بين أقطارهم إلى أن يحققوا وحدة الأمة التي أمر الله سبحانه وتعالى بها في قوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[آل عمران: ١٠٣]، ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٣]

إن ممارسة السيادة من قبل المسلمين على بلادهم ومصالحها الذي يطلق عليها الفقهاء (أن يكون الأمن للمسلمين وبيد المسلمين) من مبادئ الإسلام الأساسية، بل لا تكون الدولة إسلامية ولا تكون الدار دار إسلام إن لم يكن الأمن فيها بيد المسلمين، وإن أي تنازل عن حق السيادة على بلاد المسلمين لأعداء المسلمين خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين، وتفريط في الواجب الملقى على عاتق الحكام تجاه رعيتهم.

ثالثاً: أما في المجال الاجتماعي

فإن الزخم الإعلامي القادم من الغرب يستهدف بنية المجتمعات، وبالأخص بنية المجتمع الإسلامي الذي يجد دعاة العولمة أنه المجتمع الوحيد الذي يستعصي على الذوبان في تيار العولمة، بفضل قيامه على الأسرة وحفاظه على الروابط الوثيقة بين أفرادها فكان تركيزهم على تدميرها وتقطيع أواصرها.

أ- إن من أهم المؤسسات التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي الأسرة السليمة القوية المترابطة الملتزمة بأحكام شرع الله، المحصنة بعقيدة الإسلام وأحكامه وآدابه، فالعمل على تقوية الأسرة الإسلامية بتحصين أفرادها بالعقيدة السليمة والأخلاق القويمة إفشال لأهم مخططات دعاة العولمة للسيطرة على العالم الإسلامي بإشاعة الفوضى الجنسية، والانسياق وراء الشهوات والغرائز الهابطة، والتقليعات التافهة والممارسات السيئة.

ب- ويأتي بعد الأسرة المدرسة التي تقوم بدور أساسي في تكوين شخصية الطفل التربوية والعلمية والسلوكية، ينبغي أن يكون دور المدرسة دوراً تكاملياً مع دور الأسرة، فلا تنقض إحدى المؤسستين ما تبنيه الأخرى، بل تعمل كلتا المؤسستين

(٢٩) صحيح البخاري، الحديث رقم ٨٥٣، وصحيح مسلم الحديث رقم ١٨٢٩.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

(الأسرة والمدرسة) على صقل قدرات الطفل العقلية والتربوية وتغذي فيه روح العزة والشموخ بالانتماء إلى أمة الإسلام.

إن ما يتلقاه الطفل من أبويه في الأسرة، وما يتعلمه من مدرسيه في المدرسة وخاصة في السنوات الأولى من عمره، يحفر أخاديد في نفسه ويترك بصمات على منهجه في الحياة طيلة عمره، ولا ينبغي ترك توجيه الأطفال لوسائل الإعلام المختلفة لتتولى تربيتهم كما يشاء أعداء الإسلام.

ج- الاهتمام بالمؤسسات الاجتماعية: إن النوادي الاجتماعية والثقافية والرياضية وغيرها من مؤسسات المجتمع المدني تلعب دوراً كبيراً في توجيه الشباب والأجيال الصاعدة من الذكور والإناث، لذا ينبغي رعايتها والاهتمام بتوجيهها الوجهة الصحيحة وفق مبادئ الإسلام، لتساند مساعي الأسرة والمدرسة في تحقيق الأهداف والغايات من بناء جيل قوي في معتقده، مستقيم في سلوكه، صحيح في بدنه.

د- الاهتمام بالمرأة خاصة: يرى أعداء الإسلام أن واقع المرأة في المجتمع الإسلامي ثغرة يمكنهم النفاذ من خلالها لتقويض دعائم المجتمع الإسلامي، فينبغي الاهتمام بإعداد المرأة المسلمة الداعية إلى الله على بصيرة، الواعية لمخططات أعداء الإسلام، فإن دفاع المرأة المسلمة عن قضاياها من منطلقات إسلامية أجدى وأوقع في نفوس بنات جلدتها(٣٠).

رابعاً: أما في المجال الثقافي

فإن من أخطر ما يتعرض له العالم الإسلامي من هجمة العولمة هو الجانب الثقافي، لأنه يستهدف شخصية الأمة وهويتها، التي تحددها ثقافتها.

فإن دعاة العولمة يحاولون إحلال ثقافة اللذة العاجلة والمتعة الآنية والمصلحة المادية محل ثقافة الأمة وثوابتها. وبالتالي مسخ شخصيتها والقضاء على هويتها لتكون تابعاً تدور في فلك الغرب وثقافته.

وأمام هذا الخطر الداهم الذي يحمله الإعلام من ناحية، والضغوط الاقتصادية من قبل الشركات والمؤسسات الاقتصادية من جهة، وما تمارسه الحكومات الغربية من ضغوط على الحكومات في العالم الإسلامي من جهة أخرى، تجاه كل ذلك لا بد من استنفار الطاقات والخبرات للعمل الجاد لمواجهة الخطر الداهم الذي تتعرض له الأمة الإسلامية، وذلك من خلال ما يلي:

١ - تحصين الأمة بالعقيدة الإسلامية والأخلاق الإسلامية: إن العقيدة الإسلامية تمتلك من الجاذبية والإقناع ما يملأ النفس طمأنينة والعقل يقيناً والفطرة سكينة، والأخلاق الإسلامية فيها من الجمال والبهاء ما يزيد المتخلق بها رفعة وسمواً.

---

(٣٠) عندما أصدرت إحدى الحكومات التركية قراراً بمنع الحجاب في المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية، خرجت مظاهرة نسائية في استانبول، تضم أكثر من مئة ألف امرأة محجبة، يندون بالقرار، بإعطائهن الحرية في لبس ما يحل لهن، ويكشفن عن زيف الشعارات التي ترفعها الدولة العلمانية الديمقراطية.

الجديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فأول ما ينبغي اللجوء إليه تربية النشء على العقيدة والخلق الإسلامي، ابتداء من الأسرة إلى المدرسة إلى المعاهد ومؤسسات التعليم العالي، بحيث يشعر بالاعتزاز عندما يعرفون انتماءهم إلى الإسلام.

٢- إعادة النظر في مناهج التعليم: وتطويرها وفق معطيات العصر واستخدام التكنولوجيا الحديثة فيها، مع الحفاظ على روح الإسلام وثوابت الأمة، فإن الأمة الإسلامية تملك من الرصيد الثقافي والمعرفي ما لا تملكه أمة على وجه الأرض.

٣- دعم مراكز البحث العلمي: من قبل الحكومات في العالم الإسلامي، وتوفير المناخ العلمي لأبناء الأمة، وتبني الموهوبين والمبدعين منهم ووضع برامج طموحة للاستفادة من إبداعاتهم، وفتح مجال العودة للعقول المهاجرة من أبناء المسلمين لوضع خبراتهم في خدمة الأمة وتقدمها.

٤- تفعيل دور المؤسسات الخيرية والوقفية، وتوجيهها الوجهة السليمة للقيام بدور تكاملي مع مؤسسات الدولة وأجهزتها في دعم النشاط العلمي، ولقد كان للوقف الإسلامي دور رائد في التاريخ الإسلامي في جميع المجالات الاجتماعية والعلمية.

٥- توجيه الإعلام الوجهة الصحيحة لحمل رسالة الأمة، والدفاع عن مقومات وجودها، والحفاظ على بنائها، وإيجاد البديل الصالح لبرامجها في مختلف المجالات بحيث يحل محل الإعلام المفسد المدمر لكيان الأمة.

٦- تطوير الخطاب الإسلامي للعالم، وحمله من قبل المفكرين المسلمين؛ لعرض حقائق الإسلام على العالم كما عرضها القرآن الكريم والسنة النبوية حقائق ناصعة من غير مواربة، ولكن بأسلوب العصر، فإن أعداء الإسلام يحاولون حجب حقائقه عن الناس بالتزوير والتمويه والتشويش، ومع كل ذلك فإن حقائق الإسلام تغزوهم في عقر دارهم ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف: ٨]

٧- فتح باب الحوار بين علماء الأمة الراسخين من طرف، وبين حاملي لواء ثقافة العولمة من طرف آخر؛ لإظهار عظمة الإسلام وسمو مبادئه ورفعة أخلاقه ومرونة تشريعاته؛ لاستيعاب الجديد النافع، مع الحفاظ على كرامة الإنسان وإنسانيته، والكشف عن تفاهة ثقافة العولمة وضحالة تفكير دعاتها وانحطاط نفوسهم والدركات التي يريدون جر البشرية إليها.

خامساً: كلمة أخيرة لا بد منها...

إن الذين قالوا إن العولمة حتمية تاريخية لا بد من الرضوخ لها والأخذ بها على علاتها بعجرها وبجرها، حكموا على أنفسهم بالهزيمة والاستسلام والذوبان، وفتحوا الباب على مصراعيه أمام أعداء الأمة للقضاء عليها ومحقها من الوجود، وهذا ما لا يرضاه الله ورسوله والمؤمنون.

الجديد NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

والذين بدأوا بالاستجابة لضغوط العالم الغربي في التغيير والتبديل في ثقافة الأمة وثوابتها، ومنطلقاتهم في ذلك الانحناء للعاصفة الهوجاء حتى لا تقتلعهم، هؤلاء يقطعون جذورهم عن الأمة، ويوسعون الهوة بينهم وبين مصالح أمتهم وشعوبهم وينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة: ٥٢]

والذين يقفون في وجه العولمة من غير أن يأخذوا استعدادهم، ويستخدموا الوسائل المكافئة في العلوم والتكنولوجيا الحديثة، ويستنهضوا الأمة للوقوف وراءهم، ويجعلوا ثوابت الأمة منطلقاتهم، والدفاع عن مصالح الأمة شعارهم، إن لم يفعلوا ذلك يكون كمن يدخل سباقاً على الخيل مع الطائرة والصاروخ أو يدخل مجابهة بالأسلحة البيضاء مع حاملي القذائف الصاروخية والرشاشات.

إننا لا نشك أن قوة الله لا تغلبها قوة، وأنه يقول للشيء كن فيكون، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر باتخاذ الأسباب فقال: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠] «**إن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها**»[٣١] كما يقول رسول الله ﷺ، واستخدام التكنولوجيا الحديثة وسائل لا بد من الأخذ بها والاستفادة منها، وخاصة التكنولوجيا المصبوغة بالصبغة العلمية الفنية البحتة، واستخدامها في مجالات الاتصالات والمواصلات ونقل المعلومات والإعلام وغيرها من المجالات.

وأخيراً نقول إن العولمة ليست حتمية تاريخية لا تقاوم، كما زعم (صامئيل هنتغتون)، بل نعتقد أن العولمة ليست القوة التي ستكتسح وتدمر كل من يعترضها لتنفرد قوة عظمى بمصير العالم.

إنها دورة تاريخية ستمضي كما مضى غيرها ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٠ - ١٤١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الخاتمة

---

(٣١) رواه الترمذي، الحديث رقم (٢٦٨٧)، وابن ماجه رقم الحديث (٤١٦٩).

الجديد
NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس المراجع والمصادر

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس المراجع والمصادر

حرف الألف

١- الإتقان في علوم القرآن - الإمام السيوطي، ت. محمد أبو الفضل - المكتبة العصرية (بيروت).

٢- الاتجاهات الوطنية - محمد محمد حسين - مؤسسة الرسالة. بيروت.

٣- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام - سعد الدين صالح.

٤- الإحكام في أصول الأحكام - الآمدي - دار الكتاب العربي (بيروت) ت. السيد الجميلي.

٥- إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي - دار الندوة الجديدة، بيروت

٦- الأخلاق الإسلامية - عبد الرحمن حبنكة - دار القلم - دمشق.

٧- الأخلاق بين الفلسفة والإسلام - د. عبد المقصود عبد الغني - مكتبة الزهراء (مصر)

٨- أخلاقنا - محمد ربيع جوهري.

٩- الاستشراق والمستشرقون - مصطفى السباعي - المكتب الإسلامي (بيروت)

١٠- الإسلام دين العالمية لا العولمة - جمال البنا - الدار القومية العربية.

١١- الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد

١٢- الإسلام والاستعمار - عباس محمود العقاد - مجموعة العقاد الإسلامية

١٣- الإسلام والعولمة - محمد إبراهيم مبروك - الدار القومية العربية

١٤- الإسلام والمستقبل - محمد عمارة - دار الشروق (مصر)

١٥- أصول التخريج ودراسة الأسانيد - محمود الطحان - دار القرآن (بيروت)

١٦- أصول الحديث - محمدعجاج الخطيب - دار المنارة (جدة)

١٧- أعلام النبوة - الماوردي - دار الفرجاني (مصر)

١٨- الأمثال في القرآن - ابن قيم الجوزية - دار المعرفة (بيروت)

١٩- الإيمان والحياة - د. يوسف القرضاوي

حرف الباء

٢٠- البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - مكتبة النصر الحديثة

٢١- بداية المجتهد ونهاية المقتصد - ابن رشد - دار الفكر (بيروت)

٢٢- البداية والنهاية - ابن كثير - مكتبة المعارف

٢٣- البرهان في علوم القرآن - الزركشي - ت. محمد أبو الفضل إبراهيم - دارا المعرفة (بيروت)

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حرف التاء

٢٤- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية - فتحي محمد الزغبي - دار البشير - طنطا ١٩٩٤م
٢٥- تأويل مختلف الحديث - ابن قتيبة - دار الكتاب العربي (بيروت)
٢٦- التبشير والاستعمار في البلاد العربية - مصطفى الخالدي وعمر فروخ - المكتبة العصرية - (بيروت)
٢٧- التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - دار التونسية للنشر (تونس)
٢٨- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - محمد عبدالرحمن المباركفوري - مطبعة المدني (القاهرة)
٢٩- التربية الأخلاقية الإسلامية - مقداد يالجن
٣٠- الترغيب والترهيب - المنذري - المكتبة التجارية (القاهرة)
٣١- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - الحلبي (القاهرة)
٣٢- التفكير الفلسفي في الإسلام - عبد الحليم محمود
٣٣- التمهيد - الإمام ابن عبد البر - ت. العلوي - الأوقاف (المغرب)
٣٤- توجيه النظر إلى أصول الأثر - طاهر الجزائري - ت. أبو غدة - المطبوعات الإسلامية (حلب)
٣٥- تيسير مصطلح الحديث - محمود الطحان - دار القرآن الكريم (بيروت)

حرف الثاء

٣٦- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الخطابي، الرماني، الجرجاني - ت. محمد خلف الله - دار المعارف (القاهرة)
٣٧- الجامع الصحيح - الإمام البخاري - ت. د. البغا - دار ابن كثير
٣٨- الجامع الصحيح - الإمام مسلم - دار إحياء التراث العربي (بيروت)
٣٩- الجامع الصحيح - الإمام الترمذي- دار إحياء الترث العربي - ت. أحمد محمد شاكر
٤٠- الجامع الصحيح - للإمام ابن خزيمة - ت. الأعظمي المكتب الإسلامي (بيروت)
٤١- جامع العلوم والحكم - ابن رجب - مكتبة الحلبي (القاهرة)
٤٢- الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي - دار الفكر (القاهرة)

حرف الحاء

٤٣- حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة - جميل صبري - مكتبة العبيكان

حرف الخاء

٤٤- الخصائص العامة للإسلام - يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة (بيروت)
٤٥- خلق المسلم - محمد الغزالي

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حرف الدال

٤٦- دراسات إسلامية في العلاقات الدولية

٤٧- دراسات في العقيدة الإسلامية – فتحي محمد الزغبي – ط١/ ١٩٩٩م.

٤٨- دراسات في الفكر الإسلامي الحديث – عبد المقصود عبد الغني – مكتبة الزهراء (مصر)

٤٩- دراسات في فلسفة الأخلاق – محمد نصار – دار القلم (الكويت)

٥٠- دلائل النبوة – البيهقي

حرف الراء

٥١- رسائل الكندي الفلسفية – الكندي – تحقيق أبي ريدة

٥٢- رسالة المسلم في حقبة العولمة – مجموعة من الكتاب – وزارة الأوقاف القطرية

٥٣- الرسل والرسالات – عمر سليمان الأشقر – مكتبة الفلاح (الكويت)

حرف الزاي

٥٤- زاد المعاد في هدي خير العباد – ابن قيم الجوزية – دار الفكر (بيروت)

٥٥- الزهد الكبير – البيهقي – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ت. عامر أحمد حيدر

٥٦- الزوائد – الهيثمي – مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – ت. حسين أحمد الباكري

حرف السين

٥٧- السنة – ابن أبي عاصم

٥٨- السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي – عبد الفتاح أبو غدة – مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب

٥٩- سنن أبي داوود – أبو داوود – دار الفكر – ت. محمد محي الدين عبد الحميد

٦٠- السنن الكبرى – للبيهقي – مكتبة الباز – ت. محمد عبد القادر عطا (مكة المكرمة)

٦١- سنن ابن ماجه – للإمام ابن ماجه – ت. محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر (بيروت)

٦٢- سنن النسائي (المجتبى) للإمام النسائي – مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب – ت. أبو غدة

٦٣- السيرة النبوية – ابن هشام – دار المعرفة (بيروت)

حرف الشين

٦٤- شرح الجوهرة - البيجوري

٦٥- شرح الشفا – الملا علي القاري

٦٦- شرح العقيدة الطحاوية – أبو العز الحنفي – مؤسسة الرسالة (بيروت)

٦٧- شرح المقاصد – التفتازاني – تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب (بيروت)

الجديد و طصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦٨- شعب الإيمان - البيهقي - دار الكتب العلمية (بيروت) - ت. محمد السعيد زغلول
٦٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض - الحلبي (القاهرة)

حرف العين

٧٠- العقائد الإسلامية - سيد سابق - دار الكتاب العربي ١٩٨٥
٧١- العقيدة والأخلاق - د. بيصار - المكتبة العصرية (بيروت)
٧٢- علم الأخلاق الإسلامية - مقداد يالجن
٧٣- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبي - ت. محمود محمد الزعيم دار السيد
٧٤- العولمة: الأبعاد والانعكاسات السياسية - حسنين توفيق إبراهيم - مجلة عالم الفكر - المجلس الوطني للثقافة (بيروت)
٧٥- العولمة: جذورها وفروعها - عبد الخالق عبد الله
٧٦- العولمة وتهميش الثقافة الوطنية - أحمد مجدي حجازي. مجلة عالم الفكر - المجلس الوطني للثقافة (الكويت)

حرف الغين

٧٧- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - عبد الستار سعيد - دار الأنصار (القاهرة)

حرف الفاء

٧٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - دار المعرفة (بيروت) - ت. محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب
٧٩- فخ العولمة - هانس بيتر مارتين - ترجمة عدنان عباس علي - المجلس الوطني للثقافة (الكويت)
٨٠- الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي - محمد البهي - مكتبة وهبة (مصر)
٨١- الفكر والثقافة الإسلامية - عدنان زرزور
٨٢- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق (القاهرة، بيروت)

حرف القاف

٨٣- القاموس المحيط - الفيروز آبادي - مؤسسة الرسالة (بيروت)
٨٤- قضايا ومباحث في السيرة النبوية - سليمان بن حمد العودة

حرف الكاف

٨٥- الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - موريس بوكاي - دار المعارف (القاهرة)
٨٦- كيفية التعامل مع العولمة رؤية شرعية - ناصر العمر - ضمن كتاب رسالة المسلم في حقبة العولمة

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حرف اللام

٨٧- لسان العرب – ابن منظور – دار صادر (بيروت)

٨٨- لمحات في الثقافة الإسلامية – عمر عودة الخطيب – مؤسسة الرسالة (بيروت)

حرف الميم

٨٩- مباحث في إعجاز القرآن – مصطفى مسلم – دار القلم (دمشق)

٩٠- مباحث في التفسير الموضوعي – مصطفى مسلم – دار القلم (دمشق)

٩١- مباحث في علوم القرآن – مناع القطان – مؤسسة الرسالة (بيروت)

٩٢- مجمع الزوائد – الهيثمي – دار الكتاب (بيروت)

٩٣- مجموع الفتاوى – ابن تيمية (الرياض)

٩٤- محاسن التأويل (تفسير القاسمي) جمال الدين القاسمي / ت. محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة)

٩٥- المختار من كنوز السنة – محمد عبدالله دراز – مطابع قطر الوطنية (قطر)

٩٦- مدارج السالكين – ابن القيم – ت. محمد حامد الفقي – دار الرشاد الحديثة

٩٧- المدخل إلى الثقافة الإسلامية – محمد رشاد سالم – دار القلم (الكويت)

٩٨- المدخل لدراسة القرآن الكريم – محمد أبو شبهة – دار اللواء (الرياض)

٩٩- مذاهب فكرية معاصرة – محمد قطب – دار الشروق (مصر)

١٠٠- المستدرك – الحاكم – مكتبة النصر الحديثة

١٠١- المسلمون والعولمة – محمد قطب – دار الشروق

١٠٢- مسند – عبد بن حميد – مكتبةالسنة (القاهرة) – ت. صبحي السامرائي

١٠٣- المسند – الإمام أحمد – مؤسسة قرطبة

١٠٤- المسند المستخرج على صحيح مسلم – أبو نعيم الأصفهاني – دار الكتب العلمية (بيروت) ت. محمد حسن محمد

١٠٥- المصنف – ابن أبي شيبة – ت. الحوت – مكتبة الرشد (الرياض)

١٠٦- المعجم الصغير – الطبراني – دار عمار (عمان)

١٠٧- المعجم الأوسط – الطبراني – المكتب الإسلامي (بيروت)

١٠٨- المعجم الكبير – الطبراني – ت. حمدي السلفي مكتبة العلوم والحكم

١٠٩- معالم الثقافة الإسلامية – عبد الكريم عثمان – مؤسسة الأنوار (الرياض)

١١٠- المعتصر من المختصر – يوسف بن موسى الحنفي – عالم الكتب (بيروت) المتنبي (القاهرة)

١١١- المعجزة الكبرى – محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي (القاهرة)

الجديد
NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١١٢ – معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس – ت. عبد السلام هارون – دار الجيل
١١٣ – المعجم الوسيط – إبراهيم أنيس ورفاقه – دار المعارف (مصر)
١١٤ – المغني – ابن قدامة المقدسي – ت. التركي والحلو، دار هجر (القاهرة)
١١٥ – مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) – الإمام فخر الدين الرازي – دار الكتب العلمية (طهران)
١١٦ – مفاهيم ينبغي أن تصحح – محمد قطب – دار الشروق (بيروت، القاهرة)
١١٧ – المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني – مكتبة الأنجلو المصرية
١١٨ – الملل والنحل – الشهرستاني دار إحياء الكتب العربية (القاهرة)
١١٩ – مناهل العرفان في علوم القرآن – الزرقاني – دار إحياء الكتب العربية (القاهرة)
١٢٠ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم – للإمام ابن الجوزي – ت. محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة
١٢١ – المهذب من إحياء علوم القرآن – صالح الشامي – دار القلم (دمشق)
١٢٢ – مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية – أحمد عبد الرحيم السايح – مركز الكتاب للنشر – مصر – ت. محمد فؤاد عبد الباقي
١٢٣ – الموطأ – الإمام مالك – دار الغرب الإسلامي

حرف النون

١٢٤ – النبوة والأنبياء – محمد علي الصابوني
١٢٥ – نسيم الرياض
١٢٦ – النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير – دار إحياء التراث العربي

حرف الواو

١٢٧ – واقعنا المعاصر – محمد قطب – دار الشروق
١٢٨ – الوفا بأحوال المصطفى – ابن الجوزي

حرف الياء

١٢٩ – اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام – فرج الله عبدالباري – دار الوفاء (مصر)
١٣٠ – يوم الإسلام – مكتبة النهضة المصرية

ملحوظة: في بعض الأحيان خرجت الأحاديث من الأقراص المدمجة.
كما وثقت بعض الأقوال من مواقع على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE